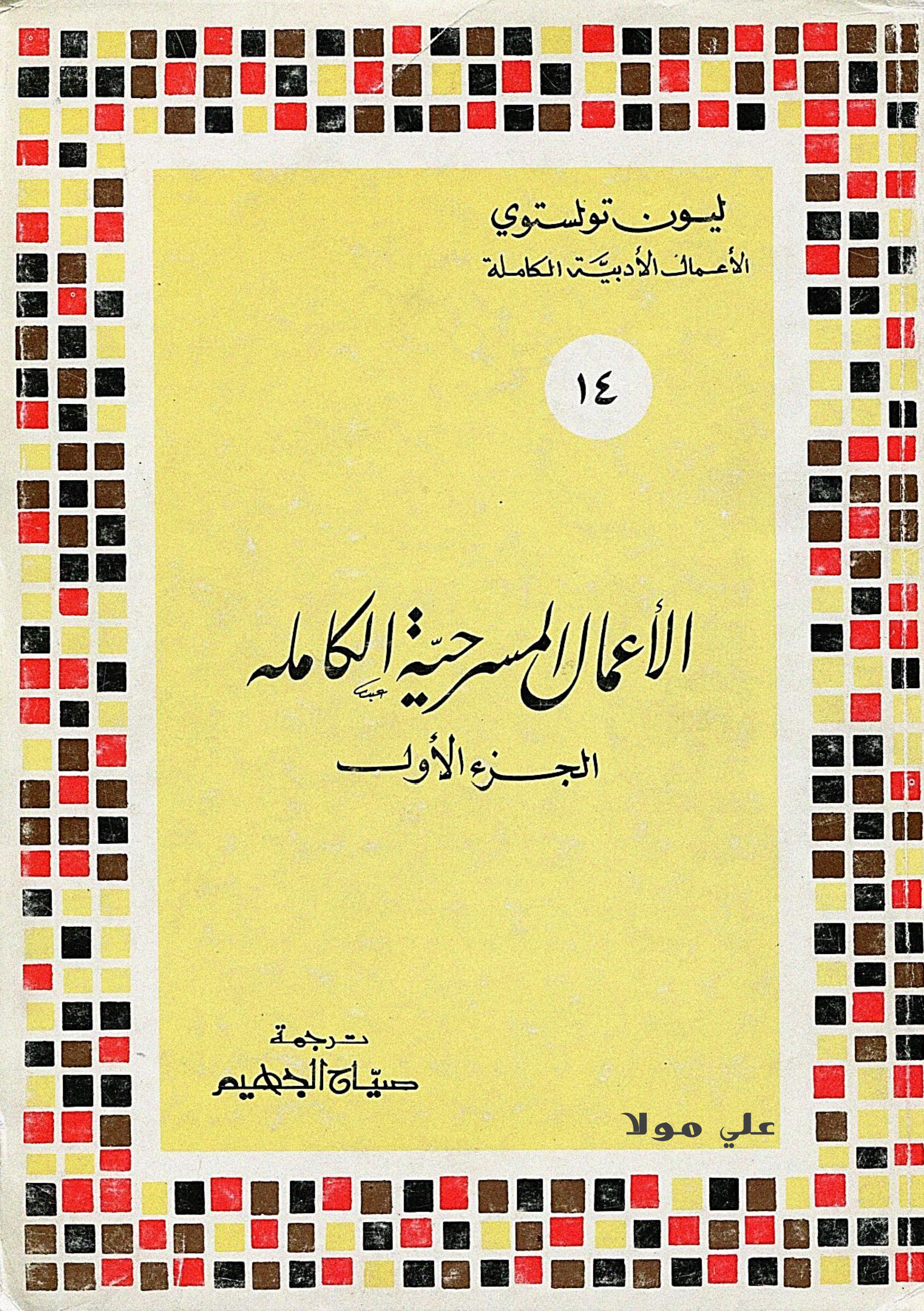

ليون تولستوي
الأعمال الأدبية الكاملة
١٤
الأعمال المسرحية الكاملة
الجزء الأول
ترجمة
صياح الجهيم
علي مولا

الاشراف الفني : زهير الحمو

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الأول

كل ما كتب بخط اسود فقد ورد في النص الروسي باللغــة الفرنســية

ليون تولستوي

الأعمال الأدبية الكاملة

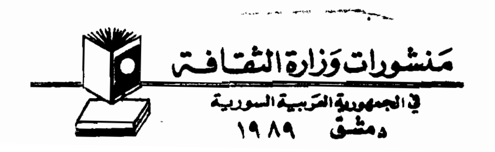
١٤

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الأول

ترجمة:

صياح الجهيم



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٨٩

العنوان الأصلي للكتاب :

LÉON TOLSTOÏ

Théâtre complet

Préface et notes
d'Alexandre V. Soloviev

الاعمال المسرحية الكاملة = THEATRE COMPLET / تاليف : ليون تولستوي ؛ ترجمة صباح الجهيم . ـ ط. ١ . ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨٩ . ـ ٢ ج. (٨٤٣ ص.) ؛ ٢٥ سم . ـ (الأعمال الادبية الكاملة ؛ ١٤) .

١ ـ ٨٩١ر٧٢ ت و ل أ ٢ ـ العنوان ٣ ـ تولستوي ٤ ـ الجهيم ٥ ـ السلسلة

مكتبة الأسد .

الايداع القانوني : ع ـ ١٣٧/٢/١٩٨٩



مقدمة

نُقدّم هنا عشرةَ أعمال مسرحية لليون تولستوي ، تُجْمَعُ لأول مرّةٍ في مجلّدٍ واحد لتكوّن الأعمالَ المسرحية الكاملة للكاتب الكبير . ولا يَجْهلُ أحدٌ أن أفضل ما في موهبة تولستوي إنما نجدُه في رواياته الكبرى وفي بعض قصصه . بيد أنّ مؤلّف آنا كارينين كان يُبدي اهتماماً شديداً بالمسرح ، فقد قرأ عدداً كبيراً من الأعمال المسرحية القديمة والمعاصرة ، ولم يكن يَكْرَه أن يُجرّب أحياناً موهبته في هذا الميدان . إلا أن من المؤكّد ، مع ذلك، أن الأعمالَ التي أَنْتجها شديدةُ التباين ، وأن مُعظمها تَنْقصُه النَبْرةُ ، النكهةُ . ونحن نجد بينها مسرحياتٍ تهذيبية ، وملهاةً كُتِبَتْ على عجلٍ : « العَدَميّ » — — ويسرّنا أن نقدّم لها ترجمةً فرنسيةً لم تُنْشَرْ من قبل — وأيضاً بعض المسرحيات التي لا تَخْلو من عمقٍ ، والتي يُعاودُ فيها تولستوي ، على كل حال ، نقدَه للمجتمع الراقي بلهجةٍ لاذعة . وأخيراً فان هذه المسرحيات تَعْكسُ ، بدرجات شتّى ، بعضَ اللحظات من حياة تولستوي ، تَعْكسُ اهواءَه ، وعذاباته ، ووساوسَهُ ، وبكلمة واحدة : كلَّ ما كان يَبْتعثُ فيه البحثَ العنيدَ عن الحقيقة والحب .

العَدَمي ١٨٦٣ أول محاولة مسرحية لتولستوي . وهي عملٌ كُتِبَ على عجلٍ ، كما قلنا ؛ هي هزليّةٌ قصيرةٌ كتبها تولستوي في « إياسنايا بوليانا » ، أثناءَ السنة الأولى من حياته الزوجية ، السنة السعيدة جداً عنده . وفي هذه الهزليّة نرى نموذجاً جديداً يُمثّلُ — على نحوٍ شديد السطحيّة — نموذجاً ظهر منذ أمدٍ قريبٍ في الحياة الروسية : العَدَميّ .

وَلْنَذكُرْ أن هذه الكلمة قد أَرْسلها ايفان تورغنيف سنة ١٨٦١ في روايته الشهيرة المسمّاة : الأب والابن . وفيها يبدو التباينُ بين جيل قديمٍ من الملاّكين المتجمّدين في تقاليدهم وفي ضَرْبٍ من المثالية المجرّدة ، وبين الجيل الجديد الذي ينْحاز إلى التيّار المادي والذي يَنْسف البنى القائمة باسم العقل والاستقلال الأخلاقي . ويتجلّى تورغنيف موضوعياً : فهو يصوّر مزايا الجيلين المتنازعين ونقائصهما . بيد أنه صرّحَ في إحدى رسائله : « إن الرواية بأسرها مُسدَّدةٌ إلى الطبقة النبيلة باعتبارها الطبقة القائدة للمجتمع ، وأن العَدَمَي «بازاروف» شريفٌ ، فاضلٌ وديموقراطيٌ حتى مخّ العظم . وإذن فان تعاطفه كان يتّجه إلى الجيل الصاعد . أما تولستوي ، وهو أصغرُ من تورغنيف بعشر سنوات ، فهو يتّخذ مواقفَ مختلفةً كل الاختلاف . لقد غمرتْه السعادة الزوجية ، وسحرتْه جدّةُ الحياة العائلية ، فلم يُبدِ تعاطفاً زائداً إزاء العَدَميّين ؛ بل إن أفكارهم عن تحرير المرأة لقيتْ منه نفوراً . لقد تذكّر الطلاّبَ الكثيرين الذين صادفهمَ والذين علّموا في المدارس التي أنشأها في الريف عام ١٨٦٠ ، فلم يَرَ ، على العموم ، سوى الجانب السلبي من عدميّتهم الذي يَستهزىء به قليلاً .

لكنْ يجب ألاّ ننسى أن « العدميَّ » لم تُؤلّفْ إلا من أجل الفُرْجَةِ العائلية . فالموضوع الخفيفُ الهزليّ تافه كليّاً : لقد تزوّج أحدُ ملاّكي الأراضي ، وهو ابن أربعين عاماً ، امرأةً كان يحبّها ويغار عليها . وزاره ابنُ أخيه بصحبة مربّيه العدمي الذي يُشيد بتحرّر المرأة والذي يبدو ساخراً من التقاليد والعادات ! لكنه في أعماقه طيّبُ الخلق ، وهو ينْساق مع شبيبة المنزل التي تُعدّ مفاجأةً سارة بمناسبة عيد ميلاد سيمون ، الملاّك . وإذْ رأى هذا الأخير أن زوجته تُبادل الطالب الأحاديث السرّية والغمزات ، شكّ بأنها مالت للشاب . بل لقد أصابه غضبٌ واضحٌ وأنزلَ عصاه ! لكن كل شيء ينتهي أحسنَ نهاية . . . فالزوجةُ المخلصةُ تُنْشد ، ساعةَ الاحتفال ، أبياتاً من الشعر تقول : إنه لاهمّ لها سوى سعادة الذي تحبه ! إن هذه الملهاةَ الصغيرة بما فيها من بلاهة ساحرة ، مُثِّلتْ بين أفراد الأسرة ، وأعجبتْ المشاهدين كثيراً . وقد لعبتْ زوجةُ تولستوي دورَ الزوج الشديد التأثر ؛ ومثّلتْ أختُها دورَ ماري ، الزوجة ؛ ولعبتْ أختُ تولستوي دورَ العجوز فيونا أندريفنا التي لم يَفُتْها أن ترتجلَ مقاطعَ كاملةً أثناءَ التمثيل .

لم يُولِ تولستوي هذه المسرحية أيّةَ أهميّة ، وظلّتْ في أدراجه حتى موته . وهي شاهدٌ على سعادته الزوجية — « السعادةُ العائلية تَسْتغرقني كليّاً » — وحدّة غيرته ، أحيانا ، على زوجته .

أسرة موبوءة : في آخر السنة نفسها ، اشتغل تولستوي بعملٍ
١٨٦٣ أعظم أهميّةً . وتَشْهد بانكبابه عليه إحدى عشرة مسودة ومخطوطتان كاملتان . لقد أراد أن يُندّدَ

عن طريق السخرية ، « بتحرير المرأة وبمَنْ يُدْعَوْن عَدَمِيّين » (رسالة إلى أخته) ، وهو يعلّق أهميةً كبيرة على ما كَتَبَ . فما يكاد هذا العمل ينتهي في كانون الثاني سنة ١٨٦٤ حتى يمضي إلى موسكو ليقدّمه « للمسرح الدرامي ». وهو يُقرؤه أولاً في حلقة أدبية ثم يقرؤه على الكاتب المسرحي الشهير ا - ن - اوستروفسكي . وإذْ لم يشأْ اوستروفسكي أن يُثبّط همّةَ تولستوي المُبتدىء في الفن المسرحي ، فقد نبّهه فقط إلى أن مسرحيته تَحتوي على القليل من العمل المسرحي ، وأنها ستزدادُ جَوْدةً إذا ما نُقّحت . لكن اوستروفسكي يكتب إلى نيكراسوف ، في ٧ آذار ١٨٦٤ : « جَرَّني تولستوي إلى منزله ليقرأ عليّ ملهاته الجديدة . وهي ملهاة متدنيّة جداً حتى إن أذنيّ تأذّتا حقاً » . إن السخرية من الجيل الجديد كانت تبدو بغيضةً على الكتّاب التقدميّين آنذاك ؛ وهذا ما فعله بالضبط تولستوي الذي كان محافظاً تماماً في هذه المرحلة من حياته . والذي تعاطف بوضوح مع الجيل القديم ، على الرغم من الأخطاء التي يَعْرفها جيداً . وبهذه الروح صوّر ملاّكاً عجوزاً ، بريبيشيف بِلَبْله إلغاءُ القنانة ، ملاّكاً غضوباً ومستحقّاً للقب الذي أُطْلِقَ عليه « المضطهد الصفّاع » ، لكنه مستقيم الطبع ، وفي غاية الطيب . وهو يحاول أن يتكيّف مع ظروف العمل الحر الجديدة ، ويبدو كريماً مع الفلاحين ، ويُثني على مَنْ حوله ، ويَبْذل وسعه لكي يَفْهم الجيلَ الجديد ولكي ينصفه . فمَنْ هم ممثّلو الموجة الجديدة ؟ هناك أولاً نموذج الطالب العدمي الذي يُفسّر كلّ شيء بالعلوم الطبيعية ، بفلسفةٍ آليّة ، والذي يريد أن « يُطوّر » الفتيات، أن يحرّرهن ، بتخليصهنّ من السلطة العائلية . لكنه هو نفسه ليس سوى وصولي

سوقيّ : فهو شره إلى المال ، يطمع في الفتاة الغنيّة ، ويُعلن أنها بحاجة « إلى دليلٍ شاب ونزيه » . ولما استبعده طالبُ زواج آخر أكثر جدّيةً اتّجه إلى كاترين وغازلها غزلاً خشناً ، واقترح عليها شكلاً من الحياة الجديدة في « مشاعيّة » ، مع شيء من التفكير في الإرث الصغير الذي ستتصرّف به . وكانت كاترين المسكينة هذه كالببغاء ، تردّد الشعارات التقدميّة . لكنها كانت تلتهبُ ، في أعماقها ، رغبةً في الزواج . لقد أغرِمَتْ بفينيروفسكي الذي ازدراها ، فاتّجهت إلى العَدَميّ . أما فينيروفسكي فيبدو كشخصيّة لها وجهان : فهو من جهة رائدٌ للتقدّم يُلقي المحاضرات ، ويكتب المقالات ، بل إنه يُنشيء مدرسةً ، ولا يخلو من بعض النزاهة – لقد رفض الرشوة – لكنه من جهة أخرى يخطب وارثةً غنيّةً ، وهو ما سيُتيح له أن يَتْرك خدمته . وبقربه يعمل الحاكم بالصلح بيلكيشوف الذي يَسْتمتع بعقاب الملاّكين المستبدين والموظفين السيئين والذي يُساعد فينيروفسكي في مناوراته من أجل هدف واحد وهو أن « يقمع أهل الفتاة » .

إن هذه اللوحة التي تتحوّل إلى لوحة كاريكاتورية ، كاشفةٌ عن آراء تولستوي في هذه الفترة . لقد كان راسخ الجذور في حياته : حياة الإقطاعي الريفي ، في الحياة العائلية ، وكان يكره أنصار الفكرة القائلة إن الأسرة هي العقبةُ الوحيدة في وجه تطوّر الفرد . ولقد ظلّ طوال حياته ، على كلّ حال ، عدواً لتحرير المرأة ، ولوصولها إلى التعليم العالي وإلى الثقافة . وتذكّرنا أختُ زوجته ، تاتيانا كوزفسكي ، في مذكراتها أن تولستوي كان يستحسن ، في أواخر القرن ، عبارة غليوم الثاني التي تقول : إن المرأةُ يجب أن تقتصر على الكنيسة والمطبخ والأولاد . وكان يقول : « لقد عدّد غليوم أهم ما في حياة المرأة » .

ألحّ صاحب إياسنايا بوليانا كثيراً لكي تُدْرَجَ مسرحيته في قائمة « المسرح الدرامي » . لكن الإدارة أجابته جواباً مراوغاً . وأُرجىء الأمرُ إلى الخريف . وفهمَ تولستوي ، من توسّط اوستروفسكي ، أن ملهاته لم تكدْ تَلْقى استحساناً . فعاد إلى بيته ووضعها جانباً ولم يسعَ بعد ذلك إلى طبعها . وأكبَّ على « الحرب والسلم » ، حتى إذا انتهى من رسم لوحته العريضة نحو ١٨٧٠ ، خطر له أن يؤلّف مسرحية عن عهد بطرس الأكبر ، ثم أهملَ هذا المشروعَ ولم يعد إلى المسرح إلا بعد ذلك بكثير ، وذلك ليقدّم أعمالاً في متناول الشعب ، وفَرَضَتْ نفسها عليه فكرةُ المسرح الشعبي .

المُقطِّر الأول : في الثمانينات استحوذتْ على تولستوي تلك **١٨٨٦** الأزْمةُ الدينيةُ والأخلاقية المعروفة . فانصرف عن الفن ، ولم يعدْ يَهْدف إلا إلى التعليم ، إلى تثقيف الشعب ، وفي الحكايات التي يؤلّفها ، يتجسّدُ الشر الذي يصارعُ الخير ، في الشيطان أو في العفاريت التي نجدها في المعتقدات الشعبية . وقد كتب ، في مطلع ١٨٨٦ ، قصةً قصيرة عنوانها « كيف استحقّ العفريتُ رغيفَه » . وفي شهر شباط من السنة نفسها قدَّمَ اقتباساً مسرحياً لها خصصه للمسارح الشعبية : هو « المقطِّر الأول » التي نُشرت مُستقلةً في شهر أيار في مطبوعات «الوسيط». لقد نسج مسرحيته هذه ، بصورة مقبولة ، على منوال القصة الأصلية .

يدور موضوع المسرحيّة على الشيطان الذي أراد أن يُغوي فلاحاً عادياً ليستوليَ على روحه . لكن الفلاحين الاتقياء الذين يتضرّعون إلى الله دائماً قلّما يذهبون إلى الجحيم . وخلال مشهدٍ ممتع ، تُعدِّدُ

الشياطينُ أمام إبليس فتوحاتِها : إن جمهوراً من الإقطاعيين والتجار والموظفين والنساء يَقَعون في الخطيئة المميتة . الشيطان المكلّف بالفلاحين هو وحده الذي لم يَنْجح في مهمته . حينئذ يشتغل الشيطان عاملاً عند الفلاح ، ويُنتج له غلة وفيرةً ، ويَنْصحه بأن يصنع من فائض الغلّة « ماء الحياة » ، « الشراب اللذيذ » الذي لا يَلْبَثُ أن يثير المشاجرات ، ويحوّل البشر إلى حيوانات متوحّشة أو إلى خنازير . والعبرةُ الأخلاقيةُ التي أرادها تولستوي بسيطة : إن الكحول اختراع شيطاني ، والفلاحون الذين يُفرطون فيه يقعون حتماً في قبضة الشيطان . ومن المعلوم أن شيخَ إياسنايا بوليانا قد أقلع شخصياً عن الخمر والتبغ .

إن اللغة التي يستخدمها تولستوي في هذه المسرحية ، تُمثّل مسبقاً ، بغناها ونكهتها ، لغةَ سلطان الظلمات .

وليس يَخْلو من الفائدة أن نُذكرّ مع ستراخوف أنّ تولستوي كان يَقْصدُ النزلَ التي يتوقّف فِيها الحجّاج الذاهبون إلى كييف : « كانت لغتُهم هي التي تسترعي اهتمامه ، فضلاً عن عاطفتهم الدينية . لقد أخذَ يَسْتشعر جمال اللغة الشعبية ، وكان يقعُ في كل يوم على كلمات جديدة وتراكيب جديدة . وكان في كل يوم يزدادُ عنفاً في حَمْلته على اللغة الأدبية التي كان يتّهمها بأنها غيرُ روسية ، وإنما هي « اسبانية » . وأضاف ستراخوف : « كل ذلك سيُعطي نتائج ثمينة ، وأنا واثق من ذلك » . هذه النتائج ، من جُملتها ، المسرحيات والقصص التي كتبها بدءاً من ١٨٨٦ .

قلنا إن المسرحية نُشرت في أيار ١٨٨٦ ، في « الوسيط » . ومنذ شهر تموز من السنة نفسها ، مُثِّلتْ بنجاح كبير على مسرح شعبي ،

في حيّ من أحياء بطرسبرج وعلى مسارح أخرى . لكن الرقابة .
في نيسان ١٨٨٨ ، منعتْ عُروضَها العامة بسبب الهجمات المسرفة
الحدّة التي تحتوي عليها ضد الموظفين والإقطاعيين ولم تُمثّل منذ
ذلك الحين إلا على أيدي الهواة . ومن الجدير بالملاحظة — وهو شيء
جدّ غريب — أنها لم تُعَد طباعتُها في الطبعات السوفيتية ما عدا طبعة
١٩٢٦ ،المسماة طبعة اليوبيل .وهي ليست في متناول الجمهور الأعظم.

الإقطاعي الذي افتقر : هذه المسرحية تلتْ مباشرةً المقطّر
١٨٨٦ الأول . وتجري أحداثُها في الأزمنة الغابرة
عندما كان الناس يعتقدون بالمعجزات .

وفيها يندّد بمزاعم الحسب ويُزْري بعجرفة النبلاء . والموضوع بسيط :
إقطاعي بواوني فظ ومُمتلىء بالغطرسة ، معادٍ لتعاليم الإنجيل ، يجدمن
الطبيعي تماماً أن يعيش في الرخاء وأن يملك ما لا يقلّ عن مئات القرى .

وبينما كان يطارد ، ذات يوم ، أيلاً ليصطاده ، خَلَعَ ثيابه
ليَعْبر مجرى ماء ، فلم يعرفه الفلاحون ، وجلده قطّاع الطرق ، ولم
يُصدّق الرعاةُ ما يقول . . وعدّه الناسُ غشاشاً ولا سيّما أن إقطاعياً
آخر يشبهه شبهاً تاماً قد اغتصب مكانتَه في القصر . وهو يبذل وسعه
ليعمل بين الفلاحين ، لكنه لا يُحْسن مَسْك المذراة . ولا يلبث أن
يخالط المتسوّلين الهائمين على وجوههم ، ويَذِلّ ، ويثوب عن حياته
الماضية : حينئذ تغفر له السماء . ويعود إلى قصره ، لكنه سيُظهر منذ
الآن رعايةً أكبر للفقراء . . .

هذه العبرة الأخلاقية المبسّطة كاشفةٌ عن تولستوي الجديد ، عن
عذاباته ، ووساوسه ، وجهوده ليُقلع عن حياة الإقطاعي ، ليَعْتنق

الحياةَ الهائمة ، الفقر الإنجيلي ، لكي لا يعيش كما كان يعيش من قبل .

سلطان الظلمات : كتب تولستوي هذا العمل التهذيبيّ الثالث ، **١٨٨٦** الموجّه للشعب هو أيضاً ، في تشرين ١٨٨٦ ، دفعةً واحدة ، في أسبوعين ، بعد أن زاره ، وهو مريضٌ ، صديقٌ له — آ . آ . ستاخوفتش — وكان قارئاً ممتازاً ، فعرّفه ببعض مسرحيات اوستروفسكي . أما موضوعُ المسرحيّة فقد زوّده به حدثٌ واقعي : قضيّة جنائية رواها له صديقٌ آخر هو دافيدوف رئيس محكمة تولا . لقد قتل أحدُ الفلاحين ، ويُدْعى كولوسكوف ، وليدَه الذي جاءَه من ابنة زوجته هيلين ، وعمرها ستة عشر عاماً ،ودفنه في فناء بيته . وفي يوم زواج هيلين ، اعترف بجريمته أمام جميع المدعوين ، وحاول في الوقت نفسه أن يقتل ابنته الشرعيّة التي تبلغ السادسة ، « شفقةً عليها » ، على حدّ تعبيره ، ولكي لا يتركها وحدها . وأثارت القضية ضجّةً كبيرة في وقتها ، كما أثارت مشاعر تولستوي إلى حد كبير حتى إنه زار كولوسكوف مرتين في سجنه . بيد أنه أدْخل على المسرحية تعديلاً ملطّفاً للواقعة الأصلية : فقد ألغى محاولة قتل الطفلة ، واستبدل بها التسميم البطيء للزوج . على أن ذلك لا يمنع أن تكون الشخصيّات الرئيسية مُسْتلهمةً من ذلك الحدث الحقيقي » . كما قال في إحدى رسائله .

وينبغي أن نعترف بأن لهذه الشخصيات بروزاً أخّاذاً : الشاب نيكيتا الذي يُغوي ثلاث نساء الواحدة بعد الأخرى ؛ الشهوانية آنيسيا ؛ الوقحة ماتريونا التي تدفع ابنها ذاته إلى الجريمة ؛ العجوز آكيم اللجلاج ،

ذو النفس التقية الذي يجعل الغلبة ، في تيه الجرائم المظلم ، لروح المغفرة . أما نيكيتا ، فليس كائنا شريراً بطبيعته . وإنما هو عالق في خطيئة الجسد . وهو يغرق في الجريمة دون قصد . وعلى كل حال فان أمه والتي يحبها تدفعانه إلى ذلك . ويحس المجرم هنا ، كما في الجريمة والعقاب ، بحاجة لا تقهر إلى الاعتراف العام . إنه يريد أن يكفر عن خطيئته . فهذا الندم والحاجة إلى التكفير التي ترافقه يكونان العقاب الحقيقي ، لا العقوبات الاجتماعية . التجدد لا القصاص ، هذه هي فكرة تولستوي .

هذه الدراما الكالحة حقاً ، والمرعبة أحياناً ، لم ترض عنها الرقابة التي وجدت فيها « وقاحة في التعبير لا تطيقها أعصاب المسرح » (هكذا) . وفي ٢٧ كانون الثاني ١٨٨٧ قرأ حاجب الأمبراطور ستاخوفتش — الذي ذكرناه آنفاً — هذه المسرحية ، في مخطوطتها ، على الامبراطور الإسكندر الثالث وعلى كبار الدوقات المجتمعين في القصر . وكان الانطباع الذي أحدثته عميقاً . وقد هتف القيصر في النهاية : « هذه مسرحية رائعة » وأعطي ، في الحال ، الأمر بتمثيلها على المسرح الامبراطوري في بطرسبرج ، وعملت الإدارة المستحيل لإخراجها . ولم يحسب أحد حساباً لمكائد المشؤوم الطالع بوبييدونوتسيف الذي عرف كيف يقنع الأمبراطور بالطابع اللا أخلاقي الشديد لهذا العمل . فقد ألقى في خلده أن الاتجاه المشؤوم لهذا العمل لن يؤدي إلا إلى زيادة تأثير أفكار تولستوي المشؤومة في المجتمع الروسي . كانت الأدوار قد حفظت والثياب قد جهزت عندما تلقت المسارح الامبراطورية ، في ٢٤ آذار ، أمراً بشطب سلطان الظلمات من برنامجها . وكانت المسارح الخاصة هدفاً للخطر نفسه . وعبر الاسكندر الثالث

في إحدى رسائله ، عن رأي مناقض تماما للرأي الذي أبداه عند قراءتها . صرّح : « إن المسرحية مسرفةٌ في واقعيتها وموضوعُها مرعبٌ . ومن المهم أن يوضع حدٌ للفضيحة التي أثارها ليون تولستوي . فهو لا يعدو أن يكون عدَمياً ومُلحداً . بل قد يكون من المرغوب فيه خطر بيع مسرحياته » . ومن السهل أن نتبيّن ، تحت هذا الكلام ، فكرةَ وكيل المجمع المقدّس ، ومع ذلك فان نَشْر « سلطان الظلمات » سُمِحَ به في المجلد الثاني عشر من أعمال تولستوي الكاملة ، لكنْ لم يُسْمَحْ للمؤلف بنشر المسرحية في كتاب منفصل . ومع ذلك فلا ريب أن النجاح الذي لقيته عند ظهورها كان هائلا : بيعَ مئتان وخمسون ألف نسخة في ثلاثة أيام .

تُرْجمت المسرحيةُ فوراً إلى الفرنسية في ١٨٨٧ ، وفي ١٨٨٨ ، ومثّلها أنطوان في ١٠ شباط ١٨٨٨ على خشبة المسرح الحر ، مسرح مونبارناس إذ ذاك ، بنجاح كبير أيضاً . والجدير بالملاحظة أن العَرْضَ سَبَقَه جدلٌ حامٍ بين مختلف الكتّاب الفرنسيين . فبعضُهم مثل الكسندر دوماس الابن ، وفيكتوريان ساردو ، وأميل اوجييه اعتبروا هذه الدراما ، مثل الاسكندر الثالث ، دراما من وحي الواقعية المفرطة ، وأنها ، بهذه الصفة، لا تصلح إلا للقراءة . وبعضهم الآخر — ومنهم زولا والفيكونت دي فوغي — انحازوا إلى تولستوي وسندوا أنطوان في مشروعه . وكانوا على حقٍ في ذلك .

لم يُسْمح بتمثيل سلطان الظلمات في روسيا إلا في سنة ١٨٩٥ ، بعد موت الاسكندر الثالث . وكان تولستوي ، على كل حال ، أول المدهوشين من نجاح عمله ، ولم يكن يتوقّع ، كما باح لصديقه بول

بيريوكوف ، بمثل هذا الترحيب من جانب الجمهور . وكان يعتقد أن هذا العمل لا يصلح إلا للعروض الشعبية ، ويضيف مازحاً : « لو كنتُ أعلم أنها ستُعجب الناسَ إلى هذا الحد لكلّفتُ نفسي أن أكتبها كتابةً أفضل » . وفي الحقيقة ، إن لغة تولستوي في هذه الدراما ممتازة ، إنها لغة شعبيةٌ حقيقية ، ومناسبةٌ للمقام ، قد أَحْسَنَ الكاتبُ استخدامَها ، وهي ملأى بالعبارات اللذيذةِ النكهة التي لا تكاد تُتَرجَم أو التي لا تُترجم على الإطلاق . ولبعض المشاهد قوةٌ حقيقيّةٌ قد تُذكرٍ بقوّة الملك لير . لكن شكسبير لم يصلْ ، بطبيعة الحال ، إلى ما كان يحلُمُ به : أن يَخْلع شكسبير عن عرشه . . .

ثمار الحضارة : كلّنا يذكر رواج استحضار الأرواح في **١٨٨٩** آخر القرن الماضي . (ألم يَبْقَ كونان دويل حتى موته مقتنعاً باستحضار الأرواح ؟) وقد بلغَ هذا الرواجُ طبقاتِ المجتمع الراقي في مدن روسيا الكبرى حيث لم يكن يدور الكلام إلا على الوسطاء . وقد حضر تولستوي بعض جلسات استحضار الأرواح وتسلّى بها كثيراً . ولم يكن يرى في ذلك سوى التغرير ، ولهو الناس السذج الذين قرفوا من كل شيء . وبدأ كتابة مسرحيته في ١٨٨٦ ، لكنه تركها جانباً فلم يستأنفها إلا في سنة ١٨٨٩ بناءً على طلب ابنته البكر تاتانيا ، التي خطر لها إخراج عرض مسرحي يقوم به الهواةُ في إياسنايا بوليانا . وأثناء التجارب المسرحية أجرى بعضَ التنقيحات على النص . وعندما مُثّلتْ المسرحية في ٣٠ كانون الأول ١٨٨٩ نالت نجاحاً عظيماً ، وبعد سنتين نُشرت ، وانتقلت إلى قوائم المسارح القومية والأجنبية ، لأنها تُرجِمتْ إلى عدة لغات .

هذا العمل الذي تدفقّتْ به قريحةُ تولستوي من أفضل أعماله المسرحية . والنقد فيه لاذع : نقد العلاقات الشاذة بين الفلاحين وكبار الملاّك العقاريين ، نقد التباين بين فقدان الشعور ، والتفاهة لدى الأغنياء النبلاء وبين الحياة البائسة ، المُهانة ، المنسيّة التي يعيشها الفلاحون الفقراء. مَنْ هم أبطال الصراع ؟ ملاك كبيرٌ - يملك ثمانين ألف هكتار - لا يهتمّ إلا باستحضار الأرواح في حين أن امرأته لا تفكّر بغير زينتها ويَسْتحوذ عليها خوفٌ واحد هو خوفُها من الجراثيم. وابنهما وله هوى واحد: الكلاب السلوقية؛ وابنتهما، وهي ليست سيئة في أعماقها، لكن عَصَفَتْ بها أعاصير التفاهة التي تكتنفُها؛ والبارون كوكو الذي لا يُعْنَى بغير الألغاز؛ والمدعوّ بيتر يشتيبيف الذي يستفيض بنكات بعضُها أبلهُ من بعض؛ والأستاذُ، أخيراً، وهو مولع باستحضار الأرواح أيضاً، وهو يُلقي خطباً علميةً كاذبة لا نهاية لها . . . وفي مواجهة هذا « العالم » ، هناك عالم الخدم المضطرّين ، لكي يكسبوا قوتَهم ، إلى أن يخدموا هؤلاء الطفيليين وأن يكابدوا منهم ضروبَ الإذلال . ولا يُخفي تولستوي العطفَ الذي يحمله لهم : من تانيا النشيطة الخفيفة الشاطرة إلى ذلك الطاهي العجوز السكّير . ونحن نرى في المسرحية فلاحين بذلوا غاية جهدهم ليجمعوا أربعة آلاف روبل ليشتروا من الإقطاعي قليلاً من الأرض. (يستدينون من مصرف الفلاّحين) وهم لا يَلْقَون ، بالطبع ، سوى عدم الفهم من المعلم ، بل إنهم يتعرّضون للطرد من زوجة الملاّك التي تخافهم كما تخاف الطاعون : ذلك لأنهم حَمَلَةُ الجراثيم! إن المرارة التي يحسّون بها كبيرةٌ : فهم يَشْكون أنهم لا يملكون من الأرض ما يكفي « لإطلاق دجاجة فيها » - وقد لقي هذا التعبير نجاحاً . ومع ذلك فهم يَبْدون ، من تحت هذا الخجل كائنات خيّرة للغاية ، تتحلّى بكرامة أخلاقية عظيمة ، كائنات

هي بالاختصار ، أعلى من الكائنات التي تُسيء معاملتها وتستخفّ بها ، من كل النواحي .

بطرس العشّار : هذه المسرحية التي استوحاها تولستوي من **١٨٩٤** الكتاب المقدّس والتي خصّصها للجمهور الشعبي ، لا تخلو من الأهمية . فهي توسّع موضوع موشّحة نيكراسوف الشهيرة ، لكن الأحداث تجري في سورية ، في القرن الثالث ، في عهد الحماسة المسيحية الكبيرة . وهي تروي قصة تحوّل تاجر غنيّ عذّبه تبكيتُ الضمير . إن بطرس ، العظيم الثراء ، أبى ، خلال ثلاثين عاماً ، أن يعطي أحداً كسرةَ خبز . مرةً واحدة رمى بكسرة خبز لحاجٍ مسكين ، — وبشيءٍ من الغضب والحنق — . وإذا بالمرض يَصْرعه : حينئذ فكّر في الموت وبالكلمة القائلة : « إن الأغنياء لا يمكن أن يدخلوا ملكوت السموات » . ثم تخيّل يومَ الحساب وأدرك أن عملاً واحداً خيّراً قد يوازنُ سنين من الآثام . فاعتنق العقيدة المسيحية ونَذَرَ أن يوزع أمواله على الفقراء . لكن أسرته تعارضُه : فينفصل عن زوجته ويقرّر أن يتصرّف بشخصه لأن ذويه يرفضون مشاطرة الفقراء أموالهم ، ويأمر خادمه أن يبيعه كعبدٍ وأن يعطي الفقراء الثمن الذي يأتيه . وهذا ما جرى فعلاً في مصر . وبعد ثماني سنوات ، تعرّف إليه طبيبٌ آتٍ من سورية . لكن بطرس يتوارى . إنه لا يريد أن يكرّمه أحد .

كيف لا نتبيّن هنا عذابَ تولستوي الأساسي : وسواسه لتوزيع أملاكه ، نزاعَه مع أسرته ، عجزَه الشديد عن التضحية بذاته ، عن عطاء كل شيء ، عن الهرب من عبادة الجماهير لكي لا تبجّله أبداً .

الجثّة الحيّة : هذه الدراما المؤلّفة من اثنتي عشرة لوحة ،
١٩٠٠– ١٩٠٤ والتي هي ، بلا شك، أكثر مسرحيات تولستوي شهرةً ، استوحاها تولستوي، مثلها مثل سلطان الظلمات، من واقعة حقيقة داخلة في الوقائع القضائية . ففي سنة ١٨٩٧ عَرَضَ عليه صديقه القانوني دافيدوف حالة الزوجين هيمر : فقد الزوجُ عمله وتمرَّغ في قاع المدينة بعد أن أمعن في السكر على إثر صدامه الفاجع مع امرأته . لقد هجر امرأته ، وتظاهر بالانتحار بناءً على طلبها ، واستطاعت أن تتزوّج مرةً ثانية . ثم انكشفت الخدعةُ مصادفةً ذات يوم ، وأُحيلَ الزوجان إلى القضاء . أكبّ تولستوي على العمل في كانون الثاني ١٩٠٠ واشتغل بمسرحيته حتى تشرين الثاني . وفي عام ١٩٠٤ أدخل عليها بعض اللمسات لكنه لم يُسلمها للنشر : ذلك ان هيمر الابن زاره بالفعل ورجاه ألا يُذيع الفاجعة بنَشْره لمسرحيته . على أن القضية لم تنته نهايةً بالغة السوء : ذلك أن الزوجين بُرِّئا وحُكما بعقوبة كنسية فقط . وكان أمراً مُحرجاً إثارةُ المسألة من جديد .

لم تُنْشَر المسرحيةُ إذن إلا بعد موت تولستوي . ولقيت رأساً نجاحاً عظيماً . ومُثّلت لأول مرة في أيلول ١٩١١ في مسرح ستانيسلافسكي الفنّي في موسكو . وتجلّى فوزُ « موسكفين » الباهر في دور بروتاسوف . وقد مُثّلتْ المسرحية في الأشهر التسعة وحدها من السنة التالية تسعة آلاف مرة على أكثر من مئتي مسرح روسي . ولم يكن استقبالُها أقل توفيقاً على مسارح أوروبا الغربية .

ويُلاحَظ أن شخصية بروتاسوف ، بالرغم من إدمانها السكْر ، تَحْظى بعطف المؤلِّف : ذلك أنه رفض مصالحة النظام القائم ، وتخلّى

عن الحياة البرجوازية ، ونزل إلى الفقر ، وأراد أن يكون مغموراً ، وذلك هو مثل تولستوي الأعلى الذي لا يُنال .

النور يَسْطع في الظلام : ١٩٠٠ ــ ١٩٠٢ كُتبتْ هذه المسرحية من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٢ ولم تتمَّ بسبب طابعها الشخصي ، من غير شك . فالفصل الخامس غائب . ولم ير النصُّ النور إلا في سنة ١٩٢٦ ، استناداً إلى نسخة عنه مرسلة من موسكو . فهل مُثِّلتْ هذه المسرحية ؟ هذا مع أنها أكثر أعمال المؤلف تأثيراً وعمقاً ، إن لم نقلْ أكثرها نجاحاً . ففيها يصوّر تولستوي نفسه على المكشوف : إن نيكولا سارنتسيف ، بطل المسرحية الرئيسي هو تولستوي نفسه . وهو ، مثل تولستوي ، رجلٌ دبّت إليه الشيخوخة ، مشغوف بالإنجيل ، ولا سيما بالموعظة على الجبل ، مُنْكرٌ لشعائر الكنيسة وحتى للعقيدة . وهو لا يهتمّ كثيراً باولاده الذين يعيشون حياةً أقربَ إلى الحياة الاجتماعية المنحلّة . وهو يجد نصيراً لأفكاره في شخص كاهن شاب يُعطيه « رينان » لكي يقرأه ، وفي شخص خطيب ابنته البكر ، على الخصوص : الأمير الغني بوريس تشير يمشانوف الذي يعتنق ، كمعلّمه ، الفوضويّةَ مثلاً أعلى ، ويعتنق الفكرةَ القائلة بأن الخدمة العسكرية ظلمٌ لأنها تناقض التعليم : « لا تَقْتُلْ » . إن بوريس يرفض أن يؤدي القسم العسكري ويغدو شهيد استنكاف الضمير . وسيتذكّر الناس ، بهذه المناسبة ، الحادثة الغريبة التي حدثت لابن تولستوي الثالث سنة ١٨٩٢ ؛ لقد تطوّع ابن الكاتب في كتيبة من رماة الحرس ، وأراد أن يرفض أداء القسم الرسمي ، حفاظاً على مثله الأعلى . لكن القائد ــ الحليم ــ دعا ، تحاشياً للفضيحة ، مجلسَ الأطباء الذي أقرّ

بأن ابن تولستوي « غير لائق للخدمة العسكرية بسبب وضعه الصحي » . وعاد الابن إلى اياسنايا بوليانا يغمره الخجلُ ، كما روى هو نفسه في مذكّراته . إن الكارثة الممكنة تحولت إلى مهزلة . لكن الأمر لم يكن كذلك دائماً مع سائر أتْباع تولستوي : فمعظم المستنكفين ضميرياً كابدوا عقوبات صارمة في روسيا ، مثل « الناصريين » في النمسا وهنغارياً الذين حدّث تولستوي عنهم الطبيبُ السلافي دوشان ماكوفيتسكي .

لقد نَقلَ تولستوي بقوّةٍ ، في مسرحيته ، الجدل الوجداني لدى الشاب بوريس ، وهو الوحيد الذي ظل أميناً لفكر سارنتسيف الكاهن الشاب الذي نُفي إلى سولوفكي . تنكّر لتعاليم معلّمه وعاد إلى طاعة الكنيسة الرسمية . ولم تَفْهم زوجةُ سارنتسيف ، بوريس ؛ أما البنتُ المتقلّبة فقد عثرت بسرعة على عاشق جديد ، وأما الأولادُ الآخرون فهم لا يفكّرون إلا في الموسيقا وفي الحفلات الراقصة . وظلّ الرجلُ العجوز وحده يجترّ أفكاره المريرة ، ويدور في القلق ، قائلاً في نفسه أبداً : « يجب أن نتخلّص من هذا التّرف المفسد » . لكنه لا يَقْوى على ذلك . ومن السهل التعرّف من خلال ذلك على مماطلات تولستوي نفسه . وفي الخطوط العريضة للفصل الأخير — وهو لم يُكتَبْ إذن — تأتي أم بوريس لتَقْتل برصاصة مسدس هذا الذي أغرق تلميذه في الشقاء . ويموتُ سارنتسيف في حالة من السكينة النفسية ، ذلك أنه وجد أتباعاً جدداً : الدكهوبور . . .

كلُ الفضائل تأتي منها : وهذه المسرحية من آخر أعمال
١٩١٠ تولستوي ، إذ أنها كُتبتْ قبل موته بقليل .
وهي أيضاً مسرحية تهذيبية تعالج مساوىء

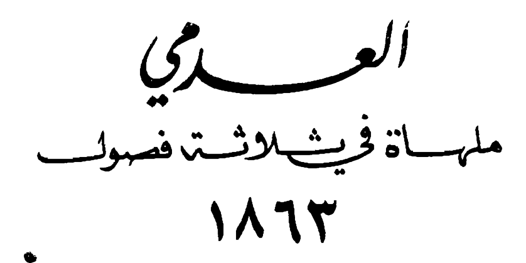
الكحول وتُعيدنا إلى « المقطّر الأول » . لكننا لا نجد هنا ابليس والشياطين : فاللهجةُ واقعية . إنها لوحةٌ تقلّد الواقع بكثير من الدقّة ، وخلفيّتُها هي حياة الفلاحين التي يَعْرفها المؤلف جيداً . ونحن نرى فيها أسرةً فقيرةً تَنْتظرُ فيها النساء – الأمُ والزوجةُ والبنتُ – بكثير من القلق عودةَ ربّ الأسرة . (لقد ذهب إلى المدينة ليبيع العلف) . وهو ، على العموم ، يسكر برفقة إينياس ، رفيقه الغبيّ . هل سيَحْمل معه قليلاً من المال أم سيُنفق كل شيء في السُكْر ؟ وفي هذه الأثناء ، يأتي جابي الضريبة بعابر سبيل لإيوائه ليلة واحدة . ويُستَضاف ثم لا يَلْبثُ أن يدور الحديثُ على مساوىء الكحول . فيُؤكّد الضيفُ أن لجميع الكوارث سبباً واحداً : ماء الحياة . ويَرْوي كيف أن الشرابَ أفسد حياته . لقد كان ميكانيكياً ، وكان ، لبعض الوقت ، عضواً في حزب ثوري ، وعرف السجنَ . وهو الآن يبحث عن عمل . عند ذلك ، يصل ميشيل واينياس ، وهما يترنّحان . لقد ذَهبَ مالُهما ، ولم يَحْملا معهما سوى شيء من السكر والشاي . ويشربون . فيروي عابرُ السبيل أيضاً أنه عرف السجن على إثر حادثة سطو ، وهو شيء كان معهوداً إذ ذاك في روسيا . وفي اليوم التالي ، يلاحَظُ غيابُ السكر والشاي مع غياب عابر السبيل . ويوقَفُ هذا ويُقْتاد إلى المنزل الذي استضافه ، فيَغْفر له الزوجان ، بل ويُهديانه السكر والشاي . فيطلب المسكينُ المغفرةَ ، ويبكي معترفاً بحقارته . لقد حوّلتْهُ الخمرةُ إلى شقيّ ليس غير .

يُلاحَظُ إلى أي حد كان تولستوي متحيّزاً عندما قدّم عابر السبيل على أنه ثوري . والواقع أنه ليس سوى حكّاءٍ ، كذّاب ، غشّاش . (والسطو أفاده هو ولم يفد الحزب) . وهو ، بالاختصار

« ابن الدعارة » الذي تقاذفته أمواجُ القدر ، ودمّرته الكحولُ ، وهو يكوّن مع النزاهة الفلاّحيّة تبايناً جاداً — وسهلاً . وهذه الطريقة الكاريكوتارية في تصوير الشخصية الثورية تُذكّر بأشباح العدميين الباهتة المختُلَقَة برمّتها . إن نبيّ لا مقاومة الشر ، ورسول المحبّة والغفران لم يكن يتعاطف مع الثوريين إلا بمقدار ما يكونون شهداء لقضيتهم . لكنّ مالم يتوصّل إلى فهمه هو العنف : « في هذه الثورة ، أؤدّي ، بكامل رضايَ ، مهامّ محامي الشعب المكوّن من مئة مليون فلاح . وأنا أبتهجُ بكل مايمكن أن يُسْهم في سعادته . . . لكني أنظرُ برعبٍ إلى العُنْفِ والقتْلِ مِنْ أية جهةٍ جاءا » .

الكسندر . ف . سولوفييف

* * *


العدمي
ملهاة في ثلاثة فصول
١٨٦٣



الشخصيات

غلافير فيدوروفنا : سيدة عجوز .

فيونا(١) اندريفنا : متطفّلة(٢) على المنزل .

سيمون ايفانيتش : ابن غلافير وملاّك عمرُه أربعون عاماً .

ماري دميتريفنا : زوجته .

ليوبا : أختها .

ناتالي بافلوفنا : صديقة ليوبا .

نيكولنكا : تلميذ ثانوي ، ابن أخ سيمون ايفانيتش .

كريزانت(٣) فاسيليفتش : طالب ، عدمي ، مربّي نيكولنكا .

تجري الأحداث في أملاك سيمون ايفانيتش

---

(١) فيونا : شكل روسي لا سم يوناني نادر جداً هو : شيونيا .

(٢) « متطفلة » : كان الكثير من البيوتات النبيلة في هذا الزمن تؤوي « المتطفلين » الذين يعيشون فيها على حساب النبيل ؛ وكانوا في الغالب من الأقارب البعيدين والفقراء .

(٣) كريزانت : اسم يوناني مستعمل فقط بين رجال الكهنوت الروسي ؛ وفيه إشارة إلى أصل الطالب .

الفصل الأول

المشهد — ١ —

« غلافير فيدوروفنا ، فيونا اندريفنا ، سيمون ايفانيتش ، حول فنجان شاي » .

غلافير فيدوروفنا : دعوتَ الناسَ ، يا سيمون ، لكنني لا أفهم : ليتهم كانوا ، على الأقل ، في مستوى لائق . الله أعلم من أين يجيئون ! لقد دخلوا أمس غرفة المهملات ، وفتّشوا كل شيء فيها ، وقلبوه رأساً على عقب . ما أسخف طريقةَ التسلية هذه ! آه ! من هذا الجيل الجديد . . .

فيونا اندريفنا : ألافضل ألا تَدْعو أحداً ، في مثل هذه الأيام ، يا صديقي . أتعلم أن حوذياً لدى آل جيفوتوفسكي دخل المنزلَ من النافذة .

سيمون ايفانيتش : مالنا وللحوذي . فللشباب ملء الحقّ في أن يَلْهوا . أليس كذلك ؟ لكنْ ، أين ذَهبَ ضيوفُنا ؟

غلافير فيدوروفنا : يا عزيزي ، أنت توافقهم على لهوهم ، لكنك لا ترى أنهم فقدوا كل احترام لمن يَكْبرُهم سناً . فاليوم هو عيدُ ميلادك ، ولم يأتِ أحدٌ منهم بعدُ لتهنئتك .

فيونا اندريفنا : هذا هو الوضع الجديد . فهناك الآن هؤلاء الجهنميون(١) وينبغي تقديم الطعام والشراب لهم .

سيمون ايفانيتش : أهُمْ بهذه الكثرة ؟ لكنْ ، لمَ تُزعجين نفسك ، يا أمي ؟ كان لا بدّ لي من دعوة ابن أخي لقضاء العطلة ، ومعه هذا الطالب الذي يرافقه والذي هو مربّيه . . .

غلافير فيدوروفنا : لكننا لا نستطيع دائماً أن . . .

فيونا اندريفنا : يا إلهي !

سيمون ايفانيتش : ثم إن أخت زوجتي قد تركتها المدرسة الداخلية(٢) تخرج ، وهي مع صديقة لها ، فتاة فاتنة . . .

فيونا اندريفنا : طيّب ! أنا أقول : إن هؤلاء « الصديقات » ، سيُذيقْنَكَ من العذاب .

سيمون ايفانيتش : كيف؟

غلافير فيدوروفنا : لا شيء .

فيونا اندريفنا : أتريد شيئاً من السكر ، يا صديقتي ؟

المشهد — ٢ —

« الأشخاصُ أنفسهم وماري دميتريفنا التي تقف على عتبة الباب » .

سيمون ايفانيتش : آه ! ها هي ذي !

---

(١) الجهنميون : فيونا تحرف كلمة « عدمي » وتشتقها من « جهنمي » عن طريق الخلط بينهما.

(٢) تركتها المدرسة الداخلية : كانت الفتيات قديماً تستبقين ، أثناء العطلة المدرسية ، في المدرسة الداخلية .

ماري دميتريفنا ، **على الباب** : إيـّاكم أن تنسوا شيئاً . (تقترب من زوجها وتقبـّله) . صباح الخير ، يا عزيزي ، أتمنّى لكَ عيداً سعيداً . صباح الخير ، يا ماما ، أهنـّئك بعيد ميلاد ابنك . احترامـاتي ، يا فيونا اندريفنا .

غلافير فيدوروفنا : يبدو لي ، يا عزيزتي ، أن هذا اليوم يومٌ سعيد بالنسبة إلى الجميع .

ماري دميتريفنا : أعلم ذلك ولن أنساه .

(تعانق زوجها)

سيمون ايفانيتش : أتعلم إلى أين ذهبت ليوبا والجماعة ؟

ماري دميتريفنا : رأيتـُهم . . . لا لم أرهم .

غلافير فيدوروفنا : كلٌ شيء كان مختلفاً ، في زماني . فعندما كان زوجي يحتفل بعيد ميلاده ، كنتُ أنهضُ مبكرّةَ — أذكر ذلك — وكنت أُشرفُ على كل شيء في المنزل ، فأُعدّ المفاجآت ، وأصْنع باقات الزهور . وكان كلٌ واحد يُلقي شيئاً من الشعر الخفيف ، بل إن أختي عـزَفتْ ، ذات مرة ، قطعة موسيقية على البيان القيثاري . . .

فيونا اندريفنا : هل تذكرين ، يا صديقتي ، أنه قد مُثِّلتْ ملهاةُ تـُدعى : « الحبل » ؟

غلافير فيدوروفنا : أيّ حبل ؟

فيونا اندريفنا : قلتُ : إن هذا هو عنوان الملهاة .

غلافير فيدوروفنا : وعندما كان زوجي العزيز يدخل ، كانت التهاني

تنطلق إليه من كل مكان . كان ذلك مؤثراً ، أؤكّد لكم .
لا نستطيعُ أن نقول أن الأشياء هي نفسها هنا .

فيونا اندريفنا : لا يمكنني أن أتذكّر ذلك دون أن أبكي . لقد كانت تلك الأعياد أعياداً حقيقية ، لا كما هي اليوم . . . وعندما أرى ، لدى الشباب ، مثلَ هذا النقص في الحب ، فاني لا أستطيع أن أمتنع عن البكاء .
(تذرف دمعةً)

ماري دميتريفنا : أحقاً كان الأمر كذلك ، يا أمي العزيزة ، في زمانك؟ وهل هو اليوم أقلّ حسناً ؟

غلافير فيدوروفنا : أقلّ حسناً بكثير .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم . تصل ليوبا وناتالي وكريزانت وهم يركضون»

ليوبا : صباح الخير ، يا غلافير فيدوروفنا أقدّم لك تهانيّ . تمنيّاتي لك ، يا سيمون .

ناتالي : متغنّجة ، ومنحنية انحناءة الاحترام : **صباح الخير ، يا سيدتي ، اهنئكِ ، وأنتَ أيضاً ، يا سيدي ، اهنئكَ .**

ليوبا : بمرح : لمَ تبكين ، يا فيونا اندريفنا ؟

كريزانت : لماري ، بهدوء : وجدتُ . . .

ماري دميتريفنا : بصوت خافت : ممتاز .

سيمون إيفانيتش : عمّ تتحدّثان .

كريزانت ، لسيمون ايفانيتش : بما أن العادة تقضي بأن يقدّم الناسُ تمنيّاتهم ، فأنا أقدّم لك تمنياتي ، يا سيّدي .

سيمون إيفانيتش ، لماري : ألم تتعرّفي بعدُ على كريزانت فاسيلييفتش ؟

ماري دميتريفنا ،مرتبكةً : يَعْنِي ، بلى . . . لا لم نتلاقَ . صباح الخير .

كريزانت ، محيّياً : بلى ، تلاقينا قبل الآن . (لفيونا) ولمَ تبكين ، يا فيونا اندريفنا ؟ ألم يسُرِنا التقدمُ أن الدموع ليست سوى وظيفة من وظائف العضوية .

فيونا اندريفنا : اذهبْ عنا أنتَ « وعزو تيك »(١) . أنا أيضاً أستطيع أن أبتكر منها الشتائم . رأيتُ كثيرين غيرك ، يا صغيري ...

غلافير فيدورفنا : أنا سعيدةٌ ، يا أصدقائي ، أنكم جئتم لزيارة ابني . أخشى فقط ألا تستمتعوا جيداً معنا ، نحن السيدات المسنّات . تغيّر الزمن كثيراً . **وأنتِ ، يا عزيزتي ، هل أنهيتِ دراستك ؟**

ناتالي : لا ، يا سيدتي ، لم أُنهها بعد .

ليوبا ، تشدّها من ثوبها : لا داعي لأن تقولي ذلك . فسوف يكتشفونه بسهولة .

ماري دميتريفنا : الجو شديدُ الحرارة هنا . (مقتربة من الشبّان) عسى ألا يتبيّن شيئاً .

(صمت)

---

(١) عزوتيك : فيونا تحرف كلمة عضوية لا عنقادها أنها شتيمة .

غلافير فيدوروفنا : ما أَسْرعَ ما ارتبطتْ امرأتكَ بصداقة مع هؤلاء الشبّان .

سيمون ايفانيتش : كيف ؟

فيونا اندريفنا : إنها شديدةُ الاحتفاء بالضيوف ، امرأتك .

المشهد — ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، نيكولنكا »

نيكولنكا : **يدخل وهو يركض** : تهانيّ ، يا غلافير فيدوروفنا ، وتهانيّ لكَ أيضاً ، يا عمّي .

(يُحيّي فيونا تحيّةً مضحكة ، ثم يلتفت إلى الفتيان . يتهامسون جميعاً ويهربون) .

سيمون ايفانيتش ، منادياً : ماشا ! ماشا !

المشهد ٥

« **غلافير فيدوروفنا** ، **فيونا اندريفنا** ، **سيمون ايفانيتش** »

غلافير فيدوروفنا : نعم ، يا عزيزي ، الشبيبةُ لها اليوم وجهةُ نظرها في الأشياء . لا أقول أن فرق السن كبيرٌ . بينك وبينهم ، لكنْ كان بامكانهم مع ذلك أن يُظهروا لنا قدراً أكبر من الاحترام . كل ذلك محزنٌ ، محزنٌ جداً .

فيونا اندريفنا : كأنهم انطلقوا ليشهدوا حريقاً .

سيمون ايفانيتش ، مُغْضباً : هلاّ سكتِّ !

(فيونا تنهض ، من الخوف)

غلافير فيدوروفنا : لا ترفعْ صوتك إلى هذا الحدّ ، يا صاحبي !
ألأنّ زوجتك ذهبتْ مع هذا الطالب ، بدلاً من أن تَبْقى مع زوجها ، تريد أن تتحامل عليها ؟ لأنك تغار من هذا المتطرّف .

سيمون ايفانيتش ، ناهضاً : ماذا تقولين ، **يا ماما** ؟ أنا أغار ؟ أنا أنزل إلى هذا المستوى ؟ اللفظةُ وحدها تثير اشمئزازي .
(يضرب الطاولة بقبضته) . واسمحي لي أن أقول لك :
إنك إذا شئتِ أن تُفْسدي ما بيني وبين امرأتي . . .

غلافير فيدوروفنا : بالله عليك ، يابني ، لا تُلقِ باللوم عليّ . أنت تدعو إلى منزلك أيّاً كان من الناس . وتكون الغلطة بعد ذلك غلطتي . هيّا ، يا فيونا ، أرى أننا لا مكان لنا هنا .

فيونا اندريفنا : من المؤكدّ أننا لا مكان لنا هنا ، يا صديقتي .

المشهد — ٦ —

« سيمون ايفانيتش ، وحده »

أغار أم لا أغار ! هُراءٌ كلُّ ذلك ! وإنْ كانت غريبةً ، غاية الغرابة ، تلك الغمزاتُ والتهامساتُ . ثم إنها ذهبتْ معهم . وكل هؤلاء الفتيات اللواتي يُفَرْفِرْن حول هذا الشاب الهزيل كريزانت ! تلك قدوة سيئة . الفتيات يُفَرْفِرْن وهي تفعل مثلهن . لا ، لستُ أفهم ، في الحقيقة ، هذه الابتسامات الغامضة ، وتلك الغمزات . إن هذا ليُغيظ ، في النهاية . بل وأكثر ، إنه يُقْلق ، يُقلق كثيراً . . . آه ! النساء ، النساء .

ستار

الفصل الثاني

المشهد – ١ –

« ماري دميتريفنا ، ليوبا ، ناتالي ، نيكولنكا ، **يفحصون** ورقة شفّافة . ملوّنة ، فوضى في الغرفة : أوراق ، غراء النشاء ، ملابس ... »

ماري دميتريفنا : لقد رتّب كريزانت كل شيء أحسن ترتيب . اللهُ هو الذي أرسله إلينا !

ناتالي ، **ضاحكة** : لو تعلمين ، يا ماري ، إلى أيّ حد يضايقني . تصوّري أنه يحاول أن يغازلني ، وهو يحدّثني طوال الوقت عن « الحبّ المعقول » . يا للفظاعة !

ليوبا : هذا غير صحيح ، يا ماشا . فناتالي مسرورة جداً . وهي التي تتغنّج أمامه .

ناتالي : أنا ؟ ياللغباء ! لا ، يا ماري ، هي التي تتغنّج . حتى إنها حدّثتْهُ عن تحرير المرأة .

ليوبا : بل أنتِ .

ناتالي ، **مغتاظة** : بالغتِ كثيراً ! أكرّر أن غيري هو الذي يفعل ذلك .

ليوبا : بل أنتِ .

ناتالي ، باللهجة نفسها : عفواً ، قلت لكِ كلاّ .

ليوبا : بل أنتِ .

ماري دميتريفنا : كفى نقاشاً . آن وقتُ العمل . لم ينته الحرف « س » بعد .

ليوبا : ماشا ، لستُ أحسنُ ذلك . لا بدّ من دعوة كريزانت ، على الفور .

ماري دميتريفنا : اذهبْ وَأْتِ به ، يا نيكولا .

(يذهب نيكولنكا راكضاً)

المشهد — ٢ —

« نفس الأشخاص ، ما عدا نيكولنكا » .

ناتالي ، تقترب من ماري بحيوية : إنه يَخْلع سترته أثناء العمل . اسمحي لهُ بأن يخلعها ، وانظري إلى قميصه .

المشهد — ٣ —

نفس الأشخاص ، كريزانت مع نيكولنكا

ماري دميتريفنا : هل الشِعْرُ جاهزٌ ؟

ليوبا : ادهنْ الورقَ الشفّاف بالسناج . لا أريد أن أوسّخ يديّ

ناتالي : وأين الفوانيس ؟

كريزانت ، على عتبة الباب : هذه هي مساواة النساء ! الله وحده هو الكليّ الوجود ، أما أنا فلا أستطيع أن أكون موجوداً في

كل مكان . لقد قلتُ لك ذلك يا ناتالي بافلوفنا : في الحقيقة ، ما تزال النساء بعيدات عن تصوّر الحب المعقول .

ليوبا : ليس الموضوعُ موضوعَ الحب الآن ، ادهنْ بالسناج الورقَ الشفّاف .

ماري دميتريفنا : ألا تُريدُ أن تخلع سترتك ؟

ناتالي : ألْصق الفوانيسَ .

كريزانت : حسناً ! بما أنكِ تسمحين بذلك . . .

(يخلع سترته)

ماري دميتريفنا هيّا ، اعملْ . نيكولنكا ، قفْ عند المدخل ، وإذا اقترب أحدٌ فنبِّهْنا .

نيكولنكا : اطمئني ، لن أدع مخلوقاً يقترب .

(يخرج)

المشهد — ٤ —

« الأشخاصُ أنفسُهم ما عدا نيكولنكا ، الانظارُ شاخصة إلى قميص كريزانت » .

ناتالي : هو ليلكي .

ماري دميتريفنا : هو وسخ .

ليوبا : هو موشّى بأزهار زرقاء .

كريزانت : ماذا تَقُلْنَ .

ليوبا : لا شيء. كنتأقول إنالأزهار الزرقاء تنسجم مع الفوانيس.

كريزانت : هل بإمكانكنّ مساعدتي ، يا سيداتي ؟

ناتالي : بالتأكيد ، سأبدأ بالإلصاق أنا أيضاً .

(تُلصقُ نجمةً على قميص الطالب) .

ماري دميتريفنا : ماذا تفعلين ؟

ليوبا : من أينَ جئتَ ؟

نيكولنكا : ضاعَ كل شيء .

كريزانت : أيها الخادمُ الخائن ، لقد أمرتُكَ أن تحرس كَرْمي فنمتَ(١) !

(يضايقون نيكولنكا)

ليوبا : سأدغدغُه حتى الموت .

ناتالي : سألطّخهُ بالسناج .

نيكولنكا ، متخبّطاً : دَعُوني ، دعوني !

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم وفيونا اندريفنا » .

فيونا اندريفنا ، مرتعبةً : يا إلهي ، خنقوا الفتى . أسرعْ ، تعالوا جميعاً .

كريزانت : سيدتي ، مع أن صحبتك تسرّ قلوبنا ، إلا أننا مضطرون إلى الاستغناء عنها الآن .

---

(١) كريزانت : يتكلم بأسلوب التوراة مازحاً .

فيونا اندريفنا : أفّ !

ليوبا : اخرجي من هنا .

(تَصْفق الباب)

فيونا اندريفنا : تُري فستانَها الذي تمزّق عند الباب ، وبلهجة شاكية : هذا من حرير راشيل . والمؤلمُ أن وليّةَ نعمتي هي التي أهدتني إياه . . .

ماري دميتريفنا : أغْربي أنتِ وولية نعمتك !

فيونا اندريفنا : وقد عادت إلى الظهور عند البابِ : ياللفظاعة تنكّر الطالبُ في ثياب الشيطان . ثِقوا أنني سأَروي كل شيء .

(تخرج)

ماري دميتريفنا : ، امضِ يا نيكولنكا ! قُمْ بالرَصْدِ ، مرة أخرى . ولْنَعُدْ نحن إلى العمل .

كريزانت : ماذا قالت ؟ الطالب تنكّر في ثياب الشيطان ؟ دَعْنا نَرَ . (ينظر في المرآة وينتزعُ النجمة ، مغتاظاً) ليس في هذا شطارةٌ ذكية ولا دعابةٌ مسلّية . أشكركِ . إني اتعرّف عقليّتكِ ، في هذه الفعلة ، يا ناتالي بافلوفنا .

(يرتدي سترته)

ليوبا : ليست ناتالي هي التي فعلتْ ذلك . النجمةُ التصقتْ من ذاتها .

ناتالي وماري معاً : مِنْ ذاتها .

كريزانت : عقلية رجعية .

ماري دميتريفنا : مهلاً ، يا كريزانت ، ألست تفهم المزاح ؟ ويجب أن أنصرف أنا حتى يشرعوا بالبحث عني .

نيكولنكا ، راكضاً : ها هي ذي تعود .

(يركضون جميعاً ليقفوا حول الطاولة وهم يصيحون : يا إلهي) !

ماري دميتريفنا : أسرعوا ، ارفعوا كل شيء واخفوه .

ليوبا : أنا سألوّنه .

(تدهن قبّة قميص الطالب) .

ماري دميتريفنا : أين الأشعار ؟

كريزانت : امنحيني لحظةً أستنزل فيها الإلهام ، يا ماري دميتريفنا .

(يُمرُّ يدهُ على جبهته فيلطّخ وجهه بالسناج)

ناتالي وليوبا : الإلهامَ الإلهامَ ، المزيدَ من الإلهام !

كريزانت : الذي يستمرّ في تلطيخ وجهه دون أن يَلْحظَ شيئاً : فَلْيكنْ !

(يقف جانبياً ويتّخذ وضعاً متصنّعاً)

لكي أوجّه إليكم تهانيَّ . . . لا ليس هذا حسناً .

نيكولنكا ، مسرعاً : ها هو ذا ، ها هو ذا !

ماري دميتريفنا : مَنْ تَعْني ؟

نيكولنكا : الطاهي نيقولا !

ماري دميتريفنا : لا قيمة للطاهي ، لكن إذا مرّ أحدٌ من الأسرة ....

كريزانت : العفو ، يا سيداتي ، العفو . لقد لطّختِني وألْصقْتِ بي الملصقات هازئةً ، مرتين ، يا ناتالي . وفي هذه الأثناء ، لم تتمّ القصيدةُ بعد .

ماريا دميتريفنا: بالنسبة إلى الإلهام ، إن كان يلزمُك شيءٌ منه فنحن في خدمتك ، سنتابع الإلصاق .

كريزانت ، وكأنه يخاطب شخصاً : لكي أوجّه تهانيَّ . . . لا ليس هذا حسناً .

لكي أقدّم مباركاتي . . . (بعد تفكير) .

في الواقع ، سأُنشد قصيدة لغيري ، قصيدةً جاهزة .

ها هي ذي ، يا ماري دميتريفنا ، اصغي :

« مع أن التهاني لم تعد موضعا للتقدير ،

إلا أنني لا همَّ لي سوى سعادتك ،

أنا اللابس ثيابَ نعمتك المزدانة بالزهور

أنا ذو الفكر المحافظ . . . »

اسمحي لي أيضاً . . .

ماري دميتريفنا : ممتاز . نحن الثلاث سنرتدي ثياب نعمته ، وسنحملُ إليه اسمه المنقوش .

وسأنشد الأشعار . أشكرك أعظم الشكر ، يا كريزانت .

(تشدّ على يده . تُفْتَحُ النافذة ويُطلّ منها رأس سيمون ايفانيتش) .

ماري دميتريفنا : مرتعبة بينما أخفت الفتاتان الفوانيس الورقيّة: سيمون أياكَ أن تَدْخل !

سيمون ايفانيتش : ناظراً إلى امرأته بغضب شديد : آه ! أنتم هنا . يُسعدني أن أراكم جميعاً فرحين إلى هذا الحد . . جيد جداً ، جيد جداً . سأنصرف .

ناتالي : يا إلهي ، لقد رأى كل شيء .

ليوبا : إنه لم يرَ شيئاً .

ماري دميتريفنا : وأين ذهب هذا اللعين نيكولينكا ؟ « ليوباً » ، اذهبي وأحضريه .

« تذهب ليوبا راكضةً وتصطدم بنيكولنكا »

نيكولنكا ، راكضاً : ها هو ذا يأتي بذاته .

المشهد — ٦ —

« ماري دميتريفنا ، سيمون ايفانيتش ، كريزانت ، غلافير فيدوروفنا »

غلافير فيدوروفنا : شيءٌ لطيفٌ حقاً . سيمون ، يا بني المسكين ! وأنت التي لم تَرْحمي شَيْبتي . وكل ذلك من أجل مَنْ ؟ من أجل هذا الغبيّ ؟

ماري دميتريفنا : فيما بعد ، سأقصّ عليكِ كلّ شيء ، يا ماما . هيّا ، يا كريزانت ، تعال .

(تقوده)

المشهد — ٧ —

« غلافير فيدوروفنا ثم فيونا اندريفنا » .

غلافير فيدوروفنا ، وحدها : بلا حياء ولا ضمير ، أخذتْ معها تابعَها المطيعَ وانصرفتْ . حسناً ! لن أتحمّله بعد الآن .

فيونا اندريفنا ، راكضةً : يا وليّة نعمتي . . .

ستار

* * *

الفصل الثالث

المشهد – ١ -

« غلافير فيدوروفنا وفيونا اندريفنا تلعبان بورق اللعب لعبة الصبر »

فيونا اندريفنا : إنها تسمع صخباً غريباً ، فتنظر ، وترى تحت ايقوناتها دوائر ، ثم دوائر . . .

غلافير فيدوروفنا : لكن أيّة دوائر ؟

فيونا اندريفنا : الربُّ الرحيم هو الذي أرسل إليها النبوءة ... فتذهبُ إلى الناساك، وتدخل حجرته، فتجد خنزيراً جالساً . . . لقد هزىء الشيطان منها . . . فيُغْمىَ عليها . ولحسن الحظّ أن راهبا مبتدئاً دخل ورشّها بالماء ، وقال لها : الأمر تافهٌ . فهذا أحدُ الأبرار الذين قد يظهرون في أول صورة تَعرْض لهم .

غلافير فيدوروفنا : تعطيها ورق اللعب : اخلطي .

فيونا اندريفنا : بكل سرور ، يا صديقتي . حينئذ نصحها الناساكُ بنصيحة : « اذهبي إلى سولوفكي » .

غلافير فيدورفنا : وأين هذه ؟

فيونا اندريفنا : إلى سولوفكي ، يا صديقتي . وذهبتْ إليها . مشتْ ومشتْ ، وكان هو دائماً في عينيها . . .

غلافير فيدوروفنا : لكن ، مَنْ الذي كان في عينيها ؟

فيونا اندريفنا : وتحسّ بتورّم هنا ، على عرقوبها . ماذا تفعل ؟ توقّفتْ عند عجوز فقال لها الناسكُ الأبُ « امفياوش » :
« إياكِ أن تنامي على الجنب الأيمن ، لأنه جالسٌ هناك . . .

غلافير فيدوروفنا : ما أسوأ قصّاكِ ، يافيونا . وَمَنْ الجالس ؟

فيونا اندريفنا : قلتُ لكِ : إنه الشيطان ، يا صديقتي . يقول الأب « أمفيلوش » : إننا نستطيع أن نعثر في الكتاب المقدّس ، حول ولادة كل إنسان . . .

غلافير فيدوروفنا : كفى ، لأن لي هموماً أخرى . أين سيمون ؟ ياللمسكين . التفكير وحده . بسيمون يؤلمني . لكن هاهو ذا آتٍ . لنخرجْ .

« تخرجان »

المشهد — ٢ —

« سيمون ايفانيتش وحده ، ثم ناتالي »

سيمون ايفانيتش ، متجهّم الوجه : لا يُمكنني أن أقْبل بذلك . لقد دَعَتْني أمي لتقول لي . بجدّ ما بعده جدٌ : إنها رأت بنفسها زوجتي في حديث مشبوه مع هذا الشخص . وما تقوله ، وما تفكّر فيه . . . رهيبٌ . إلا إذا كان ذلك كله هراءً . لكنْ ما العملُ لكي لا نعطي الآخرين مجالاً

للتفكير في هذا الأمر أو ذاك ؟ يجبُ أن أقرّر . ليس بوسعي أن أدَعَ الأشياء تستمرّ على هذا النحو . سأذهب إليها وسأطالبها بحسابٍ عن سلوكها ، سأقول لها : ماشا ، يا صغيرتي ماشا ، أنتِ تعلمين جيداً إلى أي حدٍّ أحببتكِ ». وهذا الشخص . . . حسناً ! هذا الشخص (يتناول هراوة) ، أقسم لكِ انه سيذوق طعمها على جسمه !

المشهد – ٣ –

ناتالي ، التي دخلت : ما بكَ ، يا سيمون ؟ إنك تبدو حزيناً .

سيمون ايفانيتش : أنا ؟ ما بي شيءٌ .

ناتالي : ولمَ هذه الأداةُ المرعبة ؟

سيمون ايفانيتش : لا أبتغي منها شيئاً : لكنني أسألك ، يا ناتالي : إذا كنتِ قد أحببتِ إنسانا طوال حياتك ، وإذا كان هذا الإنسان لم يتورّعْ عن إهانتك وإيذائك في النقطة الحسّاسة ، فماذا كنتِ ستفْعلين ؟

ناتالي : لا أدري . فلم أجدْ نفسي في هذا الوضع قطّ .

سيمون ايفانيتش ، يتناول الهراوة : أنا أدري بما ينبغي عليّ فعلُه . (يهدّد) . لا . لا شيء ! وداعاً . (تخرج ناتالي) . آه ! كلّا ! . . . أين ماشا ؟ سأذهب لأراها وسأعثر على الحلّ . إذْ لا بدّ من العثور على الحل .

ماري دميتريفنا ، من خلف الباب : سيمون ، أهذا أنتَ ؟ أرجوك أن تخرج للحظةٍ واحدة .

سيمون ايفانيتش : إنها لا تكلّف نفسها حتى الكتمان . هذا لا يُصدَّق .

كريزانت ، يدخل ويرفع الشموع ، وينقل المنبر والطاولات : نرجوك أن تتفضّل بالخروج للحظة واحدة يا سيدي .

سيمون ايفانيتش ، ممسكاً بالهراوة : ستَرى !

كريزانت : لا وقتَ لديّ ؛ فيما بعد .

« ينصرف حاملاً الشموع »

المشهد — ٤ —

ليوبا ، راكضةً نحو الباب : غلافير فيدوروفنا ، تعالي بسرعة ! تعالي وانظري إلى العجائب التي صنعناها ! تعالي .

(تخرج راكضةً)

المشهد — ٥ —

« غلافير فيدوروفنا ، فيونا اندريفنا ، سيمون ايفانيتش ، ثم الجميع » .

غلافير فيدوروفنا: ما هذا ؟ يوم القيامة ؟

فيونا اندريفنا : صلّي في هذه الظلمة ، على الأقل ، يا صديقتي .

سيمون ايفانيتش : لا ، لن أحتمل ذلك : إما أن أكون أنا أو . . . لكنهم مسعورون . لستُ أفهم شيئاً من ذلك .

المشهد — ٦ —

« الجميع بثياب العيد ومعهم الورق الشفّاف المزيّن » .

ماري دميتريفنا تنشد : « مع أن التهاني لم تعد موضعاً للتقدير ، إلا أنني
لا همّ لي سوى سعادتك ، أنا اللابس ثياب نعمتك ،
أنا ذو الفكر المحافظ » .

سيمون ايفانيتش : لستُ سوى أبله . أنا الذي كان يظنّ أن . . .

ماري دميتريفنا : وماذا كنتَ تظنّ ؟

سيمون ايفانيتش : لن أقوله لكِ .

ماري دميتريفنا : جيّد جداً !

غلافير فيدوروفنا : رائع . هذا لطيف تماماً . قبّلوني ، يا أولادي .

فيونا اندريفنا : آه ! هذا العدميُّ ، أسَرَ قلبي . . .

كريزانت : حسناً ! لنعْقد الصلحُ بيننا الآن ، يا فيونا اندريفنا البهيّة ،
أتريدين ؟

(فيونا اندريفنا ، وغلافير فيدوروفنا ، وسيمون ايفانيتش يبكون)

— ستار —

* * *

أسرة موبوءة

ملهاة في خمسة فصول

١٨٦٣

الشخصيات

ايفان ميخايلوفتش بريبيشيف : ملاّك ريفي ، **٥٥** عاماً .

ماري فاسيلييفنا : زوجتُه ، **٤٨** عاماً .

ليوبوف ايفانوفنا : ابنتهما ، **١٨** عاماً .

كاترين ماتفيفنا دودكينا : ابنة أخ ايفان ، آنسة ، **٢٦** عاماً .

بطرس ايفانوفيتش : ابنهما ، **١٥** عاماً .

ماري ايسابيفنا: نيانا(١) قديمة وخادمة ، وهي الآن قيّمة على المنزل وصديقة له ، **٤٥** عاماً .

الكسي بافلوفيتش تفيردينسكوي: شاب من أسرة كهنونية ، شغالّه آل بريبيشيف أستاذاً ، **٢٢** عاماً .

آناتول دميتريفتش فينيروفسكي : موظف في دائرة رسوم الإنتاج(٢) ، **٣٥** عاماً .

---

(١) نيانا : مربية أطفال .

(٢) كانت هذا الدائرة تهتم بالرسوم غير المباشرة : على التبغ ١٨٣٨، وعلى السكر ١٨٤٨ ، وعلى المشروبات بخاصة ١٨٦١ .

سيرج بيتروفيتش بيكليشوف : رفيق فينيروفسكي في الجامعة .

نيكولاييف : قريب بريبيشيف ، مارشال النبلاء .

مدير أعمال :

كبير القرية :

خادم :

فلاحون :

« ملكية آل بريبيشيف . الوقت صباح . غرفة استقبال في بيت ريفي . أمام الأريكة طاولةٌ مستديرة يُقدَّم عليها الشاي والقهوة » .

* * *

الفصل الأول

« المربية تسرد جورباً ، تنهض وتصبّ الشاي . ماري فاسيايبيفنا ، جالسة إلى الطاولة ، تتناول الفطور » .

المربّية : أعطيني فنجانَك ، سأصبُّ لكِ . ماذا تفعلين . أنت لا تشربين ، كأنك تتسلّيْن .

(تأخذ فنجانها) .

ماري فاسيلييفنا ، مغتاظة : انتظري ، يا نيانا ، فأنا لم أنتهِ بعد . لماذا تَصْرخين عليّ كأنكِ تصرخين على ولد ؟ هيّا ، صبّي الآن .

(تمدّ فنجانها) .

المربّية : أنا أنتظر ، أنتظرُ ، أنتظر ، أنتظرُ . مَضتْ الساعةُ العاشرة ، ونصفُ البيت لم يُفْطر بعد . فاذا ما انتهيتِ جاء السيدُ العجوز ، ثم الطالبُ مع بيتروشا .

ماري فاسيليفنا : أيّ طالب ؟ يُقالُ : طالِب .

المربية : لست أحبه ، فهو ليس رجلا منظماً ، وأنا ادعوه : طالبُ . لأنه رجل خفيف .

ماري فاسيلييفنا : وأنا أعطفُ عليه ، يا نيانا .

المربية : هناك ما يدعو إلى ذلك ، في الحقيقة ! فمنذ شهرٍ حلّ فيه البيتَ ، هل قال لأحدٍ كلمةً لطيفةً ؟ إنه لا يفتأ يمزحُ . (تقلّده) . وأظن أنه سخر من الجميع ، بصحبة ابنة الأخ . والبناتُ لا يعرفْن كيفَ يتجنّبنه . هو غير أنيق ومع ذلك فهو يلاحق البنات . وقد نصحتُ دونياشا أن تضربه على وجهه ، إن ضايقها ، حتى يأتي إلى المائدة وأثر اللطمة على وجهه ، وحتى يسأله الحاضرون حينئذٍ : من أين لكَ هذا ؟ثمّ هل نحن مكلّفون بالباسه ، أو ماذا ؟ ما هذا ؟ كلٌ ببياض السرير من عندنا .

ماري فاسيلييفنا : آه ! نيانا ، ما هذه الأفكار ! تصوّري أنه وحده ، وأنه شابٌ وفقير . وأنا مندهشةٌ حقاً أن يكون نحيلاً إلى هذا الحدّ .

المربّية : سيسمَنُ حقاً ! سيأتي مع بيتروشا للفطور ، ثم تأتي كاترين ما تفيفنا ، كنزنا ، مع كتابها . . . وسيُخْدَمون — وأخيراً ، والحمدُ لله ، ما ان تُخْلى المائدة حتى نسمع مرة أخرى : « نيانا : قهوة ! » ، « الفطور ! » ، ويأتي ذو الساقين النحيلتين .

ماري فاسيليفنا : ما هذه الأسماء المستعارة التي تأتين بها ، نيانا ! من هو ذو الساقين النحيلتين ؟

المربية : لكنه آناتول دميتريفتش ، خطيب ليوبوتشكا . . .

ماري فاسيلييفنا : يا لحماقة هذا الكلام ! وكيف يكون خطيبها ؟ هذا الشاب يتردّد على بيتنا لا غير .

المربية : تظنين أنْ ليس في الأرض من هو أغْبى من ماري المربّية ، فمنذ ثلاثين سنة وأنا أعيش مع السادة ، وقد آنَ لي أن أُحسن فَهْمَ الأشياء . أمن أجل قهوتاك يقطع كل يوم سبعة عشر فرسخاً ليأتي من المدينة ؟ لا ، يا صديقتي . لا ريبَ أنه حَسَبَ مهْرَ ليوبوتشكا ؛ من أجل هذا يأتي .

ماري فاسيلييفنا : أهذا هو حُكمُكِ . قبل كل شيء : إنهما غير مخطوبين ، ومن ناحية أخرى ، إنه أحدُ الناس الذين لا يُغريهم المالُ .

المربية : سواء أكنت غبيةً أم لا ، فاني أرى كلَّ شيء ، اليوم لا يتزوج أحدٌ امرأةً ، يا صديقتي ، بلا مال ، مهما تكن تلك المرأةُ جميلةً . أما الخطيب فليس فيه ما يجذب ؛ وهو تافهٌ جداً بعمله في الخمور . سألتُ الناس عنه ، فلم يَمْدحوه . هو أولاً شحيحٌ ، ثم إنه متبّجح .

ماري فاسيلييفنا : ما هذه الكلمة ؟ كيف قلتِ ؟

المربية : متبجح . ومعنى هذا عندنا أنه يظن نفسَه أجملَ الناس وأذكاهم ، وأن الآخرين ، في رأيه ، حمقى بجنبه .

ماري فاسيلييفنا : غير صحيح ، على الإطلاق . هو عالم وكاتب . لكن ماذا بوسعك أن تفهمي ؟

المربية : أنا أشفق فقط على ليوبوتشكا ، لقد فتَلَ لها رأسَها تماماً .

ماري فاسيليفنا : لعله يُغازل كاتنكا ولا يغازل ليوبوتشكا . أرأيتِ كم تُخطئين .

المربية : أتحسبينني إذنْ حمقاء ؟ كأني سأصدّقُكِ . وهناك ما يُغري بتصديقك ! كاترين ما نفيفنا صالحة للتسلية . وعندما كانت مربّية في بطرسبورغ كانت تذهبُ إلى بيته ، أمّا أن يتزوجها فهو يعلم مَنْ التي سيكون لها مهرٌ ، ومَنْ التي لن يكون لها .

ماري فاسيليفنا : كاتنكا كانت تصادفُه في بطرسبرج . أنتِ ترَيْن السوء حيثما تطلّعتِ .

المربية : الأمر كذلك ، يا صديقتي ، تبدأ الفتاة بالعمل مربّيةً ، ثم تنتهي بأن تعجز عن تربية نفسها . هذا حق . وهذه هي حال كاترين ماتفيفنا .

ماري فاسيليفنا ، مبتسمةً : كفى حماقات .

المربية : إني أرى ، على كل حال ، أن كل شيء تغيّر في المنزل .

ماري فاسيليفنا : إذن ، أنا أيضاً تغيّرتُ ؟ يا لهذا الغباء !

المربية : أنتِ ، تغيركِ ليس شيئاً ، هو كرم نفسٍ منكِ . فقط . أمّا السيدُ فأمره لا يُفهم . . . (تَسكتُ ، وتهزّ رأسها وتباعد ما بين ذراعيها) . ما الذي أمكنَ أن يقع له ؟ لم يَعد الرجل نفسه . وأنا أتذكّر : هل كان يمرّ يومٌ قديماً دون أن يُجلَد فيه ساشكا الخادمُ وهو يُلبسه ؟ هل من كبير قريةٍ لم يُجلَدْ ؟ . . .

ماري فاسيليفنا : أنتِ تقولين أشياء غريبة . . . أنتِ ترين إذن أن تلك الحالة كانت حسنة ؟ لم تكن حسنةً على الإطلاق .

المربية : لا أمدح ولا أذمّ . كنتم السادةَ ، ولا يمكن التصرف بطريقة أخرى . وما يدهشني هو أن يستطيع إنسانٌ في الخمسين تغييرَ طبعه . . . عندما صدرَ قانون القيصر . . . كما تعلمين ، في الأسبوع الأول من الصَوْم الكبير .

ماري فاسيليفنا : نعم ، البيان(١) ؛ ما أسخفكِ !

المربية مغتاظةً : طبعاً ، قانون طَرْد الخدم الأقنان من أجل خدماتهم ، كيف لا تعرفينه ! على كل حال ، دَعينا منه . ماذا كنت أريد أن أقول ؟ منذ ذلك الوقت طرأ التغيّر . وخاصة منذ أن أخذ آناتول دميتريفتش يتردّدُ على المنزل . سمعتُه يتكلم مؤخّراً — هو مُقْرِف ! يجب أن تعذريني ، فأنا أقول لك الحقيقة دائماً . في الخمسين ، لا يمكن للإنسان أن يُغيّر طبعه : ولم يتوصل السيدُ إلا إلى فقدان وقاره . لقد فعل ذلك لينال إعجابَ الناس ، وظلّ طبعُه كما هو . وماذا فعل ، في ذلك المساء ، أمام أناتول دميتريفيتش ؟ أخذ يُرشِدُ مَنْ ؟ الفلاح سيريل . « أنتم — لسيريل يقول أنتم — أنتم إذا شئتم أن تأتوا فتعالوا حينئذٍ » . استمعتُ إليه : ما هذا ؟ كأنه كان يكلّم أميراً . إن هذا لمُقْرِف .

---

(١) نعم ، البيان : بيان ١٩ شباط ١٨٦١ الذي يعلن إلغاء القنانة لم يعلن عنه إلا في أول اذار ، في الأسبوع الأول من الصوم الكبير .

المشهد — ٢ —

« المرأتان ، كاترين ماتفيفنا » .

المربّية : انظري كيف رتّبتْ نفسها ، الحلوةُ .

كاترين ماتفيفنا ، بالنظارة ، قصيرة الشعر ، ترتدي فستاناً قصيراً ، وتحت ذراعها مجلة ، تجلس إلى الطاولة دون أن تحيّي ، وتتكىء على مرفقها ، تخرج سيجارة وتبدأ بالقراءة . وتخاطب المربية بلطفٍ خاص : اسمحي لي أن أطلبَ منك شاياً ، يا ماري ايسايفنا .

(تقدّم لها المربية فنجانا من الشاي) .

المربية : على الفور ، يا آنسة ، على الفور . (بينها وبين نفسها) . هذا جدير بأن يُدهش جميع الناس . لا تقول حتى صباح الخير لزوجة عمّها . كل هذا من جرّاء ذكائها الزائد .

ماري فاسيليفنا : تحدّثنا عن آنا تول ميتريفتش . نيانا تزعم انه يُغازل ليوبوتشكا ، وانا قلتُ انه يُغازلكِ انتِ ، يا كاتنكا . **ما اعتقادُكِ** . لقد دَعَتْهُ خطيبها .

كاترين ماتفيفنا ، ترفع عينيها عن الكتاب ، وتقول بقسوة ، مُكمّلةً كلماتها بالإشارة : إن فينيروفسكي ، بسبب تطوّره وبسبب مفاهيمه بعيدٌ جداً عن تفاهة حياتنا حتى ليَصْعب الحكمُ عليه .

ماري فاسيليفنا : اتظنّين أنه لن يستمرّ حتى الزواج ؟

كاترين ماتفيفنا : عفواً . هذا السيدُ لن يتزوّج إلا عندما يجد امرأة تفهم تماماً مقاصده ، وتكون حرةً في حياتها وفي فكرها .

ماري فاسيليفنا : لا أسألُ عن هذا ، لكن قولي لي : في أيّ منكما يجد هذه المرأة : أنتِ أم ليوبوتشكا ؟ كنتُ أتحدّث عن ذلك قبل هنيهة مع نيانا — هي حمقاء وقد ضحكتُ كثيراً ...

كاترين ماتفيفنا : مري ايسايفنا أكبر سناً منكِ وهي تخاطبك بضمير الجمع ، بينما تخاطبينها أنتِ بضمير المفرد ، وتسمّينها « حمقاء » . وأنا أعتبر هذا « إهانة » للكرامة والحرية الإنسانيين . وأرى من الضروري أن أعبرّ لك عن رأيي . وأنا أعلم أن لك الحق في أن تكون لك قناعاتُكِ الخاصة ، لكن ذلك يثير اشمئزازي وسخطي .

المربية ، **ساخرةً** : شكراً جزيلاً على دفاعك عني . (مخاطبةً ماري فاسيليفنا) . ولا سيما أنك قادرة على سلخ الناس وهم أحياء . أنتِ مجرمةٌ معروفةٌ . . .

ماري فاسيليفنا : كلا ، يا كاتنكا ، **أنا أمزح** ، ماذا ، أنا أحبّها كثيراً . قولي لي بالأحرى ، ما رأيك . . . فيمنْ يبحث عنها ؟ فيكِ أم في ليوبوتشكا ؟ **أودّ لو أعرف رأيَكِ**

كاترين ماتفيفنا : رأيي ؟ (ترد شعرها إلى الوراء وتُشعل سيجارةً) . رأيي أنه لا يجوز له أن يبحث عنها فيّ بحسب تعبيرك المجازي . فأنا أعيش كما تعيش المرأةُ الحرةُ ، وأعامله ، كما أعامل جميع المخلوقات ، دون تمييز للجنس أو الطبقة . وأجده رجلاً ذكياً وعصرياً ، وهو يُدخل ، بشكل

طبيعي جداً ، في علاقاته معي ، شيئاً من التقدير والمودّة ، شيئاً يصح أن نقول عنه ...وبكلمة واحدة ،إن بيننا علاقات حسنة وبسيطة قائمة على التقدير المتبادل ،وهو يجدُ الراحةَ بقربي بعد تفاهة الطغمة الأرستقراطية التي تؤلّف المجتمع النسائي في حكومتنا ، وهو المجتمع الذي يُضطَرّ إلى الاختلاط به . لكن لماذا تعتقدين ، أنه يبحث عن شيء ما في ليوبوف ايفانوفنا ، بحسب تعبيرك المجازي ؟ هذا ما لم أستطع أن أتبيّنه . فليوبوف امرأة لم تتطوّر تطوّراً كافياً ، بل إنها بنتٌ صغيرةٌ لم تتطوّر على الإطلاق ، وشخصيةٌ مثل فينيروفسكي لا يمكن أن يكون بينه وبينها شيءٌ مشترك . أنا نَدّله بينما ليوبا ولد .

ماري فاسيليفنا: أنتِ تَرَيْن جيدا ، يانيانا ، كيف تَحكُم كاتنكا على الأمور .

المربية : ايه ! قولي لنا ، يا كاترين ماتفيفنا ، فنحن غبيّتان ، اشرحي لنا ، هل سيستمرّ إذن في التردّد على المنزل ؟

كاترين ماتفيفنا : ولمَ يَنْقطع عن المجيء ؟

المربية : لأن الناس الذين مثله يجب أن يُرَبّوا ، من أجل هذه الأشياء . كذلك كان يُفْعَلُ قديماً . إذا كنتَ تتردّد على منزلٍ فيه آنستان صالحتان للزواج فيجب أن تقول أيّهما تَبْغي ؛ وإلا فهناك نوادٍ تستطيع أن تتردّد عليها وأن تذهب إليها كلما أردت .

كاترين ماتفيفنا : لا يمكنكِ فهمي ، يا ماري إيسابيفنا — قلتُ لكِ إنه يأتي إليّ ، لأن كلاً منا يختبر الآخر ، فاذا وجدْنا ...

المربية : لن يختبر شيئاً ، يا كاترين ماتفيفنا ، بحسب رأيي الأحمق . إن ليوبوف ايفانوفنا آنسةٌ شابةٌ وحلوةٌ ولها مهرٌ من خمس مئة نفس(١) . بينما أنتِ أكبر سناً ، والثلاثون نفساً التي تملكينها لا تغري . . . أما الطالبُ ، فنعم .

كاترين ماتفيفنا ، بحرارة: اسمحي لي ، اسمحي لي ، الطالب أصغر وأقلّ تطوّراً من أن يصلح لي : اسمحي لي : إن امرأةً أخرى غيري يمكن أن تشعر بالإهانة ، لكني أنا فوق ذلك . وليوبوف ايفانوفنا مع تطلّباتها الصبيانية من الحياة ليست في مستواه ، وهو يعلم ذلك ، وقد عبّر لي عن رأيه أكثر من مرة ، ثم إنك تنظرين إلى الأمر من وجهة نظرٍ خاطئة . لن تفهميني ، لكني سأوضح لك رأيي مع ذلك ، وبأبسط صورة ممكنة . الناس الذين من طينتنا لا يرتضون إلا وسائل العيش التي تُكتَسبُ بالعمل الشخصي والشريف ؛وصدّقيني أن الناس الذين من طينتنا يرون في جميع هذه الملكيات الريفية رابطاً ظاهراً يربطهم بأشكال الحياة البالية . ولا يهمّ فينيروفسكي أن أملك مليوناً أوْلا أملك شيئاً إذا كانت مفاهيمنُا واحدةً . فاذا كانت واحدةً استطعنا بشجاعةٍ أن نبدأ النضال .

---

(١) خمس مئة نفس : أي مكلية يبلغ عدد أقنانها خمس مئة . ومع أن القنانة ألغيت إلا أن المربية ما زالت تستخدم مقياس التقدير القديم .

المربّية : ومع ذلك ، فلن يطلبكِ أنت للزواج ، وإنما سيطلب ليوبوف إيفانوفنا . وستكون المفاهيمُ واحدةً تماماً إنْ كان هناك خمسُ مئة نفس ، أما إن لم يكن هناك غيرُ ثلاثين ، فهي ليست واحدةً على الإطلاق .

كاترين ماتفيفنا ، مُهتاجةً : اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً . تقولين إنني أملك ثلاثين نفسا . اسمحي لي أن أقول لك : لا أحد يملك أنفساً اليوم ، وذلك بفضل الحضارة ، وأنا لا أملك شيئاً منها . تخلّيتُ عن حقوقي ، منذ بلوغي سن الرشد ، ولستُ أحملُ في نفسي علامةَ القنانة المخجلة .

المربية : وبالرغم من كل شيء فلن يأخذك ، بل سيَطْلبُ ليوبوتشكا لأنّ . . .

ماري فاسيليفنا : **مرتعبة** : كفى ، نيانا ، كم أنتِ كريهة ! تُخرجين أيّاً كان عن طوره .

كاترين ماتفيفنا : اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً . إن ذلك كله يبدو لك صعباً ومشوشاً ، ففي رأسك أزواجٌ مُعَدّون سلفاً ، وسلطةُ الله ، وهلم جراً ، في حين أن حياةَ الناس الذين ارتفعوا فوق تلك الاحكام الاجتماعية المسبقة والواهية ، بسيطة جداً . إني أعبّر له عن أفكاري وأطلبُ منه ذلك الصدق الذي يوجد في أساس جميع دوافع الشخصية الشريفة .

المربية : يا كاترين ماتفيفنا ، يا صديقتي ، إنّ ليوبوف ايفانوفنا تملك خمس مئة نفس ، ولعله سيُغْرَم بها فوق ذلك كله .

كاترين ماتفيفنا ، مضطربة كليّاً : ولمَ يُغْرَم بُبنيّةٍ تافهة وغير مثقّفة ، لابي ؟

المربية : لمَ ؟ من أجل مَلِكِ بروسيا ، يا صديقتي .

كاترين ماتفيفنا ، مستدركةً ورادةً شعرها : لا ، ماذا أقول ؟ الحبُّ ، كما تفْهمينه جاذبية جسدية ، وأنتِ أقل تطوّراً وأكثر حيوانيةً من أن تفهميني . إذا شئتِ ، أرجوك ، دَعيني .

(تتكيء بمرفقها وتقرأ) .

ماري فاسيلييفنا : اذهبي ، اذهبي ، يانيانا ؛ إن جاء أحدٌ فسوف أضيف الماءَ إلى الغلاّية بنفسي .

المربية ، منصرفةً : لقد شتمتِ الناس جميعاً . الناس كلهم حيوانات. أنا أخدم هنا منذ ثلاثين سنة ، ولم يسمّني أحدٌ بهذاالاسم .

كاترين ماتفيفنا ، رافعةً رأسها : اسمحي لي ، الحبُّ يشكّل دافعاً شريفاً فقط عندما يكون للطرفين حقوقٌ متساوية ، لكنكم لن تستطيعوا فهمَ ذلك . (صمت ، ترفع رأسها ثانيةً) . ماري فاسيلييفنا ، أنا لا أحترمُ هذه المرأة .

(تستأنف قراءتها) .

المشهد — ٣ —

« يدخل ايفان ميخايلوفتش » .

ايفان ميخايلوفتش : ما الأمرُ ، مَنْ الذي لا تحترمينه ؟

ماري فاسيليفنا : نيانا هي التي تقول الغباوات دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذه سم حقيقي ، لكنها امرأة طيّبة .
(يجلس إلى الطاولة) . أعطني شاياً ، يا ماري فاسيلييفنا ...
بقيتُ في الحقل منذ الساعة الخامسة ، أنهكتُ جوادين . . .
لكنّ كل شيء سُوِّيَ . . . وما يزال الناسُ يقولون :
إنه لا يمكن أن يفعل شيئاً مع العمال الأحرار . يمكننا أن
نفعل كل شيء إذا ما اشتغلْنا بأنفسنا دون أن نراعي صحتنا.
أمس بالذات كان نصفُ الحقول غير محروث ، ولم يكن
العشب محصوداً ، ولم يكنْ عندي عاملٌ واحدٌ . وما ان
وضعتُ يدي في العمل ، حتى أقنعتُ جميع رجالي القدماء ،
فشغّلْتُ رجالاً أحراراً ووعدتهم بسطلٍ من الفودكا .
انظري الآن كيف يتقدّم العمل . . . فاسيلي مدير ناجح
للعمل ، منظم ، خدومٌ ، خدومٌ جداً . . .

كاترين ماتفيفنا : العملُ الحرّ لا يمكن أن يكون مُخْسراً ، وإلا لكان
مناقضاً للقوانين الأساسية في الاقتصاد السياسي .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ولا . أودّ لو أعهدُ بهذا العمل إلى آناتول
دميتريفتش وأنتِ . . لسوف يختلفُ كلامكما .

ماري فاسيليفنا : **قلْ لي،يا عزيزي جان** ، لماذا تقول إذن : إن تحرير
الفلاحين قد حسّنَ الأشياء ؟ أين التحسّنُ إذا كانوا قد
ذهبوا جميعاً .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! لكن هؤلاء هم الخدم .

ماري فاسيليفنا : الخدم ، أعرف ذلك . لا خلاف في ذلك . لكن الفلاحين ، منذ البيان ، لم يزدْ عملُهم . فأين الجانبُ الحَسَنُ ؟ لم أفهمْ ذلك .

ايفان ميخايلوفتش : شرحتُ لكِ خمسين مرةً إن لم يكن مئة مرة ، أنهم يجب أن يشتغلوا ، بحسب هذا القانون ، بعض الأيام ، وألا يكون شغلُهم بدون توقّف . هذا هو الشيء الأساسي .

ماري فاسيليفنا : كان يُقال مع ذلك أنهم قد توقّفوا كلّيّاً عن العمل . وكان الناس يروون ، في الأيام الأخيرة ، أنهم أُرسلوا إلى العمل ، فأبوْا أن يذهبوا . لستُ أفهم ، يا جان .

ايفان ميخايلوفتش : لو لم يعملوا لما كان عندنا ما نأكله . إنهم يشتغلون أقل من ذي قبل . وبالمقابل ، فكل شيء يتمّ وفق أشكال الشرعية لا التعسّف . على كل حال ، لا يمكنك أن تفهمي ذلك .

ماري فاسيليفنا : ما الحَسَنُ إن عملوا أقل ؟ وإذن فليس ذلك حسنةً . لكنْ لا تغضبْ ، إني لا أستطيع أن أفهم ، بالفعل .

ايفان ميخايلوفتش : لمَ أغضب ؟ لعل القدر هو الذي شاء ألاّ تفهمي شيئاً . (يشرب شايه ويغدو متفكّراً) . وليوبا ، أين هي ؟

ماري فاسيليفنا : ذهبتْ مبكّرة مع الصغيرات تبحث عن الفطور .

ايفان ميخايلوفيتش : وأناتول دميتريفتش لم يأتِ ولم يُرسلْ أحداً ؟

ماري فاسيليفنا : لا ، لم يأتِ بعد . . . كنت أريد أن أكلمك . قبل

لي ما جان : **إنه ينوي أن يُصارح ليوبا بعَرْضه** ، إنه
ينوي أن يطابها للزواج . . .

ايفان ميخايلوفيش : مَنْ قال لك ذلك ؟

ماري فاسيلييفنا : **يُقال هذا** ، نعم ، يقال هذا .

ايفان ميخايلوفتش : من الذي يقوله ؟ أنت تظلّين بين أربعة جدران ،
فمن الذي يمكن أن يقول هذا . وما أهميّة هذا ؟

ماري فاسيلييفنا : اعلمْ أنك لا تَحْسب حساباً لي . لكنْ يبدو أن هذا
الرجلَ سيّء . وما هذه الوظيفة في إدارة الخمور ؟ ثم إنه
متبّجح ، على الخصوص . أرجوك أن تفكّر في ذلك ،
جان .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يَدْخل في هذا الرأس ؟ من أين
استطعت أن تأخذي مثل هذه الكلمات . لا ، يا صديقتي ،
دَعْكِ من هذه الحماقات . ما هذه الكلمة : « متبجّح » ،
وممّنْ نقلتِ هذه الكلمة الغبيّة ؟

ماري فاسيلييفنا : كل الناس يقولونها .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يَخْطرُ ببالها ؟ من الذي روى لكِ ذلك
كله . هيه ! يا صديقتي ، ليس لنا أن نَحْكم على هذا
الرجل . ولا أعرف أباً لم يعتبرْ مصاهرته شرفاً له . على كل
حال إني أكره أن أخمّن الأزواج تخميناً وأن أقرّبَ بينهم .
ومهما يكنْ ذلك الرجلُ ، فان الله أرادة ، وليس لنا أن
نأخذ في الكلام عليه . انه رجلٌ مَرْموقٌ ، كاتب .
ولا ريب أنه لن يتزوّج من أجل المال . هذا مؤكّد .

ماري فاسيليفنا : لا يُجادل في ذلك أحدٌ . **ولي رأيي** .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! اصغي : قبل كل شيء ، اناتول دميتريفتش رجلٌ عصري ، راقٍ ، ذو ذكاء وعلم خارقين ، وهو كاتب ، وشخصية ربما عرفتْها روسيا كلها . وهذا ، في عصرنا ، يا صديقتي ، أفضلُ من رتبة الجنرال . ثم إن عمله ممتاز وشريف ، في دائرة الرسوم الجديدة ، يرتّب قدره ألفا روبل . ولو أن هذا الرجل أراد ، لا نفتح أمامه كل شيء . أما غرابة أطواره فشيء آخر . . . إنه ليس رجلَ مجتمعٍ ، لكننا ، على الأقل ، نثق بأنه مجرّد من المنفعة . فمثل هذا الرجل لا يتزوج من أجل المال . وكل فتاة تكون سعيدة معه ، حتى لو لم تكن تملك شيئاً .

ماري فاسيليفنا : لكن يُقال إنه بخيل .

ايفان ميخايلوفتش : ها هي ذي تُعَبّأُ مرة أخرى . قلتُ لكِ انه الرجل الأكثر تجرّداً في الدنيا . هذا ثابت .

ماري فاسيليفنا : لكنْ يُقال إنه قد حَسَبَ مهر ليوتشكا كله .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، اشرحي لها إذن أن اناتول دميتريفتش ليس رجلاً من هذا النوع .

كاترين ماتفيفنا : ماري فاسيليفنا وماري ايسايفنا لهما قناعاتهما الخاصة . يبدو لي غريباً فقط أن ننسبَ ، إلى الرجل مقاصدَ دنيئة ، دون أي أساس ، ودون أي سبب محتمل . فهذا

السيّد يبرهن بحياته كله أن هدفه الوحيد هو القضيّة العامة . وإذا نوى الزواج بامرأة ، فسيكون أول شرط يطرحه هو الاستقلال المعنوي والاستقلال المادي على حدّ سواء .

ايفان ميخايلوفتش يغدو متفكّراً ، وقفة : نعم ، فمع أنه من الصعب علينا ، نحن الشيوخ ، تغيير عاداتنا القديمة ، ومع أن في الشبابَ كثيراً من الهوى والخفّة ، إلا أنه من المستحيل ألا نُنْصف الجيل الجديد .

كاترين ماالفيفنا ، تاركةً الكتاب : حينْ كلّ ما عبّرتَ عنه ، هذه هي القناعة الوحيدة التي أشاطرك إياها . إن التقدّم يحمل النور بشكلٍ لا يُقاوم ، إلى أحلك ، زوايا الحياة .

ايفان ميخايلوفتش بعد لحظة صمت : نعم ، إن عصر العمل الحر قد جاء ، قد جاء . نحن نتعب مع العمال ، لكن لا أهمية لذلك ، سيُسوّى كلُ شيء . . . انتظري قليلا ، سوف أحدّد شروط الاسترجاع (١) وسأتخلّص من الفلاحين ، ولن تبقى سوى العلاقات الزراعية . وسيكون ذلك حسناً حقاً ، نعم .

ماري فاسيلييفنا : وهل ستتحسن الأمورُ بعد الاسترجاع ، يا جان ؟ ليتها تتحسن .

---

(١) أحدد شروط الاسترجاع : عندما تلقى الفلاحون الأراضي الصالحة للزراعة سنه ١٨٦١ أجبروا – حتى عام ١٩٠٧ – على دفع قيمة الاسترجاع للإقطاعي (نحو روبل بالهكتار كل عام) .

ايفان ميخايلوفتش : تتحسّ أم لا تتحسّن ، لا بدّ من ذلك . انظري إلى كاتنكا وانلتول دميتريفتش اللذين يعتبرانني محافظاً ورجعياً ؛ ومع ذلك فأنا أتعاطف مع كل شيء . إن الماضي يظهر حتماً في أفعالي ، لكنّي أتعاطف مع ذلك . انظري إلى جيلنا الشاب الطالع . ستتزوج ليوبوتشكا ذاك أو غيره ، لكنها لن تتزوج رجلاً قديماً وإنما ستتزوج رجلاً جديداً ، عصرياً ، وبيتروشا (١) يكبرُ وسط أفكار مختلفة عن أفكارنا . أيمكن أن أكون عدواً لولديّ . أين بيتيا ؟ لعله مع أستاذه ؟

ماري فاسيليفنا : ذهبا كلاهما إلى البحيرة يبحثان عن الأعشاب . ولم أفهمْ أيّها . أخشى أن يغرقا . أخشى حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : عن أي الأعشاب يبحثان ؟

كاترين ماتفيفنا : قال الكسي بافلوفيتش إنهما يريدان أن يدرسا بنيةَ ألياف الطحالب .

ايفان ميخايلوفتش : تصوّري ، أيّ عصر ! أكنتُ أمالكُ فكرةً عن هذه الأشياء عندما كنتُ صبيّاً ؟ واليوم يدرس الغرُّ العاومَ الطبيعية . . . الخ . لقد وُفِّقْنا بهذا الطالب ، فهو خدومٌ . . . الفضل لأناتول دميتريفتش الذي دلّنا عليه . طالب خدوم ، جدّها د . . لطيـ . . خدوم .

---

(١) بيتروشا : بيتروشا وبيتيا تصغير بطرس ، بيير ، بيوتر ؛ وبيتروشا ، أو بيتيا : ابنه .

يا ساشكا(١) ! غليوني ! (مخاطباً كاترين ماتفيفنا) .
هذه عادة . حسناً ! الكسندر فاسيليتش(١) .
(يحمل ساشكا الغليون) .

ماري فاسيليفنا ، تغضب فجأةً : نعم ، كل الناس لطفاء عندك ما عدا زوجتك . ولماذا لا يحمل معه بياضاً ؟ لقد أعارتْهُ نيانا كلَّ بياض الأسرّة المُعَدّ للزائرين . وإذا ما زارنا زائرٌ فليس عندنا ما نضعُه له . ما هذا ؟ لقد جاءنا بما عليه فقط . ولا أريد أن أعطيه أغطيتي . أهذا اعتقادك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها قد عادت تهذي . كُفّي ، من فضلك . قولي لنيانا أن ترتّب كل شيء . أنا مسرور أن يكون هذا الرجل عندي لأنه جِدّيّ .

ماري فاسيليفنا : ماذا يهمّ إن كان جدّياً . ليست غلطتي إنْ كان لا يملك شيئاً ويطالب كل شيء . لقد أخذ يَهْوى شرب الحليب ، وقد اشتكت دونياشا . يجب أن تنتبه . ما هذا الأستاذ ، إن كان لا يملك بياضاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هي تنطاق من جديد . . . يجب أن تحمدي الله لأنه بعثَ إلينا مثل هذا الرجل ، وإذا كان فقيراً لا يملك بياضاً ، فيجب أن نُعطيه ذلك .

ماري فاسيليفنا : أنت تفهم دائماً عكسَ ما أقول عندما أكلّمك . قلتُ إنك تعمل كل شيء بالمقلوب ، وأنا أعطف عليه

(١) ساشكا : تصغير أهلي لا لكسندر .. لقد وجدت ابنة الأخ أن هذه الطريقة في معاملة الخادم غير لا ئقة ، فما لبث برييبشيف أن استخدم الاسم الرسمي : « الكسندر فاسيليتش».

أكثر منك . فمنذ أن أكل أول مرة على المائدة شفقتُ
عليه . وأمرت باعطائه قمصاناً لليل . ومهما أكنْ غبيّةً
فأنا أدرك أنه أول رجل في البيت ، باعتباره أستاذاً لابتنا .
لست آسفةً على شيء أخذَته . وأنا أقول لك فقط أن
ترتّب كل شيء بنظام . كم مرةٍ رجوتُ فيها النجار
أن يصلح رِجْلَ الطاولة مثلاً .

ايفان ميخايلوفتش : كفى ياصديقتي ، كفى ، بجاه المسيح .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم والطالب » .

الطالب ، يحيّي باقتضاب وهو داخل : شاياً ، من فضلك .

« يجلس قرب كاترين ماتفيفنا »

ماري فاسيليفنا : ماذا تشتهي ، الكسي بافاوفتش ؟ شاياً أم قهوة ،
مع الخبز الأبيض والزبدة ؛ على طابك .
(تقرّب كل شيء إليه) .

الطالب : لا يهم . الشاي ، مثلاً .

ايفان ميخايلوفتش : وبيتروشكا ، أين هو ؟

الطالب : سيأتي . إنه يغيّر بنطاله لقد تبلّل . قمنا بصيد السمك .

ايفان ميخايلوفتش : قالت لنا كاتنكا أنكم كنتم تنوون دراسة شيء
في العلوم الطبيعية . . .

الطالب : كنا نَنْوي ذلك ، لكن بلا نتيجة ، لأننا لا نملك مجهراً .

ماري فاسيليفنا : كُلْ من الخبز الأبيض .

الطالب لكاترين ماتفيفنا : بأية قراءة تنشغلين لخير النفس ؟ (يأخذ كتابها) . آه ! علم وظائف الأعضاء . مقالةٌ جيدة لكنها شديدة الإجمال . « لُويس »(١) هو الذي يجب أن تقرئيه . وأيضاً تحوّل الخلية — نسيتُ اسمَ المؤلّف — لابأس بهذه المقالة .

ماري فاسيليفنا : أتُسمّي خلايا ؟ زِدْ من الزبدة ، فسوف نأتي بقطعةٍ أخرى . كاتنكا ، أتعرفين الخلايا ، أنتِ أيضاً ؟

كاترين ماتفيفنا : كل ما هو عضوي فهو موجود بفضل تطوّر أجزاء الخليّة لا غير .

الطالب : لمَ تقومين بشروحاتٍ لا فائدة منها ، لا بدّ على الأقل من المعارف الأولية لفهم هذه الأمور .

ايفان ميخايلوفتش : لقد قرأتُ كتباً عن الخلايا . قلْ لي فقط ، يا الكسي باﭬاوفتش ، أيمكن أن نراها في الخبز ، مثلاً ؟

الطالب : لو لم نرها لما ذكرها أحد . نراها بالمجهر .

ايفان ميخايلوفتش : هل هو غالٍ ، المجهر ؟

الطالب : يمكنُ أن نَحْصل على مجهر رديء بثمن رخيص . مجهر أناتول دميتريفتش ثمنُه ثلاث مئة روبل ، ومجهر الجامعة خمسة عشر ألفاً .

---

(١) لويس : جورج هنري لويس (١٨٠٧ — ١٨٧٨) عالم وضعي انكليزي . مؤلف : « فيزيولوجيا الحياة العادية » ، ودراسات حول الحياة الحيوانية » . كان مشهوراً جداً ، في روسيا ، في هذه الحقبة .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، لا بد من شراء واحد .

(يجلس مع زوجته على حدة ، ويجلس الطالبُ مع كاترين ماتفيفنا . ايفان ميخايلوفتش يدخّن بصمت) .

كاترين ماتفيفنا ، بصوت خافت : فاتَكَ حضورُ مشهد محنق ، مشهد مزارعين مستغلين حقيقيين .

الطالب : اوه ! هم بحاجة إلى أن يهزؤوا من أمثالهم . هذا كل ما يُتْقنونه . وأنا أعترف لك أنني ضجرتُ من البقاء هنا ، وأنني أنوي أن أسافر من أجل التقدّم لنَيْل إجازتي .

كاترين ماتفيفنا : قناعتي مختلفة. فأنا أرى أنه كلّما كان المجتمع الذي نعمل فيه فظّاً وَجبَ بذل طاقة أكبر . إذْ ما الذي يستطيع أن يغيّر هذه الشروط الفظيعة غير الأفكار والبذور التي نحملها إليها . إني أعي تأثيري في هذا الوسط ، وأنا أمارسُه على قَدْر قواي . وأنت مدعوٌّ إلى رفع شخصية بطرس التي ما تزال غضّة . وهو نفسه يحمل أفكاراً إلى هذا الوسط الخانق. وأناتول دميتريفتش يرى الشيءَ نفسه .

الطالب : ليَغْربوا عني ! ينتهي المرءُ بالتاطّخ في هذا الوحل . ليَأْنهُ المضطهدون الصفّاعون من جهتهم ، ونحن سنَأْنهو من جهتنا . ولسنا نستطيع أن نحتجّ في كل لحظة ؛ نحس فقط أن سخطنا يتنامّى . انظري إلى الفلاحين ؛ إنهم يحرثون منذ الساعة الرابعة صباحاً ، والناسُ هنا يشربون الشاي حتى الظهر . كيف يجوز أن نتعوّد ذلك ؟

كاترين ماتفيفنا : بالتأكيد ، لكن لا بدّ مع ذلك من التنازلات . انظرْ مثلاً إلى فينيروفسكي : فهو إذ يعيش من عمله في وسطٍ متخلّفٍ جداً ، لا يُقْدم على أي تنازل في الحقيقة ، ويحقّق أفكاره .

الطالب : ماذا ، فينيروفسكي ؟ لا يمكنني أن أحترم رجلاً يخدم . يا له من ليبيرالي في دائرة الرسوم !

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . لن نصل ، في ذلك ، إلى وحدةٍ في التفكير . ففينيروفسكي طبيعةٌ ممتازة . انظر إلى نشاطه : المدارس ، والمحاضرات العامة .

الطالب : حسناً ! أستطيع أن أفرض الصمت على شفتيّ .

كاترين ماتفيفنا : وأنا أجد من المسلّي أن أستعيد الحديث الذي جرى بيني وبين العجوزين منذ لحظة . ما أسوأَ فهمَ هؤلاء الناس للناس الذين من طينتنا ! تصوّرْ أنه لا يأتي إلى هنا ، برأيهم إلا ليتزوج ليوبوف ايفانوفنا أو مهرها ؛ بحسب تفسيرِهم .

الطالب : هيه ! هذا « السِنْيور » المحترم(١) يمكن أن يُقدِمَ على أي شيء مَقيت !

كاترين ماتفيفنا : تفيردينسكوي ، لا تتكلَّمْ هكذا ، وإلا اختلفْنا . فينيروفسكي سيتزوج ! وبِمَنْ ؟

الطالب : حسناً ! سأعبّر لك عن فكرتي : إن ليوبوف ايفانوفنا بنتٌ ليست سيئة على الإطلاق . وفيها إمكانات . وإذا

---

(١) هذا السنيور المحترم : الطالب يستخدم الكلمة الإيطالية مسبغاً عليها لوناً تحقيرياً .

مالقيها رجلٌ غضّ الإهاب ، نقيّ وقوي ، فسوف يجعل منها شخصيةً مرموقة. لكنْ لا بدّ لها من دليلٍ شاب ونزيه .

كاترين ماتفيفنا : لكنْ ، أيّ تطورٍ ناقص !

الطالب : ستُكمّله فيما بعد .

كاترين ماتفيفنا ، **بعد تفكير** : نعم ، في الواقع ، أنا أشاطرك هذه القناعة . أنت بالضبط ذلك السيد الذي يستطيع أن يؤثّر في شخصيتها بنجاح .

الطالب : لو لم تكنْ في هذا الوسط الحقير لأمكن أن نجعل منها فتاةً رائعة .

المشهد — ٥ —

« بيتروشا ، فتى في الخامسة عشرة ، يدخل في ثياب الطالب » .

ماري فاسيلييفنا : آه ! ها هو ذا بطرس ! ماذا تُريدُ شاياً أم قهوة ؟

بيتروشا : صباح الخير ، يا أمي . لا هذا ولا ذاك . شربتُ حليباً . اطلبي لي الفطور ، يا أمي . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : مالَكَ ولهذا التصنع دائماً ؟ كُنْ أبسطَ ، مِنْ فضلك .

بيتروشا : أنت مخطىء حين تظنّني متصنعاً . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : جُنِنْتَ . ما هذه الابتكارات الجديدة ؟ سلّمْ كما تسلّم عادةً . أتظنّ أن هذا هو التعلّم . اذهب والثُمْ يدَ أمك .

بيتروشا : لأيّة غاية ؟

ايفان ميخايلوفتش ، **بقسوة** : قلتُ لكَ الثم يدها .

بيتروشا : ما الدواعي ؟ وهل سيَحدُثُ شيءٌ إذا ألصقتُ أطرافَ شفتي على الجزء الخارجي من معصم أمي ؟

ايفان ميخايلوفتش : قلتُ لك الثمْ يدها .

بيتروشا : هذا مناقضٌ لآرائي .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟

بيتروشا : تحدّثتُ عن ذلك مع الكَنسي بافلوفيتش ورأيتُ بوضوح أن هذا ما هو إلا رأي مُسبق غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : انتبهْ ، يا صديقي !

بيتروشا : لكن هذا ليس شيئاً مهماً ، يا أبي ، وهو لا يُغيرّ رأيي فيك أو في أمي . وسواء ألثمْتُ أيديكما أم لم ألثمها ، فأنا أكنّ لكما كليكما كلّ ما تستحقّانه من الاحترام .

ايفان ميخايلوفتش : اصغِ إلي ، كل هذا حسنٌ ، هذه القناعاتُ الجديدةُ وغيرها ، لكن لا بدّ من الاعتدال ؛ والقاعدة الأولى منذ العصور الغابرة هي احترام من هم أكبر سناً منّا . إذهبْ والثمْ يدها . (ينهض) أتذهب ؟

الطالب : أظنّ أننا سنشهد فضيحةً عظيمة .

بيتروشا ، **متخوّفاً** : بالطبع ، تستطيع أن تجبرني . لكن علاقات الإنسان الحرّة . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ أتذهب ؟

بيتروشا ، يلثم يدها ، بصوت خافت : الكرامة الإنسانية . . .

ماري فاسيلييفنا : يجب أن تُطيع ، يا بطرس . ماذا تريد أن نُحضّر لك ، عجّةَ بيض أو سجق مِعْلاق ؟ سآمر لك بفطورك . نيانا ، فطور بطرس !

ايفان ميخايلوفتش : الكسي باقلوفتش ، مع أناك . . . اعذرني ، لكن . . . اسمحْ لي أن أقول لك : إنني طلبتُ منك أن تُعطي ابني دروساً لا أن تعلّمه كيف يعامل أبويه . إن لنا عادات ربما كانت مُستْغربة وبالية . لكن أرجوكَ ألاّ تتدخّل فيها .

الطالب : هيه . . . هيه . . . حسناً !

ايفان ميخايلوفتش : هذا كل شيء ، لا تُعلّمْه سوى الخلايا ، وأرجوك ألاّ تهتمّ بالطريقة التي يعاملُنا بها ابنُنا ، وألاّ تُلقّنه شيئاً .

الطالب : يُدهشني أن أسمعك تبدي ملاحظاتك لي . ماذا تقْصد ؟

ايفان ميخايلوفتش : أقصد أن ابني لا ينبغي له أن يُلقي عليّ هذه الحماقات ، هذا كل شيء .

الطالب : حسناً ! تستطيع حتى أن تجلده ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغِ ، لا تُخرجْني عن طوري .

الطالب متخوّفاً : أنا أفهمُ هذا جيداً ، لكنْ صدّقْني ، ما كنتُ لأَشْغل هذا المكان . . . ومع ذلك فأنت ترغب في أن

أُطوّر ابنك . أنا ، أنا . . . لا أستطيع مع ذلك أن أخفي عنه قناعاتي .

كاترين ماتفيفنا : سيكون مستغرباً لو أهمل الكسي بافاوفتش استنتاجات العلم أو بدا كأنه يتجاهلها .

بيتروشا : ويمكن أيضاً أن تكون لي قناعاتي .

الطالب : ولا سيّما أن للحياة حقوقها وأن الآراءَ المسبقة لا تَصْمُدُ أمام نَقْد العقل والعلم .

كاترين ماتفيفنا : وخاصةً أن المفاهيم المتخلّفة لا يمكن أن تستمرّ ، نظراً للخطوة الهائلة التي خطتْها العلوم الطبيعية .

ايفان ميخايلوفتش : كفى، دعونا من هذا . أرجو ابني أن يتصرّف كما أريد ، لا أكثر . (بعد لحظة صمت ، مخاطباً الطالب) . ألم أجرحْكَ ، يا الكسي بافاوفتش ؟

الطالب : إنني أجلّ كرامتي عن أن أعتبرها جريحةً . حان وقتُ العمل . هيّا سرْ ، بريبيشيف الفتى .

بيتروشا : لا ، أنا جوعان .

(يدخل ساشكا ومعه صينية) .

الطالب : حسناً ! لِنبْقَ ، ولْنتغذّ .

(يقترب من الطعام) .

المشهد السادس

« ليوبوتشكا مشمّرةً فستانها ، وعلى رأسها قبّعة قش ، تدخل راكضة وخلفها بنتان ، تحمل سلة فطور » .

ليوبوتشكا : ماما العزيزة ، أتعلمين أني لم آتِ وحدي !

ماري فاسيليفنا : ومَنْ معكِ ؟

ايفان ميخايلوفتش : مع مَنْ إذن ؟

ليوبوتشكا : احزرا ! مع أناتول دميتريفتش . كنتُ ذاهبة مع البنات عندما وصل وتبعني . ما أجمل الفطورَ التي لقيناها ، في الوادي ، كما تعلمين ! فطور رائعة ، تحفة ! أناتول دميتريفتش لا يرى شيئاً ، ولم يعثر إلا على فطر سام . انظري إليها ، ما ألطفَها ! كاتنكا ، انظري ! ماشكا ، الفطور معاك ، أعطيهم إياها . (تأخذ السلة وتسحب الفطور منها) . وهذه الفطور الطحلبية ، انظر يا ساشكا ، ما أكثرها . وأنتَ قلتَ لي إنه لا توجد فطور في ممرّ البتولة ! هل رأيتَها ، يا بابا ؟

ايفان ميخايلوفتش : لكن أين أناتول دميتريفتش ؟

ليوبوتشكا : إنه يُنظّف ثيابه . توسخّ حين وقعَ على ركبتيه ، وهي بيضاء . بابا ، أيّ حديث كان بيني وبينه ، مُدهش ! على كل حال ، سأحكيه لك وحدك .

ايفان ميخايلوفتش : ما هو ؟ ما هو ؟

ليوتشكا : مهمٌّ جداً . لكن لا يمكن على الإطلاق أن أقول ذلك الآن . الأمرُ يخصّني . . .

ايفان ميخايلوفتش : ومع ذلك ، فأنتِ لا تُحسنين صنعاً حين تذهبين إلى الغابة لتحدّثي شاباً . . . صحيح أنه . . . لكنْ مع ذلك . . .

ليوبوتشكا : يا لها من فكرة متخلّفة ! أليس َ كذلك ، يا كاتنكا ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! وأنت ِ أيضاً ! تعالي إليّ واحكي لي هذا الحديث الخطير .

ليوبوتشكا : غير ممكن الآن . انتظرْ ، ستعرفه . لا ، لكن انظري إلى هذه الفطور اللطيفة ، ماما . (تنتصب وتصطنع الكبرياء َ ، مقلّدة الفطر) . مثل أستاذنا كارل كارليتش ؟ الضخم القصير . آه ! كم أحسُّ أنني فرحة اليوم ! ساشكا ، غداً سنذهب باكراً .

ماري فاسيليفنا : تريدين إذن شاياً أو قهوة ً ، مع الخبز الأبيض ؟

ليوبوتشكا : ستُدهش كثيراً ، يا بابا ، من حديثنا ، وأنت ِ أيضاً ، كاتيا ، وأنت . . . أنتم ، الكسي بافلوفتش . بيتروشكا ، أعطني . . . ماذا تأكل ؟

(تخطف منه شوكته وتضع اللقمة َ في فمها . بيتروشكا مستغرقٌ في فطوره) .

كاترين ماتفيفنا ، للطالب : وهذه ندٌّ لآناتول دميتريفتش ؟ يالنقص تطوّرها !

الطالب : هذا لا يمنع أنها بمظهرها وهيئتها فتاةٌ ممتازة وليست سيئة ً على الإطلاق .

ليوبوتشكا : ماما ، أأستطيع أن أعطيهما قطعة ً ؟ (تشير إلى اليتيين وتعطي كلا منهما قطعة خبز وسكراً) . تعالا َ ، غداً ، باكراً .

ماري فاسيليفنا تصبّ لها الشاي : كلي قشدةً .

ليوبوتشكا : لستُ جائعة ، أخذتُ من ماشكا فطيرةً ، المبيدة ، تحفة ! (تجلس إلى الطاولة وعلى الفور) . نسيتُ أن أقبلك ، يا بابا . (تقبّله) يا فطري الأبيض العزيز ! فيمَ كنتما تتناقشان عندما دخلتُ ؟

ايفان ميخايلوفتش : هذا أخوك الذي اخترع أنه لا ينبغي أن يقبّل أباه ، بل يقول فقط : صباح الخير ، يا أبي ، صباح الخير ، يا أمي .

بيتروشا ، وهو يلوك : لم أخترعْ ذلك ، توصّلْتُ إلى هذه القناعة .

ليوبوتشكا : ها — ها — ها ! يا لهذه الحماقات ! لا يفتؤون يخترعون أشياء جديدة .

ايفان ميخايلوفتش : وأنتِ تتنزهّين على البدعة الجديدة مع شاب .

ليوبوتشكا : صه ! لا تهاجمني . سأذهب عن عمد مع شاب الكسي بافلوفتش ، لنذهبْ غداً بحثاً عن الفطور .

الطالب : الواقع أن هذا ممكن التحقيق .

ليوبوتشكا : كلا ، لا أستطيع .

ماري فاسيليفنا : ربما أردتَ شيئاً من العجة ؟

الطالب : لا ، شكراً ، شبعتُ . حسناً ! وأنت ، يا بريبيشيف الشاب ، هل تغذّيتَ ؟ لنمشِ .

(يخرج الطالبُ وبيتروشا) .

المشهد – ٧ –

« الأشخاص أنفسهم ومدير الأعمال » .

ايفان ميخايلوفتش : هَـهْ . . . ما بِـكِ ؟

مدير الأعمال : بدأ الحصادُ في « كاميني » .

ايفان ميخايلوفيتش : كيف ذاك ؟ والأحرار ؟

مدير الأعمال : فلاحونا دفعوهم إلى ذلك ، حدثت شجار . وضُرِب ما تريون حتى أُدمي . وقد جاء ، وهو ينتظرُك في المكتب .

ليبوتشكا : نسيت أن أقول لك : إنه رهيب ، وكأنه أحد قُطاع الطارق . ماما ، لقد خفتُ كثيراً .

ايفان ميخايلوفتش : ولم هذا الشجار ؟

مدير الأعمال : وصل الحصادون وما كادوا يبدؤون حتى سارع إليهم ديومكين بالعصي الطويلة - وكان يحرث على مقربة – وقال لهم : « كيف تجرؤون على حصاد حقول سيدنا ؟ وقد شوّهتنا نحن . أنتم خبثاء لأنكم تخفضون من أجرتنا . أتحصد الفدان بروبل ! كان سيعطينا روبلين إذا دعت الحاجةُ . وإلا لرعينا كل شيء بخيولنا » . وأخذ يمسك بهم . وفي الوقت نفسه هُرِع الفلاحون من الحقول وضربوا الأحرار حتى أدموهم .

ليوبوتشكا : رأسُه مدمّى إلى هنا . هو مرعب .

ايفان ميخايلوفتش : وأين كانت عيناك . فهذا يخصّك .وكبير القرية ؟

مدير الأعمال : سافر إلى رئيس المنطقة .

ايفان ميخايلوفتش : جيد ، جيد !

مدير الأعمال : هيه ! ماذا تريد أن نفعل ، يا ايفان ميخايلوفتش ؟ فمن المستحيل العمل مع هؤلاء الناس . في هذه الليلة ، سرقوا حبلين ، وأرادوا نهبَ عَجَلتين مغلّفتين بالحديد ، ومن حسن الحظ أنني رأيتُ ذلك . كم مرةٍ قلتُ إنه يجب إغلاقُ كل شيء ، فلم أُطَعْ . ومع هذا فأنا المسؤول عن ذلك . أعتقد أنني لم أدخّر جهداً ولم أحرصْ على صحتي . فتفضّلْ واصرفْني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش ماذا تقول ، يا صديقي ؟

مدير الأعمال : نعم ، تفضّلْ علي بذلك . إن شئتَ ، فلم أعدْ أطيق .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا تقول ؟ لعلك تمزح ؟ أيمكن ذلك ونحن في غمرة أعمالنا ؟

مدير الأعمال : الأمرُ لك ، ايفان ميخايلوفتش ، لكني أصبحتُ عاجزاً عن خدمتك . لقد اجتهدتُ غاية اجتهادي ، ولا يثمر الاجتهاد شيئاً مع هؤلاء الناس . اصرفْني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش : اذهبْ بعد ذلك واشتغل بالزراعة ! (يذرع الغرفة ، منفعلاً ، ثم يقف أمام مدير الأعمال) . ما أنت إلا شخصٌ قذر . أتعتقد إذنْ أنه يمكن تعقيد كل شيء ، وتلويث كل شيء ، ثم الانصراف والأعمالُ في أشدّها ؟

مدير الأعمال : وما العمل ؟

ايفان ميخايلوفتش : اخرجْ من هنا ! لا أريد أن أوسّخ يدي .
ولولا ذلك . . . لا ، لكن هذا اصوصيةٌ .. الشيطان يعرف
خفاياها !

« يمشي » .

ماري فاسيليينّا : قلتُ لك أنهم سيتركوننا جميعاً الآن .

ليوبوتشكا : ينبغي لك أن تستخدم العمل الحرّ ، يا بابا ، يقول آناتول
دميتريفتش : إن هذا أفضل .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني . هم يهذون دون أن يعلموا ما
يقولون . اود أن أغطّي عيني وأهرب . كل شيء مهمل ،
مختلٌ ، شاعتَ السرقةُ ولا أحَدَ يعمل . الصبيان يؤدبون
أهلهم. لقد جُنّ الناسُ جميعاً . يا له من تقدّم حاوٍ !

كاترين ماتفيفنا : ها هنا ، في رأيي ، أسبابٌ عميقة تكمن في تنظيم
الحياة الشعبية .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني بجاه المسيح . إذنْ ، هل ستبقى ؟
أرجوك أن تبقى . وافهمْ انني لا أستطيع ، في الوقت
الحاضر ، أن أجد من يحلّ محلّاك .

مدير الأعمال : مستحيل ، يا سيدي ، فان لي عملاً آخر .

ايفان ميخايلوفتش ، **غاضباً** : طيب ، تظن أنك ستتخلّص مني هكذا ؟
أيها اللص ! طيبّ . والشرطة ؟

مدير الأعمال : لن تجرؤ ، لقد مضى ذلك الوقت .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا أجرؤ ؟

(يمسكه بقبّته) .

ماري فاسيليفنا ، واثبةً على قدميها : **جان** ! ايفان ميخايلوفتش ، ماذا تفعل ؟ ارحمني !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، سأصفّي حسابَكَ على طريقتي . تعال ، يا نذل .

(يقوده إلى الباب) .

المشهد – ٨ –

« يدخل فينيروفسكي »

فينيروفسكي : ها أنذا ، جئتُ لأراكم . ارفعْ يدك !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، هذا مستحيل . ما العمل ؟

فينيروفسكي : ماذا جرى عندكم ؟ أشياء يومية ؟ شَغْلة حلوة ! هيه ! هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : أعيتْني الحيلُ . . . هذا رجلٌ غَمَرْتُه بإحساني ، وأعْتَقْتُه قبل البيان ، وأعطيتُه الأرض . وكان يدير أملاكي ، وها هو الآن ، وفجأة ، وبدون أدنى سبب . . .

فينيروفسكي : لا يريد أن يستمرّ في خدمته ؟ هيه ! هيه ! طبعاً ! هذا شيء معروف . وأنت تودّ أن تضربه ، وأن تنكّل به ، وأن تحرقه بنار بطيئة ، لكن هذا ممنوع . وما حياتُنا في ذلك ؟ هذا هو الجانب السيء من العمل الحر .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ ، لا ردّه الله ! اذهبْ وسلّمْ كبير القرية كلَّ شيء . سآتي بنفسي .

(مدير الأعمال ينصرف) .

فينيروفسكي : قسماً ، أنا معجبٌ باك ، يا ايفان ميخايلوفتش ، لأناك تتحكمّ بنفساك هذا التحكمّ . هذه قوة . نعم ، قوة . وما زالوا يدعوناك رجعياً ، هيه ! هيه !

ماري فاسيلييفنا : أتريد شاياً أو قهوة ، مع القشطة ، هذا هو الخبز الأبيض والزبدة .

فينيروفسكي : شكراً . على العموم ، كيف يسير العملُ الحر ؟ عندما وصلتُ إلى هنا ، رأيتُ أن العمل يتقدّم بسرعة . هيه ! هيه ! هل هو مُرْضٍ ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دعْني من هذا الموضوع ! لابأس . . . لكنّ مثل هذه المتاعب . . . وأنتَ ، كيف حالُكَ ؟

فينيروفسكي : نحن ، لابأس ، نعمل بأناة . كل هذا الوحل الريفي يضايق ويخنق ، لكننا نناضل جهد المستطاع .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، نعم .

فينيروفسكي : نحن نتقدّم دائماً . وهكذا افتتحْنا أمس مدرسةً لأطفال الصنّاع . حصلنا على مكان وعلى كل شيء ؛ وجمعْنا ، بطريقةٍ ما ، شيئاً من المال من التجار ، لشراء الكتب ؛ وهي تسير سيراً حسناً . تعال وزرْها ذات يوم أنت وليوبوف ايفانوفنا . هي مثيرة للاهتمام .

ايفان ميخايلوفتش : هذا نشاطٌ يَبْعث على الرضا . والمحاضرةُ الأخرى التي ستُلقيها ، متى موعدُها ؟

فينيروفسكي : لم يَبْقَ لي ، مع الأسف ، وقتٌ ، فعملي يَسْتأثر بي دائماً . إن أصحاب معامل التقطير غشّاشون . . ومنذ يومين ، لقطتُ واحداً منهم . عرضَ عليّ ثلاثة آلاف روبل رشوةً . هيه ! هيه ! أناسٌ سخيفون لا يجوز أن نتجرحَ منهم . ما العمل ، كأنهم يتكلّمون لغةً أخرى . هيه ! هيه ! هيه ! . . . تعال إذنْ ذات يوم لزيارة المدرسة أنتَ وليوبوف إيفانوفنا . نعم ، الأمرُ هكذا : نعمل ، ونعمل ، ثم ننظر حولنا ونحسّ أن هذا الوسط يغدو مع ذلك أكثر نبلاً . يكرهونني — هيه ! هيه ! — لكن ماذا يهمّني من ذلك ؟ أحبُّ أن يكرهوني . هذه علامةُ قوة — هيه ! هيه ! أما أنا فلا أكره ، أنا أحتقر .

ايفان ميخايلوفتش : لكن ماذا حدثَ في ناديكم ؟

فينيروفسكي : لُقِطَ غشاشٌ : رئيسُ النادي الذي أراد أن يسرق المالَ من الصندوق ، لكنه فوجىءَ وأُسقِطَ في يده . كل هؤلاء الناس نصّابون ، هيه ! هيه ! ومن البديهي حينئذٍ أن نبتهج حين نرى أن أفكار التقدم — ولو بعضاً منها — أَخذتْ تَنْفذ إلى هذه الرؤوس القاسية مع الشعور بالشرف وبالعواطف الإنسانية . نعم ، مهما تقلْ ، فان شخصاً واحداً شريفاً فقط يستطيع أن يفعل كثيراً من الأشياء . وهكذا تراني أفكّر في نفسي — وليس لي أن أتصنّع التواضع ، هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : على كل حال ، كيف نتّهم الناس إذا فكّرنا في التربية التي تربّوها ؟

فينيروفسكي : عندي شيءٌ شخصي أحبّ أن أقوله لكَ . (يأخذ ايفان ميخايلوفتش على حدة) . مهما عشْنا من أجل القضيّة العامة ، فنحن مُضطرّون إلى أن نفكرّ أحياناً في أنفسنا ، لأن الشعور بالأنانية موجودٌ في كل إنسان . ومع أن تلك الحالة قلما تصيبني ، فهي حالتي في هذه المرة . . . ولست أدري كيف أقولها لك . فقد فقدتُ حقّاً عادةَ التفكير في مصالحي الخاصة . (يبتسم) . هذا مضحكٌ حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : وما بكَ ؟ لعلك بحاجة إلى المال ؟ أنا مستعدٌ دائماً ، بحسب قدراتي . . .

فينيروفسكي : لا . أعلم أنك لا تحبّني ،لكن ماالعمل ؟ إنما القوةُ فينا . ويجب أن يُحْسَبَ لنا ألفُ حساب .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ عمّ تتكلّم ؟ أظنّني حزرتُ . . . لكن هذا شيءٌ له . . .

فينيروفسكي : حسناً ! إن حزرتَ فأعطِني إذن ابنتَك ، أرجوك ، هذا أبسط ما يمكن . . .

ايفان ميخايلوفتش : **بلهجة ارتسامية** ، طلبُكَ ، يا أناتول دميتريفتش ، يسرّني . لقد كوّنتُ عنك أحسنَ فكرةٍ . وسماعكَ هذا يؤيّد رأيي . فأنت تتصرّف حقاً كما يتصرّف الرجل الشريف . وأنت لم تتردّدْ على بيتي دون أن يكون لك هدف . ولم تُسيءْ إلى سمعة فتاةٍ ؛ ثم إنك فعلتَ ما يفعلُه الرجلُ

النبيلُ حقاً ، فلم تَسْمحْ لنفسك بتكديرها وتَوَجّهت أولاً إلى أبيها . وهذه سمةٌ رفيعةٌ إلى حد كبير .

فينيروفسكي : هيه ! الأمر مختلفٌ قليلاً ، بحسب قناعتينا . هيه ! هيه ! فقد كلّمتُ بهذا الشأن ليوبوف ايفانوفنا التي ، هيه ! هيه ! وافقتْ .

ايفان ميخايلوفتش : هه . . . نعم . . . أنت تعلم ، طبعاً ، أنا أوافق على ذلك . . .

فينيروفسكي : أعتقدُ أن موافقة ماري فاسيليفنا . . . هيه ! هيه ! . . . طبعاً . هناك شيءٌ واحدٌ فقط . أنت تعلم أنني ، برأيكَ ، شخصٌ غريب الأطوار ، هيه ! هيه ! . . . وأنا أفضل أن أتجنب كل تلك التهاني ، والقيل والقال . إني لا أستسيغ ذلك . . . وأود لو أرى أقلّ ما يمكن من هؤلاء الناس الذين أحتقرهم . ولذلك فمن الأفضل ترك الأمر كله سراً في الوقت الراهن؛ كل هذه الأساليب غبيّة، أليس كذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : طيّب ، طيب . فهمت . والآن ، يا صهري المُقبل . . .

فينيروفسكي : ايفان ميخايلوفتش ، أنا دائماً آناتول دميتريفتش ، وأنت ايفان ميخايلوفتش . ما معنى : صهر وحمو ؟ لا جدوى من ذلك ، ولستُ أستسيغه ، وهو ، على الخصوص ، شيء غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : بالتأكيد، لكن...حسناً! والآن أرى من الضروري أن أكلّمكَ عن ثروة ليوبوتشكا لسنا أغنياء، لكن . . .

فينيروفسكي : يا له من إيضاح ! . . . مالي واثروتها ؟ ثروتُها ملكُها ؛ وإذا كان لها ثروةٌ فهذا شيء حسن . إن من يَفْهم الرجالَ ، ولو قليلاً ، ليس عليه إلا أن يرى نشاطي وبحكمُ عليَّ تبعاً له . وسأقول لك ما يَلْزمني . لي هدف واحد . فلهذه الفتاة طبيعة صالحةٌ ، وفيها إمكاناتٌ . لستُ مُغْرماً بها . وأنا أجهل هذه الحماقات . فبها إمكانات لكنها هي لم تتطوّرْ إلا قليلا ، قليلاً جداً . وأنا أشتهي شيئاً واحداً : أن أرفعَ مستواها إلى مستوانا ، وحينئذٍ سأقول : لقد أتممتُ عملاً أيضاً ، لكني أودّ ألاّ يزعجني أحدٌ في ذلك . وأنا أنبّهك على ذلك . قد يبدو لكَ ذلك غريباً ، لكننا ناسٌ حديثون ، وما يبدو لك غريباً وصعباً سهلٌ علينا . فلا تكلّم إذنْ أحداً عن ذلك قبل مطلع آب ، وستتمّ القضية على أحسن ما يرام .

(يشدّ على يده ، فيشدّ ايفان ميخايلوفتش على يده أيضاً ، طويلاً وبقوة) .

ايفان ميخايلوفتش : فهمتُ كل شيء ، كل شيء . اسمحْ لي أن أقبلك .

فينيروفسكي : لا ، هذا لا ، إذا شئتَ لا أستسيغ ذلك . إلى اللقاء .

(ينصرف فينيروفسكي) .

ايفان ميخايلوفتش : إنه رجلٌ نبيلٌ ، حقاً . هذا هو العصر الجديد . غريب . لم أتعوّدْ ذلك بعد . لكن الحمد لله . الحمد لله !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« يمثّل المسرح غرفة عَزَب ٍ لا نظام فيها ، في شقة فينيروفسكي »

المشهد — ١ —

فينيروفسكي ، وحده ، وصورتُه بين يديه : أنا أتزوّج ! إنه لمن الغباء ، وإنه لشيء مخيفٌ أن يرتبط الرجل إلى الأبد بامرأة أفسدَها وسطُها ولم تتطوّرْ إلا قليلاً . إنه لمن المخيف أن يفقد الرجلُ قوّته وصفاءه في الصدام المستمرّ مع التفاهة والوحل . . . إلا أن ذلك يسرّ النفس . هناكَ كثير من الأشياء تسرّ النفس . الحياة المؤمّنة ، ثم إنها هي نفسها كامرأة . . . ليست رديئةً على الإطلاق . أستطيع أن أترك خدمتي ، وأهتم بالعمل الأدبي . وهي ، على الخصوص ، تسرّ النظر . كل هذا بديع . امرأة بديعة . . . قبّلتْني بشيء من السرور . بل وبكثير من الاندفاع . وخيِّلَ إليّ أيضاً أنني لم أكن أتوقّع ذلك . وبالفعل لم أكن أتوقّع ذلك . لمَ ذاك ؟ أيُّ خطأ غريب كنتُ أنميّه بصدد نفسي !

كما أسأتُ فهمَ نفسي ! (ينظر إلى نفسه في المرآة) .
نعم ، وجهٌ جميل ، ومظهرٌ لافتٌ للنظر . بل وجميل ، جميل جداً . نعم هذا هو ما يُسمّى الرجل الوسيم ؛ الرجل الجذّاب وذو المظهر اللافت للنظر كم يخطىءُ الإنسان في فهم نفسه ! وبأي رُعبٍ مضحكٍ كنتُ أدنو منها ! كان هناك ما يدعو إلى الخوف ! هيه ! هيه ! هيه ! كنت أظن أن مظهري ليس فاتناً ، وكنت أسعى إلى أن أعزّي نفسي . كنت أقول في نفسي : إذا لم أكن جذّاباً كالآخرين ، فأنا ذكي ، ومَنْ أذكى مني ، فيما أعلم ؟ ومَنْ يفهم الأشياءَ بدقة ويسر وعمقَ كفهمي لها؟ وكنت أقول في نفسي : حسناً ! إني لستُ جميلاً ، ولا أستطيع أن أباريَ هؤلاء السادة الجميلين الذين أراهم يمرّون في عرباتهم الجميلة ؛ لكنّ لي ، بالمقابل ، عقلاً واسعاً ، واستقامة ، وطبعاً متحرراً ، قوياً وصافياً . . . كل هذا يعوّضني تعويضاً كبيراً . هكذا كنتُ أعزّي نفسي . لا أعرف كيف أجلس في الصالونات ولا كيف أتحدّث الفرنسية كالآخرين ، وكنتُ أحسد هؤلاء السادة الذين ألفوا الصالونات . وبالمقابل ، فأنا متعلّم أكثر من أي إنسان . . . لأنني لا أعرف ، في الواقع ، أحداً يملك معرفةً شاملةً وعميقةً كمعرفتي . وهل هناك علم لا أشعر فيه بالقدرة على القيام بالاكتشافات ؟ فقه اللغة، التاريخ . . . والعلوم الطبيعية ؟ أعرف كل شيءٍ ، وملكاتي ؟ كنتُ أقول في نفسي إن القدر يقتسم قسمته فيعطي البعضَ مثلي الذكاءَ والموهبة

والمعرفة والقوة ؛ ويَهَبُ البعضَ الآخر مواهبَ تافهة : كالجمال ، والرشاقة ، واللطف ، فماذا رأيتُ في الواقع ، على حين غرّة ؟ رأيت أن الطبيعة لم تَقْسم قِسْمتَها ، وإنما جمعتْ ذلك كله في رجلٍ واحد . ذلك أني ، في بطرسبرج ، لم يتسن لي أن أجرّب قوتي مع النساء . . . من هذا النوع . وفي الوقت الحاضر ، انتهى الأمرُ ، في أفضل حلقات النبلاء وفي أتْفهها ، حيث لا ينظرون إلا إلى المظهر الخارجي . لأن ليوبا لا يمكنها أن تفهم جوهر صفاتي . ففي هذه الحلقة تُشْغَف بي امرأتان . نعم ، تُشْغَفُ بي . (باعتداد) آه ! أأنا بشع وأخرق ! . كم يجهل المرءُ نفسه ! من المضحك تذكّرُ ذلك . (ينظر إلى نفسه في المرآة) . أي عمقٍ ، وأي هدوء ، وأي نفاذٍ في التعبير ! نعم ، كان صعباً عليهما مقاومةَ تأثيري . إني أفهم ما الكائن القوي . نحن نغضّ من قَدْر أنفسنا دائماً ، بخلاف الرعاع الذين يحسنون الظنّ بأنفسهم . بينما ليس ، في الواقع ، رجلٌ أوفر مواهبَ مني ، ويَبْخَسُ ، في الوقت نفسه ، قَدْر صفاته الخاصة نعم . . . هذا واضح .

المشهد الثاني

« فينيروفسكي ؛ يدخل بيكلشوف ، رفيقه في الجامعة وهو اليوم موظف في قضاء الصلح(١) » .

---

(١) قضاء الصلح : كتبت هذه الملهاة في سنة ١٨٦٣ ولم يدخل قضاء الصلح إلا في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٦٤ . فهنا مفارقة تاريخية مردها إلى تنقيح لاحق .

بيكليشوف : آه ! يا أخي، لو ترى صيدنا الوفير اليوم ! ها ! ها ! أنا عائد من الجلسة .

فينيروفسكي : جديرٌ بالثناء أن تتفرّغ لأعمال هذا الوجود . وما الذي أرسله الله إليكم ؟

بيكليشوف: قَمَعْنا ثلاثةَ ملاّك زراعيين ، بينهم امرأة وموظف مرتشٍ كل هذا في جلسة واحدة . يمكن القول : إنها لعبةٌ ممتازة .

فينيروفسكي : هذا حسن . هذا نافع لهم،ويسرّني أن أسمعه ؛ وأنت تجد فيه متعةً ؟

بيكليشوف: متعةً لا توصف ، يا صديقي . كيف لا ، وحياتي كلها تقوم على ذلك . ذاك هوايَ واختصاصي . أنتم المثاليون لا تفعلون شيئا سوى المحاكمة العقلية ، بينما نحن العمليون نفعل . وهكذا ، أتعلم لمَ أشارك في زواجك ؟ لا لأني رفيقكَ وصديقك وأني أرى فيه سعادتك . أبداً ، لا . إني أرى فيه فقط هذا الحيوان اللبون بريبيشيف الذي ينوي خداعك والذي يجب قمعُه . وسأقمعه . كيف تسير أعمالكَ ، إذن ؟ وهل سنذهب إلى منزل آل بريبيشيف ؟ الإشهار الصريحاليوم.أنا مستعدٌ ومسلّحٌ من رأسي إلى قدمي.

فينيروفسكي : عمليّةٌ لا خير فيها . هيه ! هيه ! هيه ! . . . إنها الخطبة ، تلك العادة الحمقاء التي يجبَ تجنّبها قدْر الإمكان.

بيكليشوف: ليس هذا مهماً . . أين صرتَ فيما يخص المسألة المالية ؟ هل حصلتَ على إيضاح ؟

فينيروفسكي : لقد أوضحتُ فكرتي أمام والدها المحترم منذ البداية . إن ثروتها لها ، وليُعفني من حماقاته ، نعم . هيه ! هيه ! وابتهج والدُها كثيراً بمثل هذا المفهوم ، طبعاً . . . .

بيكليشوف: اوه ! يا للمثاليين ! أعطيته أنت نفسك سلاحاً . ، سيتصور ، بطبيعته الرخوة ، أنه لا يجب أن يعطي شيئاً لعروسك ، ومن الجنون أن تكلّف نفسك الإنفاق على امرأة دون أن تتلقى موارد جديدة . يبدو لي أنْ لا فائدة من البرهنة على ذلك .

فينيروفسكي : هذا صحيح . لكنني سأفعل ما هو ضروري حتى لا يتلاعبوا بي . ليس لي سوى هدف واحد : هو انتزاع هذه الفتاة من الشروط المبلّدة واللاأخلاقية التي تعيشُ فيها ؛ ومن البديهي أن هذه الفتاة لا ينبغي أن تفقد شيئاً لكونْها اختارتني ، ولا ينبغي أن تُحرَم رفاهية حياتها ؛ وهي رفاهيةٌ بسيطة على كل حال . سأفعل ما هو ضروري لحماية مصالحها .

بيكليشوف: لكن ، لا تدعْ أحداً يغشّك . أنتم المثاليون ، هذا هو ما تمتازون به . ترسمون مخططات دون أن تناقشوها مسبقاً من الناحية العملية . ما التدابير التي ستتخذها إذن ؟

فينيروفسكي : في آخر لقاء ، بدأ بريبيشيف ، مرة أخرى ، أمام ابنته ، حديثَه عن المال ؛ فأجبتْ أني أجدُ من الأنسب معالجة هذا الموضوع على انفراد بدلاً من التباهي به أمام الناس .

بيكليشوف: لكن هذه هي النقطة بالضبط ، يا صديقي ، أنت متكلّف رقةَ الإحساس وهم سيخدعونك .

فينيروفسكي : هذا اليوم هو الذي حدّدتُه للمحادثات . وفي نيّتي أنْ أُعلن له أنني أرغبُ في توضيح علاقاتنا المالية . هذا ، ما أستطيع أن أضمنه لك .

بيكليشوف: سيَخْدعُك ، صدّقْني . (يفكّر) . تذكّرْ شيئاً : بالنسبة إليهم ، بالنسبة إلى هؤلاء الناس ، يأتي الاحتفالُ قبل كل شيء . ومن هذا الجانب يجب أن نُمْسك بهم . تذكّر هذا الشيء : يجب ألا تذهب إلى الكنيسة قبل أن تكون بين يديك الصكوك الصريحة التي تمنحها ثروةً ما .

فينيروفسكي : أنت تطرح المسألة وكأنه ليس عندي سوى ثروتها . لا أستسيغ هذا . وأنت حتماً عملي أكثر مما يجب .

بيكليشوف: آه ! قلتُ لك إنك مثالي . لكنك تنسى مع من تتعامل . هؤلاء جميعاً أوغاد . لقد نهبوا الأقنان ، وشربوا دمَ الشعب ، طوال خمس مئة عام ، وتريد أن تَصْطنع المثاليةَ معهم . نعم : إن لك هدفاً شريفاً : هو إنقاذها . فلماذ إذن تتحيّر بالوسائل؟ هذه شيطنة صبيانية ، وليست جِدّاً .

فينيروفسكي : بالنسبة إلي ، أيها الأخ ، يأتي الهدفُ قبل كل شيء .

بيكليشوف: طيّب ، طيب، مثالي ! أكرّر لك أني إنْ لم أمسكَك بيدي فستَعْلق بين أيديهم وكأنك في شرك . على كل حال ، مِنْ هذه الناحية ، سنتمعهم ، فاحْك لي صفات هذه الفتاة .

فينيروفسكي : ماذا أقول لك . . . صبيّةٌ مظهرها رائقٌ جداً ، طيّبة ، ودودة ؛ هي طبيعةٌ لم تفسد تماماً . إمكاناتٌ حسنة جداً . في هذه الأيام الخمسة عشر الأخيرة أعطيتُها كتباً كثيرة تقرؤها وتحدّثتُ كثيراً معها . ولذلك أخذتْ ترى الأشياء في وجهها الحقيقي . مثلاً ، أحسّتْ بكل دناءةِ وسطها ، وتمنّتْ لو تتخلّص منه ، وأدركتْ تفاهةَ والديْها المحترميْن. طبيعة طيّبة جداً ومستقيمةٌ . وإذا ما انتشلْتُها من هذا العشّ الدنيء ، المليء بالخِزْي ، وحملْتُها ، طبعاً ، على قطع صلاتها كلها بأهلها المحترمين ، فاني آمَلُ أن تتطوّر تطوّراً كاملاً . ستراها بعد قليل .

بيكليشوف : جيد . ومَنْ هذه البنت ، ابنة أخيه ؟

فينيروفسكي : ابنة أخيه وهي فتاة متحرّرة ، وطبيعةٌ متطوّرة وليست غبية ، لكن مظهرها غير جذاب كثيراً .

بيكليشوف : مهما يُقَلْ فان النساء لا يمكنُ أن يكنّ جميلات ومتطوّرات في آن واحد . فالبلهاوات الممتلئات هنّ أكثر حلاوةً .

فينيروفسكي : ديه ! هيه ! نعم ، طبعاً . إذن هذه الفتاة تضايقني كثيراً . كانت بيننا قديماً بعض العلاقات . كانت الكائن الوحيد المفكّر في العائلة ، فتقرّبتُ منها تلقائياً . والآن يبدو أنها تريد فرض طلباتها عليّ . أصبح ذلك سخيفاً ، وقد يُصبح أسوأ إذا علمتْ بزواجي .

بيكليشوف : هذا سيءٌ .

فينيروفسكي : لا ، يا سيرج بيتروفتش المحترم ، لا يمكن لأحد أن يُنحي علي باللائمة ؛ لقد تصرفْتُ كما يتصرف الرجلُ الشريف الذي يعترفُ بحرية المرأة . قلتُ لها إنني لا أُريد ألاّ ألتزم بشيء ، وأنني لا أُسلم نفسي لهذه العلاقات إلا لبعض الوقت .

بيكليشوف : ها ! ها ! ها ! إني أرى بوضوح ما يكدّرك : أنت تتساءل إن كنتَ لم تُسيءْ التصرف معها . يا للمثالية ! فكّرْ مع مَنْ تتعامل . تذكّرْ ما يعتبرونه شراً وما يعتبرونه خيراً .جميع الأفكار الأخلاقية مشوّهةٌ في الوسط الذي يعيشون فيه . وإذا حسبنا حساباً لهؤلاء الناس خُدِعْنا أبداً . القاعدة الأولى هي أن نعلم ما غيرُ الشريف عندنا وما الشريف عندهم ، والعكس . وطبْقاً لهذا المبدأ ، فلْنفرضْ أنك لهوتَ معها — في مملكة العُميان العورُهم الملوك(١) — فما أهمية **ذلك** ؟

فينيروفسكي : صحيح ، لكن هذه الفتاة ملحاحٌ ، وهي تعتقد أن لها حقوقاً عليّ وتستطيع أن تؤذيني . أودّ تنحيتها .

بيكليشوف : هذا واضح . . ولن أقتصر على تَنْحية تأثيرها ، بل سأقيد هذين الشخصين تقييداً محكما بحيث يتعذّر الفصل بينهما — انتظرْ قليلاً .

---

(١) في مملكة العميان العورهم الملوك : تولستوي يستخدم هنا مثلا روسياً يقول حرفياً : « إذا غاب السمك عد السرطان سمكاً » .

المشهد الثالث

« الشخصان السابقان ؛ يدخل الحارس الذي يقوم بدور الخادم ، ثم كاترين ماتفيفنا وايفان ميخايلوفتش » .

الحارس : أناتول دميتريفتش ، هذه الآنسة تطلبك مرة أخرى ، ومعها سيّد .

فينيروفسكي : أيةُ آنسة ؟

الحارس : تلك التي كانت تأتي من قبل ، بشعرها القصير .

فينيروفسكي : هذا بريبيشيف مع ابنة أخيه . أدْخلْهما .

(يخرج الحارس)

بيكليشوف : ها إن الكرة تبحث عن اللاعب(٢) . سألاحقهما كليهما .

« يدخل ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيفنا » .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ذهبتُ أنا وكاتنكا لزيارة مدرستك . وخافت ليوبوتشكا من مصاحبتي ، بالرغم من رغبتها في ذلك ، لأنها بردتْ أمس . وجئنا لزيارتك ، في طريقنا . آه ! آناتول دميتريفتش ، أأعترف لك ، رَوْعةٌ هؤلاء الأطفال ! نعم ، هذا لطيفٌ حقاً ، لطيفٌ جداً .

فينيروفسكي : أحسنتَ صنعاً إذ جئتَ . سأقدّم لكَ بيكليشوف ، وهو رفيقٌ وسيّد ذكي وطيّب . كاترين ماتفيفنا ، أقدّمه لكِ أيضاً .

---

(٢) الكرة تبث عن اللاعب : المثل الروسي المستخدم هنا ، يقول : « الطريدة تبحث عن الصياد » .

كاترين ماتفيفنا لبيكليشوف ، وهي تشدّ يده بقوة عظيمة حتى كشر من الألم : أدهشني دائماً أن علاقات الرفقة بين الرجال ثابتة ، في حين أن هذا الحدث ، إن صحّ القول ، لا يحدثُ بين النساء — ألا يكمن السببُ في مستوى التعلم المتدني الذي تمْنَحهُ المرأة ؟ أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف : لا ريب أن الروابط تتوثّق بوحدة القناعات لا . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! اعتقدُ أنك صديق حميم لأناتول دميتّريفتش لا لكونك رفيقه ، بل لكونك تشاركه مفاهيمه .

بيكليشوف : لا ريب أن لنا نفس المفاهيم . ذهبتما إلى المدرسة ؟

كاترين ماتفيفنا : نعم ، قلْ لي ، ما رأيك بفكرتي هذه : إني أتساءَل إن كان تطوّر المنعكسات لدى الصغار ضاراً ؟ وافقْني على أن الموضوع هنا يدور على الطبائع الكاملة . . .

بيكليشوف : يَعْني . . . أنني أجهل كيف تنظرين إلى هذه القضية . المنعكسات هي فقط علامة تطوّر .

(يتنحيّان وهما يتابعان حديثهما) .

ايفان ميخايلوفتش ـ لفينيروفسكي : منذ زمن طويل وأنا أنوى أن أزورُ هذه المدرسة ، فهي جديرة بالاهتمام ، وفي الوقت نفسه ، قلت في نفسي : يجب أن نتحدّث اليوم ، في شؤوننا ، بصدد ثروة ليوبوتشكا ، كما تذكر . إني أحملُ هذه (يُري محفظته) . ستكون أكثر ارتياحاً هنا .

لنتحدّثْ ، ثم سآخذك إلى البيت . نستطيع ان نعان النبأ لكاتنكا ، لأن الجميع سيعرفونه اليوم . لن تضايقنا ؛ على العكس ، ستُعطينا نصائحها ، لأنها امرأةٌ ذكية ، كاتنكا ، بالرغم من غراباتها .

فينيروفسكي : لا ، تفعل ذلك الآن ، هذا مزعج . . . فهناك هذا السيّد . . .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! سنفعل ذلك فيما بعد . لكنني لن أتركك اليوم . يجب أن تعرف مع ذلك . . . (يقترب بيكليشوف وكاترين ماتفيفنا) . كم أنا ممتنٌّ لك ، لأنك أتَحْتَ لي زيارة هذه المدرسة . يا لروعة هؤلاء الصغار ! لا أكاد أصدّق ! ما أمْرحَهمَ وما أطْرفَهم ! وما أعظمَ التقدم الذي يحقّقونه ، وبما أنه . . . شيء . . . فيجب أن ننصفك ، لأن هذه المدرسة منظمة تنظيماً عجيباً . شيء لطيف ، إنه لعمل حقيقي من أعمال الخير . . . لطيف ، لطيف جداً .

فينيروفسكي : نعم ، نحن نتابع عملنا شيئاً فشيئاً . ومع أنهم يضعون لنا العصيّ في العجلات ، إلا أننا سنحطّمها قليلا قليلاً .

ايفان ميخايلوفتش ، لبيكليشوف : أرى أنه تقدّم لشعبنا دون تعليم حقيقي ، قصدت التعاليم الأخلاقي .

بيكليشوف : كل واحد يفهم التعاليم على طريقته ، لكنه مفيد بالتأكيد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمح لي ! أناتول دميترفتش ، لماذا لم

تطبّق فيها الطريقةَ الصوتية ؟ إنها أقربُ تناوُلاً وأكثر عقلانيةً ، أكثر عقلانيةً بكثير .

فينيروفسكي : هيه ! لا يُصْنَع كلُّ شيء عقلانياً . فضّلتُ طريقة زولوتوف المبسّطة(١) .

كاترين ماتفيفنا : أريد أيضاً أن أوضح رأيي بصراحة أمامك . لقد تحدّثتُ للتوّ مع بيكاليشوف . أرى أن تنمية المنعكسات في الطبائع المتدنيّة المستوى أمرٌ لا عقلاني .

ايفان ميخايلوفتش : اعذروني ، سأمرّ على دار البلدية(٢) بسرعة ثم نذهب بعد ذلك ونتحدث .

فينيروفسكي ، **لكاترين ماتفيفنا** : سنناقش هذه المسألة . هيه ! هيه ! هيه ! (لإيفان ميخايلوفتش) . حسناً ! عُدْ . سيأتي بيكاليشوف معنا وستُجلسُه في مركبتك ، على ما أظن ؟

ايفان ميخايلوفتش : سنجلسه فيها ، سنجلسه فيها (لبكاليشوف) . أنا سعيد ، سعيد جداً . هذا يوم سارٌ لنا ، وسيكون صديق أناتول دميتّريفتش ضيفاً عزيزاً في بيتي .

(يتحادثان بصوت منخفض)

كاترين ماتفيفنا ، **لفينيروفسكي** : إن بقيتُ هنا فسوف أُعنى بقسمٍ من التعليم في هذه المدرسة . وسأبرهن لك عمليّاً أنّ المنعكسات ضارة .

---

(١) طريقة زولوتوف المبسطة : فاسيلي زولوتوف (١٨٠٤ – ١٨٩٢) مرب رفيع الشأن ، مؤلف كتب مدرسية .

(٢) دار البلدية : المكان الذي تتجمع فيه الدوائر المدينة في المقاطعة .

فينيروفسكي : حسناً ! هذا ممكن .

ايفان ميخايلوفتش ، وهو ينصرف : إلى اللقاء ، سأنتهي في خمس دقائق .

فينيروفسكي ، لايفان ميخايلوفتش : عُدْ إذن ، عُدْ . (لكاترين ماتفيفنا) . لماذا تهاجمين هكذا تطوير المنعكسات لدى الأطفال ؟ أعتقد أن ما هو خير لنا لا بد أن يكون خيراً للجميع .

كاترين ماتفيفنا ، لفينيروفسكي : لا ، اسمحْ لي ، اسمح لي ! هذه الزيارة للمدرسة بعثت فيّ عدداً من الأفكار ! هناك مسألةٌ تطرح ذاتها : ماذا تنوي أن تفعل بهذه الطبائع ؟ هل تعترف بتطور كل فرد باعتبار هذا التطور خيراً لا شك فيه ، أم أن تطور الوحدة دون مؤازرة المبادرة العامة يضرّ بهذه الوحدات من جراء شذوذ النظام القائم ؟

فينيروفسكي : أعتبر أن التطور خيرٌ دائماً ، مهما يكن الشكل الذي يتجلّى فيه ، لكن . . .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، على طريق التقدم .

فينيروفسكي : طبعاً . لكن يجب مع ذلك أن نأخذ بعين الاعتبار العقبات التي يَحْملها الوسطُ المحيط .

كاترين ماتفيفنا : هذا صحيح ؛ مهما تقلْ فقد أجبتكَ من قبل وقلتُ إن الحدسَ يدلّني على أن هذا الوسط القاتل ، هذا الجو العفن الذي نتنفّسه هو فوق قواك .

فينيروفسكي ، ينوي أن يقول شيئاً لصديقه : أنت . . .

كاترين ماتفيفنا: لا ، اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، دعْني أوضّح رأيي .
لقد حدّدت لنفسك هدفاً هو إدخال النور الي هذا الركود ،
لكن الوسط يضغط علياك ، ولا بد لك من مجالٍ أرحب .
(لبيكليشوف) . أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف ، لفينيروفسكي : أية بنت هذه ، يا صديقي ! أبْد رأياك إذن .

كاترين ماتفيفنا ، بعد تفكير : نعم ، إن هذه الزيارة ولّدت فيّ سلسلةً من الأفكار . وقد ازداد تقديري لك . (تشدّ على يد فينيروفسكي) . بيكليشوف ، عندي قضيةٌ شخصية أحب أن أعالجها مع فينيروفسكي ، أنا فوق الأحكام الاجتماعية المسبقة ، ولذلك أرجوك أن تخرج . أأنت فوق تلك الأحكام أيضاً ؟

بيكليشوف: طبعاً ، سأبقى في الغرفة المجاورة (لفينيروفسكي ، وهو خارج) . هذا أحسن ؛ نعم ، هي متطوّرة ، لكنها كريهة ، أستطيع أن أقول ذلك .

(يخرج)

المشهد — ٤ —

« كاترين ماتفيفنا تصمت ، فينيروفسكي يصمت أيضاً ، مرتاحاً » .

كاترين ماتفيفنا ، مرتبكةً : نعم ، هذا هو اليوم . . . وإن صحّ القول . . . نعم ، لقد تمّ التخمّرُ الداخلي . . . لكنكَ

طبيعةٌ شريفة . . . لقد أفلتتْ المرأةُ من الضغط الإجتماعي الذي كان يخنقها . . . وهي مساويةٌ للرجل وأنا . . . نعم ، جئتُ لأقول لك بشرف وبصراحة . . . لقد شعرتُ شعوراً عميقاً بذاتي . . . نعم ، أنا . . . لكنْ قلْ أنتَ شيئاً ! . . .

فينيروفسكي : أنا أصغي إلياكِ . سيكون الحديثُ ممتعاً ، على ما يبدو .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، لكن أنْ أقول هكذا . . . نعم ، انتظرْ . . .

فينيروفسكي : سأنتظر . وعدتِ أن تنقلي إليّ عواطفك ، لكن شيئاً ما يعوقُك . أنتِ امرأةٌ حرّةٌ — تغلّبي على نفسك بنفسك . ومن أجل الوضوح في العلاقات ، نحن بحاجة إلى الوضوح في العبارات وفي الكلام . ووضوح العلاقات ، بالنسبة إلي ، أمرٌ مرغوبٌ فيه . سأعبّر عن نفسي بصراحة ، افعلي مثلي ، دون أن تُربكك تلك الآراءُ البالية عن علاقات الرجل بالمرأة . لا تتضايقي ، آدم القديم هو الذي يشوّشُك كما تقول العلومُ الروحانية الطيّبة الذكر . . . ماذا تقولين ؟ . . . .

كاترين ماتفيفنا ، بعزم : نعم ، صَدَقْتَ ، إنه آدم القديم . وأنا فوق ذلك . (تمدّ إليه يدها) . فينيروفسكي ! لقد سَبَرْتُ أغوار وجداني واقتنعتُ بأننا يجب أن نتّحد . نعم . . . أمّا الشكلُ الذي يجب أن يتمّ به هذا الاتحاد فهو ما أتركُ لك حريةَ البتّ فيه . هل نجدُ من الضروري ، من أجل

الجمهور وأهلي المحدودي التطوّر ، وكذلك من أجل أهالك ، أن يكون ذلك عن طريق حفلة الزواج – أنا موافقة سلفاً ، وأنا أتساهل هذا التساهل مهما يكن مضاداً لقناعاتي . لكني أرغبُ في شيء واحد . إن الوسط ، كما قلتُ لك يخنقني ويضغط عليك . فيجب أن نسافر ، ويجب أن نقيم في بطرسبرج ، حيث ستلقى قناعاتنا تعاطفاً أكبر ، وحيث سنبدأ حياةً جديدةً ، على أسسٍ جديدة ، وبمبادىء جديدة . أما مسألة امتلاكي ، فهي محاولةٌ بيننا من قبل .

فينيروفسكي : هذا شريفٌ وواضح . أستطيع على الأقل أن أوضح رأيي بشكل حاسم مثلك ، وسأحاول أن أفعل ذلك .

كاترين مالفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي : لم أقل كلّ شيء . فالحياة التي تنتظرنا سيكون لها أهميتُها لا بالنسبة إلينا فقط ، بل بالنسبة إلى المجتمع كله أيضاً .

فينيروفسكي : اسمحي لي أيضاً أن أقول كلمتين .

كاترين مالفيفنا : فينيروفسكي ، أنا أقدّركَ ، وأنتَ تعرفني . أنا امرأةٌ حرّةٌ مساويةٌ للرجل . وأنا فخورةٌ لأني أول مَنْ قال لكَ : أريد أن اتّحد بكَ ، وأنا أنتظر جواباً شريفاً ومترويّاً . كل هذا بسيطٌ جداً .

(ترد شعرها ، وتمشي منفعلةً) .

فينيروفسكي : هذا هو الدليل على أن النظر إلى الحياة ببساطة وشرف أكثر ملاءمةً وعقلانية . قلت : إذاً ترغبين في الاتّحاد بي ؟ هذا مفهوم جداً : سأعرفَ على الأقلّ بماذا أجيب .

واختيارُكِ وطريقتُكِ في التعبير عنه يدلاّن على درجة التطوّر العالية التي بَلغْتِيها . ولا أعرفُ فتاةً أخرى يمكنها أن تتصرّف بهذه الطريقة الواعية . وأنا أجيبكِ بصراحة أن هذا الاتحاد لا يناسبني ؛ ولذلك لا أستطيع قبوله . أما علاقاتنا القديمة فان نفس الحسّ الأخلاقي بالحقيقة الذي تملكينه إلى حد كبير ينبغي أن يكون ضمانةً لي على كتمانك بهذا الصدد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . . . أنتَ ترفضني ؟

(تقف وتردّ شعرها) .

فينيروفسكي : كاترين ماتفيفنا ، ليس من رجل حديث لا يعتبر عَرْضكِ مكافأةً له على مشقّاته ، لكنني اخترتُ اختياراً آخر ، ولذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : آه ! حسنٌ جداً . اسمحْ لي . أنا أقدّرك . . .

(تمشي ، منفعلة) .

المشهد — ٥ —

« كاترين ماتفيفنا ، فينيروفسكي ، ايفان ميخايلوفتش » .

كاترين ماتفيفنا : آه ! ايفان ميخايلوفتش ! لقد تحدثنا ، واتّضحَ الوضعُ . نعم ، أنا مسرورةٌ بهذا الوضوح . لقد وضّحْنا كلَّ شيء .

ايفان ميخايلوفتش : كان بينكما إذن شيءٌ ملتبسٌ .

فينيروفسكي : كانت مسائل مجرّدة ، على الأصح . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، لم تكنْ مجرّدة تماماً . . . على كل حال أنا مسرورةٌ . . . لنَـعُدْ . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، عفواً . وعدتُ أناتول دميتريفتش أن أحدّثه اليوم في شؤوننا . جئتُ إلى هنا عمداً ، وحماتُ هذه الأوراقَ . . . الآن نستطيع أن نقول لك ذلك ، يا كاتنكا . هَنِّئينا ، أناتول دميترفتش وأنا . لقد كاشف ليوبا مكاشفةً نالت رضانا ، وسيتزوّجها في مطلع آب .

كاترين ماتفيفنا ، **لفينيروفسكي** : هناك ثلاثة أنواع من الحب : حبّ عشتار ، وحب « أفروديت » ، وحبّ المساواة . فينيروفسكي ، أنتَ لم ترتفعْ فوق حب عشتار كنتُ أظنّك أعلى . . . لكنني ما أزال أقدّرك كما كنتُ أقدّرك من قبل . ايفان ميخايلوفتش ، هل ستتحدّثان طويلاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ربع ساعة تقريباً ، انتظرينا .

كاترين ماتفيفنا : فينيروفسكي ، أعطني آخر عدد من « النجمة القطبيّة»(١) ، سأقرؤه .

فينيروفسكي ، **مادّاً المجلة** : ها هو ذا ؛ انصحاك بقراءة هذه المقالة . فهي دراسة حسنة . . . لعلك تقبلين بالانتقال إلى الغرفة المجاورة ، لئلا نحول بينك وبين القراءة ؟

---

(١) النجمة القطبية : مجلة ثورية كان يحررها هرزن واوغاريف في لندن من ١٨٥٥ إلى ١٨٦٢ . وكانت توزع سراً في روسيا .

كاترين ماتفيفنا : لا .

فينيروفسكي : حقاً ، ترتاحين أكثر هنا .

كاترين ماتفيفنا : لا .

فينيروفسكي ، بينه وبين نفسه : أصبح الاستيضاح مستحيلاً مرة أخرى .

(تجلس كاترين ماتفيفنا إلى طاولة على حدة ، تتكىء بمرفقها ، وتشرع في القراءة ، ملقية أحياناً نظرة خاطفة على فينيروفسكي وهازةً رأسها وهي باديةُ الشك . يجلس ايفان ميخايلوفتش إلى الطاولة ويفتح محفظته ويرتّب الأوراق . يجلس فينيروفسكي قبالته) .

ايفان ميخايلوفتش : أيها العزيز وا لمحبوب أناتول دميتّريفتش . . .

فينيروفسكي : ما الموضوع ؟ تكلّمْ .

ايفان ميخايلوفتش : كان من شهامتك أنك رفَضتَ الحديث الذي بدأتُه عن ثروة ابنتي ؛ ثقْ أنني أقدّر تقديراً عالياً هذه البادرة . لكنك توافقني على أنني أشعر بالسرور ، إن جاز لي أن أعبّر هكذا ، بصفتي أباً ، أن أعرض ما يتعلّق بادارة أملاك ابنتي لزوجها المقبل . . .

فينيروفسكي : حسناً ! أنا أصغي إليك . تكلّم .

ايفان ميخايلوفتش : أقول لك بصراحة أن غيرك قد يُرْمَى بالطمع ، لكن يبدو حقاً أنك تستطيع أن تكون مطمئناً بهذا الصدد ، يا أناتول دميتريفتش . فلن يقول أحدٌ بالتأكيد أنك تزوجتَ من أجل المال . . .

فينيروفسكي ، يلقي نظرةً على كاترين ماتفيفنا : لا شك أن هذا صحيح . لكن ذلك كله لا يوصلنا إلى القضيّة .

ايفان ميخايلوفتش ، يرتّب الأوراق ، ويأخذ منها ورقةً : إن ثروتي متواضعة ، وهي ستؤول إلى ابني . أما ثروة ليوبوتشكا فهي تأتيها من أمها . والأمُ ترغب في أن تحتفظ بجزء يسير منها ؛ أما الباقي فقد قررنا أن يكون ملكاً لك ، ملكاً كاملاً لك . . .

كاترين ماتفيفنا ، تنهض وتردّ شعرها : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! أناتول دميتّريفتش ، التقديرُ الذي كنتُ أكنّه لشخصك أخذ يتلاشى في أعماق وجداني . فمنذ خمسة عشر يوماً عبّرتَ عن قناعتك بأنك لا تقدّر ليوبوتشكا . وكان ذلك طبيعياً ، لا مفرّ منه .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، لا تقاطعينا ، بمَ تَهْذرين ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! فينيروفسكي ، لقد عبّرتَ عن قناعتك بأنك لا تقدّرها كامرأة ، وأنت الآن ستتزوّجها ؟ وهذا غير منطقي .

فينيروفسكي : لا أفهم لأية غاية تقولين هذا ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي . قلتُ إنك تصرّفْتَ تصرّفاً غير منطقي. لم أقلْ غير هذا . وأنت الآن تناقش مع ايفان ميخايلوفتش ، شؤون خطيبتكَ المالية — هكذا تُسمّى ، فيما أظنّ ؟ وأنا أرى في هذا الفعل مساومةً حقيرةً موضوعها المخلوق البشري ، ولذلك أرجوكما ألاّ تُهيناني والايُهين كلُّ

منكما الآخر ، وألاّ تُهينا الكرامةَ البشرية بمتابعتكما هذا الحديث . هذا كلُّ ما عندي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغي ، كاتنكا ، أصبح ذلك مضجراً وأحمق ، هذا غريبٌ جداً . هذا كل ما أستطيعُ أن أقوله لك .

فينيروفسكي ، برفقٍ لإيفان ميخايلوفتش : بالفعل ، هذه المحادثة مضجرة ، وإذا شئتَ أن تبلّغني شيئاً فافعلْ ذلك بواسطة بيكليشوف ، ولا سيّما أنْ ليس عندي وقتٌ حقاً . سأُنبئه بذلك .

ايفان ميخايلوفتش : لنذهبْ إذن إلى بيتي ، أناتول دميتّريفتش . نادِهِ ولنذهبْ إلى هناك .

كاترين ماتفيفنا : لن أغتفر مثل هذه الخسّة .

ايفان ميخايلوفتش : في الواقع ، هذا مضجرٌ ، لنذهبْ .

فينيروفسكي : سأتبعك .

(ينصرف ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيفنا) .

المشهد — ٦ —

بيكليشوف ، خارجاً من الغرفة الأخرى : ما هذه البنت ، يا صاحبي ، يمكن القول عنها إنها وَرِشة . لا بد من تنحيتها جانباً . لا بد من ذلك حتما .

فينيروفسكي : لكن كيف ؟

بيكليشوف : أخشى شيئاً واحداً : أن يكون كل هذا المشهد خدعة ، وأن تكون الآنسة المندفعة دودكينا قد دُرّبَتْ على يد المضطهِد « الصفّاع » .

فينيروفسكي : لا ، لقد تصرفّتْ هذه الآنسة ببساطة نفسها الغبيّة .

بيكليشوف : قلتُ لك : إنه ليس من خسة لا يُقدم عليها هؤلاء السادة . لكن الشيء الأساسي هو أن تكلفني الكلام على المهر مع الأب - قلْ له ذلك في الطريق - أما الآنسة فأنا أعلم أن الحاجة إلى الحب تَنْهشها . وينبغي أن نُطاقَ عليها شاباً . حينذاك فقط ستتركك وشأنك . لنذهبْ . سأقمعهما كليهما .

فينيروفسكي : زوجٌ عملي ، نعم . هيه ! هيه !

ستار

اللوحة الثانية

« يُمثّل المسرح الحديقة في أملاك بريبيشيف » .

المشهد — ١ —

« ماري فاسيلييفنا والمربّية » .

المربّية جرَى كل شيء كما قلتُ لكِ ، يا صديقتي ماري فاسيلييفنا ، كما قلتُ لكِ . إنه طالبُ زواج حقاً . عبثاً كرّرت التبصير بالورق ، كان هناك دائماً ملك الديناري وبطاقة الزواج . وكانت كل الأوراق مرتّبة تبعاً لذلك .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، يا نيانا ، ليس من السهل على الأم أن تفترقَ عن ابنتها . عندما قال لي ايفان ميخايلوفتش ذلك هذا اليوم . أحسستُ هنا (تُري قذالَها) . بما يشبه الضربة . رأسي يؤلمني . . . جلتُ جولة ، لكنها لم تخفّف الألم . وأمامنا الجهاز والزواج ، وكم من الهموم مع ذلك .

المربّية : ليس لكِ أن تهتمي بذلك . كل شيء جاهز ، عندك كل شيء .

ماري فاسيلييفنا : هناك شيء واحد : الخطيبُ لا يحبّ أن يرى الناس . كيف العمل ؟ ومع ذلك فمن المستحيل ألا ندعو الأَهلَ . وهكذا فمن أجل عشاء اليوم بعثتُ أدعو سيميون بيتروفتش ، وماري وبيتروفنا ، والجميع .

المربية : لا يمكن غيرُ ذلك ، يا صديقتي . وكأنك تريدين أن تزوّجيها خلسةً . لم تبدأ العاداتُ بنا ولن تنتهي بنا . ليس الزواج مزحةً . وأهلكِ ليسوا أقل خيراً من أهله . ماله يرفع رأسه علينا ؟ أَيَحْسبُ نفسه أميراً ؟ وهو مع ذلك ليس تلك الشخصية العظيمة جداً .

ماري فاسيليفنا : أنتِ تاومينه دائماً ، نيانا ، وليس ذلك حسناً . تذكّري أنه سيُصبحُ زوجَ ليوبوتشكا . ولم يبقَ سوى أسبوع وما أكبر شغفَها به ! حتى إني مندهشة من ذلك . هذه ليوبوتشكا ، هذه ليوبوتشكا ، وهي في ظرف سنة سيكون لها ليوبوتشكا صغيرة . وكيف تمّ ذلك كله ؟ لا ، نيانا ، لا تغتابيه . إنه حقاً رجلٌ عظيم الأهمية — هكذا يراه الجميع — وهو يعرف كل شيء ، وقد سافر إلى كل مكان ، وهو كاتب . على كل حال : مَنْ الذي لم يُغْتَبْ ؟

المربية : أمام ليوبوتشكا — أمام ليوبوف ايفانوفنا — لن أقول ، ذلك ، يا صديقتي . لكن مَنْ الذي سيقول لك ذلك غيري ؟ هذه الكبرياء سيئةٌ ، وهي في غير محلّها . وكأنكم فقراء . ما باله يتصنّع التكبّر على أهلك ؟ ألأنه كان في الخارج ؟ لكنك لن تجدي اليوم ، يا صديقتي ، ملاّكاً فقيراً لم يذهب إلى الخارج . « كنتُ في الخارج ، تأمّلوني ! » لكن كل الناس يذهبون إلى الخارج . ليس الأمرُ كما كان في الزمن القديم . أو : « أنا كاتب ! » يا لها من تُحفة نادرة !

انظري إلى كاترين ماتفيفنا . لقد عرفناها منذ الصغر ، ألم تكن قليلة الفهم ، وبدون أية مهارة وأية مزايا ، ومع ذلك ، فقد نشرت شيئاً ما ، كما قالت لنا مؤخراً . لا تعجبي . الابن الثاني للشماس ، المطرودمن المدرسة الدينية ، قد نشر هو أيضاً . لا يدهش أحدٌ لذلك اليوم . ثم إنه لا يملك ثروةً ولا أهلاً . يُقال إن أباه سكير ، وأن الابن لا يدعُه يدخل عليه .وتصرّفاته . . . ما هذا ؟ نراه يدخل : لا نُبلَ . إنه يريد أن يصطنع دائماً شيئاً على البدعة الجديدة ، شيئاً خاصاً . وليس عنده ، على الإجمال ، شيءٌ ؛ حتى عندما يقع له أن يمزح ، فان المزاح لا يناسبُه .

ماري فاسيلييفنا : آه! نيانا ، لا تخوضي في هذا الموضوع ! ربما كان ذلك قدرنا . هذه هي الحقيقة بعينها . لن يغير الكلام شيئاً . هناك شيء واحد : أقبّل يديك وقدميك ، استمعي فقط إلى المربية ماري الشريرة الخبيثة ، اتبعي نصيحتي .

أطلبُ إليك ذلك ، بجاه الرب ، لا تعطيه شيئاً الآن ، لا مالاً ولا أملاكاً . أليس كل شيء لكِ ؟ لا أحد يمكنه أن يَمْنعك من ذلك . أَعْطي الجهازَ والفساتين والفرش والمجوهرات ، أعطي كلَّ شيء ومن أحسن نوع ، لكنْ انتظري قبل أن تعطي المال . فالرجل ، مع ذلك ، مجهول . انظري أولاً إلى ما سيَطْلعُ منه . سيكون لديك الوقتُ الكافي لتُعطيه . أنا أعلم جيداً ، أنك لن تحتفظي بشيء لنفسكِ .

ماري فاسيلييفنا: ما أحمقَ أحكاملكِ ، نيانا ! كيف يكون ذلك ممكناً ؟

المربية : اسمعي إلى الحمقاء مرةً واحدةً أيضاً . افعلي ذلك . أطلبُ إليك أن تفعلي بجاه الله . لن يكون من ذلك أي ضرر . ستعيشين معه شهرين أو ستة أشهر ، فاذا حافظ على احترامه لحماته ، وإذا كان سليم الطويّة معها ، حينذاك أعطيه

ماري فاسيلييفنا : آه ! ما أغباكِ !

المربية : أتظنّين من الأفضل أن يأخذ المال ، ولا يبدي لك احتراماً ، ويجعل ليوبوشكا بائسة ؟ ماذا أخذ يقول عنكم منذ الآن ؟ هو يراكم وكأنكم أدنى منه.استمعي إلى ماشا الحمقاء ، ولو مرةً واحدة في حياتك ، وإلا ذرفتِ الدموعَ غزاراً ، من الكأس إلى الشفتين(١) . . .

ماري فاسيلييفنا : ما أحمقكِ ، نيانا . سأكلّم ايفان ميخايلوفتش . سأكلّمه في ذلك حتماً ، ها هو ذا قد جاء .

المشهد - ٢ -

« ماري فاسيلييفنا ، المربية ؛ تدخل ليوبوتشكا ومعها الطالب » .

الطالب : قُمْنا لتوّنا بجولةٍ لا تَخْلو من المتعة .

ليوبوتشكا : ماما ، لمَ لمْ يأتوا ؟ ذهبتُ إلى لقائهم . فلم يأتِ أحدٌ . تبعني الكسي بافلوفتش ولم يكفّ عن الثرثرة .

---

(١) من الكأس إلى الشفتين : المثل الروسي المستخدم هنا هو : « الكوع قريب ، لكننا لا نستطيع أن نعضه » .

الطالب : تعاطَيْنا الضحك بمناسبة اللقاءات الريفيّة . واستمرّت أحادثينا بشيءٍ من المتعة .

ليوبوتشكا : مالكَ ولهذا التكلّف في كلامك ، شبعْنا تكلّفاً ، تكلّمْ ببساطة أكبر .

الطالب : اذا بدتْ لك طريقتي في التعبير غير مُستساغة ، فتعالي إلى الأرجوحة ، يا ليوبوف ايفانوفنا . وسوف أَشْرعُ في التأرجح .

ماري فاسيلييفنا : لعلك تريد أن تتناول فطورك ، يا الكسي بافلوفتش ؟

الطالب : يمكننا أن نتغذّى ؛ لا ضَيْرَ من ذلك ، يا ليوبوف ايفانوفنا تعالي حقاً ، فقد ضجرتُ .

ليوبوتشكا : حسناً ! اضجرْ وحدك ، فعندي ما أفعله .

الطالب : عجباً ، عجباً ! تمرينات هامة ؟

ليوبوتشكا : عليّ أن أقرأ مقالةً أعطاني إياها أناتول دميتريفتش .

الطالب : عبثاً . . .

ليوبوتشكا : لماذا تضايقني ؟ أنتَ تُزعجني .

المربية : وما أَغربَ هذا كله .

الطالب : وأنتِ أيضاً تزعجينني ، لكني أَحترمُ جنسكِ .

ليوبوتشكا : يالهذه التصرفات !

ماري فاسيلييفنا : الكسي بافلوفتش ، يجب أن تعامل الآن ليوبا معاملةً مختلفةً .

الطالب : تعلّمتُ هذه التصرّفات من كتابٍ علمي ألّفه بيلوف ونُشر سنة ١٨٦٣ ، في مطبعة سيركين ، بعنوان « التصرفات الواجب إحداثهافي أشخاص الجنس اللطيف أو فن إرضائه » .

ليوبوتشكا : ماما ، اطرديه ، لمَ يُزعجني ؟ حان وقتُ عملك مع أخي . بيتروشا !

بيتروشا يصرخ من النافذة : ماذا ؟

ليوبوتشكا : ادعُ الكسي بافلوفتش العمل . اذهبْ إليه.شيءٌ لا يُطاق حقاً أنني لم أُفلحْ منذ هذا الصباح في التخلّص منكَ .

الطالب متضايقاً : غيّرتِ فجأة طريقتك في معاملتي ، وأنا أجهلُ لأي سبب .

ليوبوتشكا : لا سببَ لذلك . انصرفْ وهذا كل شيء .

الطالب : كنتِ من قبل أكثر ميلاً إلى المخالطة .

المربية : : هيه ! يا سيدي ، لو كنتُ أمّها ،لما سمحتُ لكَ أن تكلّمَ ابنتي أمامي هكذا . كنت سأعلّمك الأدب .

ماري فاسيلييفنا : ماذا تقولين ، نيانا ؟ كفّي ، جُننْتِ . (للطالب). بالفعل ، لماذا تضايقها ، يا الكسي بافلوفتش ؟ اذهب إلى غرفة بيتروشا ، سأرسل لك فطورك . وعلي أن أكلّم ليوبا .

الطالب بينه وبين نفسه : هذا الشخص اللبون مصابٌ بالغضب . (لماري فاسيلييفنا) . حسناً ! الفطور لا يضرّ . أرسليه . (ينصرف) .

صوت بيتروشا : أرسلي لنا ، يا أمي ، شيئاً من الباليك(١) والخمر.

ماري فاسيليفنا : طيّب .

المشهد – ٣ –

« المربية ، ماري فاسيلييفنا ، ليوبوتشكا »

ليوبوتشكا : ماما ، ماذا ينبغي أن أفعل ؟ إنه يلاحقني أينما ذهبت ، ويحاصرُني مثل ذبابة . . . قولي له أن يكفّ . . . أصبحت الآن مختلفة تماماً .

ماري فاسيلييفنا : انتظري ، سيأتي خطيبُك ، وسنعلنُ اليوم الخطبةَ على الجميع .

المربية : يجب أن تبدئي بعدم المزح معه أبداً ، ياآنستي العزيزة . ويكفي أن تُعطي هذا (تُري اصبعَها الصغير) للناس الذين من جنسه حتى يأخذوا في الحال الذراع كلها . يجب ألاّ تتغنّجي معه . لكن لتكن الأمور ، بالنسبة إليك ، فولاً أو حمصاً(٢) . . . اختلفتِ عن ذي قبل .

ليوبوتشكا : نيانا ، لكني لم أتغنّجْ قط . لعبتُ فقط مع بيتروشا ومعه . وهو كريه.ولستُ أبادلُه كلمة. كل ما أفعله الآن هو أن أدرس وأقرأ الكتب التي حملها إليّ أناتول دميتريفتش ، لكنه لا يدعني وشأني .

---

(١) الباليك : ظهر الحفش المدخن . وهو من المقبلات الفاخرة .

(٢) فولا أو حمصاً : يقول المثل الروسي : « كل كاهن بالنسبة إليك ، فهو أب » .

المربية : يجب أن تسلكي سلوكاً أقسى . أنت مُفرطة الطيبة . لو كنت مكانك لما سمحتُ لهذا الوغد بدخول بيتي . لكن انتظري قليلاً ، سأعلّمه الأدب ! فهو لا يخشى أحداً في البيت غيري . يجب . . .

ليوبوتشكا : ماما ، أما زالت كاتنكا تجهل أني مخطوبة ؟

ماري فاسيليفنا : نعم ، يا عزيزتي ، أبوك ونيانا وحدهما يعرفان ذلك . أنتِ نفسكِ أردتِ ذلك ، لكننا سنُعلن ذلك للجميع اليوم .

ليوبوتشكا : لماذا لم يأتوا إذنْ ؟ هذا غريبٌ حقاً . ماما ، أليست شخصيته حسنةَ المنظر ؟ أليس كذلك ، نيانا ؟

ماري فاسيليفنا : نعم ، وجهُه معبّرٌ .

ليوبوتشكا : وما أذكاه ! ليتك تَسْمعينه وهو يحدّثني ! كمْ ستغضب كاتنكا ! على كل حال ، هي تستحقّ ذلك فهي تقول دائماً : إنني غير متطوّرة . الآن سأتطور . وهو يقول : إنني تطورتُ كثيراً في خمسة عشر يوماً . تعلمين ، نيانا ، أنها مُغْرمةٌ به . هي لا تقول ذلك ، لكنني أعرف . ها هم أولاء ، ها هم ! لا تبكي ، ماما ، أليس كذلك ؟ نيانا ، لا تبكي ، أرجوك . هو لا يحب البكاء ، ثم إن ذلك حمقٌ . كل هذا قديم ، كل شيء عندنا سيكون بحسب الأفكار الجديدة . أنتِ لا تفهمين كيف سيكون هذا ، نيانا . أنا مسرورةٌ جداً . هو ذكي . نعم ؟

ماري فاسيلييفنا : حسناً ! لتكن مشيئة الله ! لتكن مشيئة الله !

المربية : الواقع أنه لا بأس به .

ليوبوتشكا : كيف « لابأس » ؟ هو لطيف . نعم ؟

المشهد ــ ٤ ــ

« النساء أنفسهن ، يدخل ايفان ميخايلوفتش ، فينيروفسكي ، بيكليشوف ، كاترين ماتفيفنا ، تفير دينسكوي » .

ايفان ميخايلوفتش ، مقدّماً بيكليشوف : بيير سيرغيفتش بيكليشوف ، صديق آناتول دميتريفتش .

ماري فاسيلييفنا : أنا سعيدة جداً ، أهلاً بك . (لفينيروفسكي) . كيف الحال ، آناتول دميتريفتش ، كيف صحتكَ ؟

(تدخل البيت مع ايفان ميخايلوفتش) .

كاترين ماتفيفنا : أين الكسي بافلوفتش؟عندي شيءٌ أريد أن أقوله له .

الطالب ، خارجاً من البيت : كنّا تتغذّى مع بطرس ايفانوفتش .

بيكليشوف ، لكاترين ماتفيفنا : قدّميني ، من فضلك ، لطالبكم .

كاترين ماتفيفنا : أفهم رغبتك ، إنه الإنسانُ الحيّ الوحيد .

بيكليشوف : أنا سعيد جداً . (يشدّ على يده) ليتنا نتنزّه قليلاً .

(يذهبُ الثلاثة) .

ليوبوتشكا : **لفينيروفسكي** : لماذا تأخرتَ في المجيء ؟ ضجرتُ كثيراً . قرأتُ مقالتيْك وحفظتهما .

فينيروفسكي : جيّد . وأنا فكرّتُ في أشياء تخصّاك .

ليوبوتشكا : فيمَ فكرّتَ ؟ أعرفُ ؟

فينيروفسكي: لا أعتقد ، ليوبوف ايفانوفنا . انظري ، بل إني وضعتُ جزءاً منها على الورق .

(يمدّ إليها مقالته) .

ليوبوتشكا : لا ، أرجوك ، حدّثني . أحبّ كثيراً أن تحدّثني .

فينيروفسكي : حسناً ! فكرّتُ في آخر حديثٍ بيننا . فكرّت في المرأة قائلاً في نفسي : إن إحدى مهمات عصرنا الأساسية تحريرُها من العبودية البربرية التي تجدُ نفسها مضطهدةً فيها .

ليوبوتشكا : نعم ،لماذا لا يجوز لها أن تتزوج مرة ثانية ؟ وأنا فكّرتُ في ذلك . لو أنني مَللْتُ زوجي ، مثلاً ، وأنني لم أعد أحبّه على الإطلاق . . .

فينيروفسكي : مع الأسف ! هكذا تشوّه شفاهُ الجمهور أعظمَ مذهب لتحرير المرأة . ليس هذا هو تحريرُ المرأة ، هو لا يَكْمنُ هنا . تحرير المرأة يقوم على مساواتها بالرجل ، وعلى أنها يجب ألا تظلّ منقادةً إلى الأبد لأبيها ، ثم لزوجها . على المرأة أن تظل ثابتةً على قدميها في المجتمع ، وأن تَقْوى على النظر إلى المجتمع في عينيه مباشرةً .

ليوبوتشكا : لماذا تقول كاتيا دائماً : إنني غير متطوّرة ؟ أنا أفهم جيداً جميع الأفكار الجديدة ، وغيرها !

فينيروفسكي : نعم ، صعبٌ عليك إدراك فكرتي ، لكني سأحاول أن أعبّر لكِ بصورة مشخّصة ؟

ليوبوتشكا : كيف قلتَ ؟ « مشخّصة » ؟ . . . وأنا أعرف أيضاً : الطريقة القياسية . ثم إني أعرف غير ذلك . . . كمّلْ ما كنتَ تنْوي قولَه .

فينيروفسكي أحب أن أبرهن لك بمثلٍ علامَ تقوم حريةُ المرأةِ الحقيقيةُ . لو كنتُ أحد هؤلاء السادة المتخلّفين الذين يسودون مجتَمعك ، أو لو كنتُ تحرّرياً سطحياً لاعتبرتُ أنني سأنال حقوقاً على شخصيتك عند الزواج بكِ ؛ ولخضعتِ لي وخضعتُ لكِ ؛ ولما استطعْنا أن نأتي بحركة دون أن يجرحَ أحدُنا الآخر . لو كنتُ مريضاً مثلا ، وأنت تَنْفرين من رؤية الألم ، فأنت مضطرّة أن تظلّي بقربي ؛ حويصلتُك الصفراوية ، أو حويصلتي لا تصبُّ عصارتها في المعدة ، ومع ذلك يجب أن نظلّ معاً ، نتألمّ ونتخاصم . أو إني أريد أن استخدم مالي في شراء الكتب ، وأنتِ ، لِتنْقلْ ، في شراء . . .

ليوبوتشكا : آلة خياطة مثلاً ، أو أية آلة . هذه هي الأشياء التي ، سأشتريها دائماً ، أما فستان المخمل الأسود فلن أشتريه . كنتُ أشتهيه كثيراً . فالأقمشة الثقيلة تناسبني . ما رأيكَ إذن ؟ أحب الاستماع إليكَ كثيراً .

فينيروفسكي : أنتِ ترين إذن ما الأهمّ في الزواج ، هو حرية الطرفيْن واستقلالهما .

ليوبوتشكا : آه ! فهمتُ هذا . سيكون رهيباً عليّ أن أفكرّ أنك ستأمرني . شبعتُ من المُربّيات . كان عندنا مربّيةٌ ، ساره كارلوفنا(١) ، لم ترَها أنت هنا . آه ! كم كانت مزعجةً . لو كنتُ أعلم أنك ستأمرني لما تزوّجتُ . أحسّ بالبهجة وذلك لأنني أعلم أننا إن لم نكنْ بالتحديد كالغرباء ، فسنكون متساويَيْن . . . آنيت زايتسيفا ، رأيتَها عندنا – صديقتي ، لكنها غير متطوّرة حقاً ، لا همّ لها إلا قراءة الروايات . . . وهي تقول : يجب ان تتزوج فقط عندما نحب . كأننا نستطيع أن نحب متى شئنا ! والتصنّعُ حقيرٌ ، اليس كذلك ؟ بينما لو كنّا متساويَيْن ، فالأمرُ حينئذٍ سهلٌ . هؤلاء الناس لا يَفْتؤون يَحْلمون . . . كيف يمكننا ان نَعْشق بناءً على الطلب ؟

فينيروفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، الحبُ ليس سوى لفظةٍ ، عند فتياتٍ من نوع صديقتك . سننظّم حياتنا بطريقة لا تُعيق حرّية كل منا . بارادتنا نستطيع ان نتّحد ، فاذا مللْنا استطعْنا ان نفترق دون ان يضايق أحدُنا الآخر . ثم إن حياتنا يجب ألا يكدّرها أي رأي من الآراء المسبقة . وإذا رأيتِ فجأةً ، أو إذا رأيتُ أنا ، أن من الشاق العيشَ معاً ، فينبغي أن يكون لنا الحقُّ في أن نَفْترق دون لومٍ ودون جفاء . كل هذا جديدٌ ، لكنه بسيط .

---

(١) ساره كارلوفنا : ألمانية أو انكليزية .

ليوبوتشكا : ممتاز ! رائع ! فهمتُ ذلك كله . لا ، أنتَ تظنني غبيّةً ؟ كاتنكا قالت لي كل شيء . وكنتُ أظنّ ذلك أنا نفسي . لكنني أرى أنني ذكيةٌ ، في الوقت الحاضر . فهمتُ كل شيء بسرعة . فما أن تبدأ الكلام حتى أعرف سلفاً ما الذي ستقولُه . صحيح !

فينيروفسكي : الحقيقةُ بسيطةٌ ، وهي بهذا تتميّز عن الكذب . طبيعتُك خيّرة ، فأنت تتعلّمين بسرعة .

ليوبوتشكا : تبدو لي الآن حياتُنا القديمة جدّ مضحكة . أما عندنا فسيكون كل شيء متميّزاً ، مع الأفكار الجديدة . من أجل ذلك أحبّكَ .

فينيروفسكي : لا شيء يبهجني أكثر من هذا الذي تقولينه ، ليوبوف ايفانوفنا . وسطُك كله يبدو لك مضحكاً ، وعمّا قريب سيبدو لك حقيراً ، وسيكون ذلك حينئذٍ شيئاً ممتازاً . تعلمين أن العقبة الأولى في وجه تطوّر الفرد ، ولا سيما أنتِ ، هي العائلة . كل إمكاناتك حسنة . لكن الذين يحيطون بك هم أدنى من أحطّ مستوى . الشخصيةُ الإنسانية الوحيدة بينكم هي كاترين ماتفيفنا ، لكنها هي أيضاً ، ولأسبابٍ تعرفينها ، تكره الجميع ، أما الآخرون ، فهم الوحل الذي يوسّخك . . .

ليوبوتشكا : ولمَ ذاك ؟ بابا ذكيّ ، وهو يتعاطف مع الأفكار الجديدة ؛ ماما أقلّ . . . لكنها طيبة جداً . وهي تحبني كثيراً . وبابا يحبك كثيراً . . .

فينيروفسكي : عنهما يجب عليك أن تبتعدي . نعم . أنْ يُحبّاكِ ، شيءٌ مفهومٌ . كل رجل سيّء ، مهما يكن سيئاً ، يرغب في أن يتقرّبَ من الإنسان الشريف . لكنْ نحنُ ، لماذا نحبّ ما هو خبيث ، وما يفوحُ عفنُه ؟ يجب أن تبتعدي عنهما ، نعم ، أن تبتعدي عنهما .

ليوبوتشكا ، منقلبةً : لا تتكلّمْ هكذا ! لا أحب ذلك ، لا أحب ، لا أحب !

فينيروفسكي : انظري إليهم فقط كأجانب ، لا يمكنك مع ذلك أن تجديهم جذّابين .

ليوبوتشكا : لا أحب أن تتكلم هكذا ، لا أحبّ ! إن قلتَ لي هذا مرةً أخرى ، فلن أحبّ الأفكار الجديدة ، وإذا ما تزوجتُك ، فسوف أعيشُ على طريقتي ، لا على طريقتك . وستستحقّ أنتَ ذلك !

فينيروفسكي : وكيف ستكون طريقتُكِ ؟

ليوبوتشكا : انظرْ كيفَ : سنذهبُ إلى موسكو ، وسنستأجر بيتاً ، أجملَ بيت . وسأفصّل فستانا من المخمل الأسود وفستاناً من الحرير غير الصقيل . في الصباح نذهب في نزهة ، ثم نتغدّى عند عمتي ، ثم أرتدي فستاني الأسود ونذهب إلى المسرح ، إلى مقصورة فيه . ثم أرتدي فستاني الآخر ونذهب إلى الحفلة الراقصة ، في بيت اشبيني ، ثم نعود إلى البيت وسأروي لك الأشياء ، ولن أقرأ كتاباً . سأحبّكَ ، سأحبك كثيراً ولن أمنحك أيّة حرية . لأنني إن عشقتُك

فسوف أنسى كل شيءٍ ما عداك . ماما كانت هي أيضاً كذلك ، وأنا أُشبهها كثيراً . وسترى كم سيكون هذا ممتعاً . سترى .

فينيروفسكي : لكنك لن تفعلي هذا إلا إذا استمررْتُ في كلامي .

ليوبوتشكا : لا ، سأفعل ذلك بالتأكيد . أنا غاضبة .

فينيروفسكي : وبهذه الطريقة ستُحبّينني ؟

ليوبوتشكا : سأحبّكَ إن كنتَ لطيفاً . إني لم أحب قط ، إلا مرة واحدةً أحببتُ قليلا . لكن تلك المرة لا حسابَ لها .

فينيروفسكي ، يأخذ يدها وهو يبتسم ويتردد في لثمها : نعم ، العيشُ هكذا . . . لكن . . . لا بد لذلك من موارد ، ثم نسيان المبادىء .

ليوبوتشكا : لا تتفوّهْ بحماقات . (تقرّب يدها من شفتيه وتشدّ على وجهه) . هذه تفاهات .

فينيروفسكي : يا حلوتي الصغيرة .

(يريد تقبيلها) .

ليوبوتشكا : لا تقل : يا حلوتي الصغيرة ، هذه كلمة بشعة ، خبيثة ، حمقاء .

فينيروفسكي : لماذا كانت هذه الكلمة كريهةً عليك ؟ يا ساحرتي ، اذن . . .

ليوبوتشكا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . . . ليست حسنة ، وهي مزعجة . حلوتي الصغيرة ! . . . هي مُقْرفةٌ ، ولا أدري

لماذا . أنت لا تُحسن الملاطفة . (تبستم) . لكني سأعلّمك. هي مزعجة ، ولا أدري كيف أعبّر لك . . .

فينيروفسكي : اوه ! كم هي فاتنة ! إنها متعةٌ فنّية ! . . . أنا أهذي ... ما أغباني ... طبعاً.أَعْجبتُكِ إذن، يا ليوبكا ؟

ليوبوتشكا : نعم ، لكن لماذا تمشي وكأن ساقيك مريضتان ؟

فينيروفسكي : ما الحماقات التي قلتُها . (ينهض) لا ، ليوبوف ايفانوفنا ، يجب أن ننظر إلى الحياة بجِد أكبر . لنجلْ جولةً في الحديقة . . .

ليوبوتشكا : هيّا .

(يذهبان فيصادفان بيكليشوف) .

بيكليشوف ، بهدوء لفينيروفسكي : أرأيتَ ، يا صديقي ! تمّ الأمر ! مالت الآنسة إلى الطالب ميلاً شديداً بحيث صار يصعب الفصلُ بينهما .

(تدخل ماري فاسيلييفنا وايفان ميخايلوفتش) .

ايفان ميخايلوفتش ، لبيكليشوف : أنا مسرور لأن أناتول دميتريفتش كلّفك أن تتحدث معي عن الشؤون المالية . سأعْرضها عليك ثم تنقلها إليه . أنا أفهم جيداً آناتول دميتريفتش . فهو نبيل التهذيب ، رقيق الحساسية حتى . . .

بيكليشوف : بلا ريب . وأحب أن أقول لك : إنني رجلٌ عمليّ ، لكني أفهم نفور فينيروفسكي من هذا الحديث . هناك ناس طيّبو القلب يفسّرون كل شيء بالعكس . . .

ايفان ميخايلوفتش : طبعاً ، طبعاً . ونستطيع أن نهتم بذلك الآن ، لأن المدعوّين سيصلون بعد ذلك . . . إن ثروة ليوبا تأتيها من أمها . .

ماري فاسيلييفنا : **آمل ، يا جان ، ألا تقرّر شيئاً بدوني . أنا الأم** والثروةُ ثروتي .

ايفان ميخايلوفتش ، مندهشاً : ماذا تقولين ، ماري فاسيلييفنا ؟

(برفق) . أنتِ مريضة ؟ تحدّثتُ معك سابقاً ، على ما يبدو لي .

ماري فاسيلييفنا ، بغضبٍ مفاجىء : أظنّ أنني أنا الأم ، وقبل أن تقرر كل شيء مع الغرباء ، ينبغي أن يكلّمني هؤلاء . صار يقال : إنني لا يُحْسَبُ لي حسابٌ ولا قيمة لي . الثروةُ ثروتي ولن أترك شيئاً يُعطي دون موافقتي . لن أُعطي إلا متى شئتُ . يبدو لي أنه يجب طلبُ إذني . أصولُ اللياقة أيضاً تتطلّب ذلك . أليس كذلك ، يا سيدي . **أصول اللياقة وحدها على الأقل تتطلّب ذلك ، اسألْ السيد .**

ايفان ميخايلوفتش : هذه مفاجأة ! مالكِ ؟ راجعي نفسك . فكّري فيما تقولينه أمام الغريب !

ماري فاسيلييفنا : أنت الذي لعله لا يَعْرف ما يقول ، أما أنا فأعرفه جيداً . الجميعُ يؤكدون أن الخطيب شخصٌ مجهول .

ايفان ميخايلوفتش : مجهول ! مِن فضلك ، لا تتفوّهي بحماقات .

بيكليشوف : كل هذا غريبٌ جداً ، إذا لم تقلْ أكثر من هذا .

ماري فاسيلييفنا : لا ، كبحتُ نفسي كثيراً . الجميع يقولون : إنني آخر شخصية في البيت . سأعطّل الزواج .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ ما بِكِ ؟ لماذا ؟ ماذا تريدين ؟

ماري فاسيلييفنا : لماذا ؟ لأني لا أعرفُه . ولست آخذُ عليه شيئاً . ولستُ **حاقدةً عليه** . لكني لن أعطيه شيئاً قبل الزواج . فولوكولامسكوي(١) لي . بعد ذلك ، سأرى : إذا أبدى احترامه لي فسوف أعطيه إياها ، وإلا فان أول كاتب عابر سبيل يمكنه . . .

ايفان ميخايلوفتش : يأخذ يدها بقَسْوة : كفى . تعالي . سنتحدّث هناك .

ماري فاسيلييفنا خائفةً : لن أقول شيئاً ، **جان** ، لن أذهب ، **دعني بجاه السماء** . لن أقول شيئاً بعد الآن .

ايفان ميخايلوفتش ، **لبيكليشوف** : أنتَ ترى ، هذه نزوةٌ غريبةٌ ، لكنك تُدرك أنْ لا أهميّةَ لذلك . وأرجوك ألا تقول شيئاً عن ذلك لآناتول دميتريفتش .

بيكليشوف ، بادي التفكّير : أدرك جيداً ، بل لعلي أدرك أكثر مما ينبغي .

---

(١) فولوكولا مسكوي : اسم مكلية ماري فاسيلييفنا .

المشهد — ٦

يدخل المدعوون ، بينهم سيّدة تتبعها ليوبوتشكا وفينيروفسكي » .

المدعو الأول : عرّفْنا للتوّ . يا للمفاجأة ! تهانينا الصادقة .

السيد : ما أعظم فرحاتِ ، ماري فاسيلييفنا .

ايفان ميخايلوفتش : أنا ممتنّ جداً ، جداً .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، مفاجأة . ها هما الخطيبان ، وأنا أقدّمهما لكم .

فينيروفسكي يقف ، وينظر إلى المدعوين وهو بادي التجهّم :
نعم ، ياليوبوف ايفانوفنا لا بد من الحبّ الجمّ حتى أقبل بالمهمة التي أنهض بها ، ولا بدّ من الإحساس بالرغبة الشديدة في انتشالك من هذه الهوّة وفي انقاذك ، لا بد من ذلك حتى أقبل بالخضوع لهذه التفاهة الحقيرة والمُثيرة .
انظري : فمع هؤلاء الناس يُراد مني أن أقيم علاقات !

ليوبوتشكا : وماذا يَضيرُكَ من ذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هو ذا . (لفينيروفسكي) هذا عم زوجتي ، وابن عمي . أقدّماك .

المدعو الأول : اسمح لي أن أقدم نفسي كقريب مقبل ؛ تهانيّ الصادقة .
(يمد إليه يده) .

السيدة : أنا سعيدة جداً ، جداً بالتعرّف إلياك . سمعت الناسَ يتحدّثون عناك كثيراً . ليوبا ، تهانيّ .

(فينيروفسكي يُحيّي ، يضع يديه وراء ظهره . يدير ظهره ويبتعد نحو بيكاليشوف) .

المدعو : تبّاله ، يا له من قليل الأدب !

السيدة : ما هذه التصرّفات الغريبة مع الأهل !

فينروفسكي ، لبيكليشوف : ما أسرع ما يدسّون أيديهم ! يجب أن نُخرسهم . . هذا أحسن ما يلائمهم .

(يتحدثان بصوت خافت)

ايفان ميخايلوفتش : تفضّلْ وادخل الصالون ، على كل حال ، حان وقتُ الجلوس إلى المائدة ، سنبارك الخطيبين . . .

المدعو : إذن ، هل وجدتَ مديراً للأعمال ، ايفان ميخايلوفتش ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا تخض في هذا الموضوع ، فأنا متألم جداً .

(ليوبا ، ماري فاسيلييفنا ، ايفان ميخايلوفتش ، والمدعوون ، يدخلون البيت) .

المشهد — ٧ —

« بيكاليشوف وفينيروفسكي » .

بيكليشوف : القضيّة سُوّيتْ على أحسن وجه مع الآنسة دودكينا . أثنيتُ عليها وعلى الطالب ، نقلت إليها بوحَه بالحب وربطتُهما أحدهما بالآخر حتى ليتعذّر الفصلُ بينهما . هذه إذن قد قمعتها . أما فيما يتعلّق بالعلاقات المالية فالأمور سيئة جداً . الأمُ تريد أن تمسك بزمامك وأن

تنتظر دليل احترام زوج إبنتها . . . الطريقة معروفة .
ثم إن الأب سيّء ، في رأيي . . .

فينيروفسكي : الأب يتذلّل . من أجل هذا فقط يمكن أن نغفر له كثيراً من الأشياء .

بيكليشوف : لو كان يتذلّل تذللاً كاملاً لكان ذلك حسناً ، لكن هذا المشهد ، برأيي العملي ، مُثّل تمثيلاً ، وقامت الأمُ بدور الغبّية عن قصد . إنها ذلك الشريك الوحشي الذي لا يراه أحدٌ والذي يضايقُ الآخر في كل شيء . على كل حال ، لقد قمعت من هم أدهى منها . .

فينيروفسكي : مزعجة هذه الحفلات الحمقاء التي علي أن أتحمّلها ، في حين أن القضية ملتبسة جداً .

بيكليشوف : ديه ! وكأن هذه الحفلات تفرض عليك التزامات ! قلتُ لك : أنتَ مثاليٌّ ، تخشي دائماً أن تسيء التصرف . دَعْ هذا الهمّ . لا الشريفُ ولا اللئيم موجودان عند هؤلاء الناس . وإلاّ كنتَ المخدوعَ دائماً . انظرْ إلى الأشياء ببساطة . إذا كان عليك أن تُنْقذ صديقاً من مغارة لصوص ، فهل تَخْشى أن تَخْدع هؤلاء اللصوص . والأمرُ كذلك معهم . كل شيء متوقّف على واقعة الزواج وإلا فسوف يُقْمع الشيخ ، قبل هذا اليوم المشهود على الأقل ، على يد خادمك المتواضع . لا تهتمّ بذلك . كل شيء سيتّم على أحسن وجه . أقسم لك . هيّا إذن .

(يدخلان البيت . يسارع الخدمُ إلى النوافذ) .

المشهد — ٨ —

« يدخل الطالب وكاترين ماتفيفنا » .

الطالب : ما هذه الحركة ؟ أهي فضيحةٌ صغيرة تحدث ؟

كاترين ماتفيفنا : رسولُ حرية المرأة يتزوج صبيّةً ، نعم صبيّةً تافهة ، وغير متطوّرة . انظرْ أين يظهرُ ضعفُ المبادئ .

الطالب : هذه مفاجأةٌ حقاً .

كاترين ماتفيفنا ، تنظر من النافذة : انظرْ ، انظرْ ، الناسُ يباركونهما ، وهما يركعان . أَجدُ هذا مفرط الخسّة ، مُفرط التحقير للكرامة الإنسانية .

الطالب ، ينظر هو أيضاً : سنيورٌ حقير ، لقد عبّرتُ لكِ عن رأيي ، لكنك لم تكوني تشاطرينني إياه .

كاترين ماتفيفنا : لا ، اسمعْ ، هذا مُقْرِفٌ ، أليس كذلك ؟

الطالب : نعم ، هذا هو التطور الناقص . يا له من متحرّر صغير في دائرة الرسوم .

كاترين ماتفيفنا ، ناظرةً دائماً : وهما يتعانقان : أية علاقات حيوانية ! نعم ، عندما نرى هذا الذلّ ، فمن السهل أن نفقد إيماننا بالتقدّم . هذا درسٌ لكَ ، يا الكسي ، بافلوفتش . لكنني فوق ذلك.نعم،الكسي بافلوفتش ،أنتَ الطبيعةُ الشريفة الوحيدة بين هؤلاء الأوغاد.أنا أقدّركَ .

الطالب : نعم ، لكن ، لو كان عندنا المزيد من النساء مثلكِ ! ومع ذلك فقد أقاموا هنا احتفالاً رائعاً .

ستار .

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

« شقة بريبيشيف في مركز المقاطعة . الخدم يرتّبون مائدة الاحتفال ».

المشهد — ١ —

« ايفان ميخايلوفتش ، ماري فاسيلييفنا ، المربّية ، نيكولاييف وهو ملاك ريفي ورجلٌ ضخمٌ له شارب » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل لبستْ الخطيبة ؟ لقد آن الأوانُ ، وتجاوزت الساعةُ السادسةَ .

نيكولاييف : نعم ، يا ايفان ، لولا حبّي لك لما رضيتُ بأن أحضر هذا الزواج . وأنا أحضر من أجلكَ فقط . لا أُحبّ هذا السيد . وما هذه الطريقةُ في التصرّف ؟ انتظرْنا مرّتين دون أن يُطلّ علينا . ما هذا ؟ لا يأتي ليتعرّف إلى أقارب خطيبته ؟ وهل يحتقرُنا إذن ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ما هذا الكلام ؟ ماذا تريد منه ؟ ليس له أهل يعلّمونه العادات ، ثم هناك همومُ الزواج . . . فالزواج ليس مزحةً ، ولا بدّ من شراء كل شيء ،

وترتيب كل شيء . ولعل الوقتَ لم يُسْعفه. أنت . منزعج جداً . أنتَ رجل طيب ، لكنك سريع التأثر .

نيكولاييف : لا ، يا صديقي ، لا تَعْذِرْهُ . . . لو كان ذلك مرةً واحدةً لقبلنا ، لكننا انتظرناه أمس حتى السادسة . كان يجب أن يُعْلمنا بأنه لا يريد أن يتعرّف إلينا باعتباره سيداً عظيماً — كنا عامنا بذلك وكنا جلسنا إلى المائدة منذ الرابعة ؛ على الأقل ، ما كان الطعام ليُسخّن من جديد . لا ، يا عزيزي ، لا أُحبّ الانتظار .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! تفسيرك ظالم . لم يكن قصدهُ سيئاً . . . فهو رجلٌ مرموقٌ ، ذكي ، متعلم . . . وعندما تعرفه معرفةً أفضل فستُغيّر كلامك . كنت أقول الشيءَ نفسه قبل معرفتي به . كلُّ ما في الأمر أن عائقاً عاقَ ... ثم يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ، يا صديقي ، أن الزمن تغير ، فلم تعد الأمور كما كانت في أيامنا ، تغيّرتْ شروطُ الحياة ، وبليتْ كثيرٌ من العادات .

نيكولاييف : تذكّرْ كلماتي. ستُلاقي متاعبَ في هذا اليوم بالذات ... ماذا تقول ؟ منذ هنيهة فعلَ الشيءَ نفسه : كان عليه أن يأتي ليأكل الفطائر ، وانتظرناه حتى الساعة الثالثة . ومع ذلك فلم يأتِ ، وأكلنا فطائر حامضة . تذكّرْ كلماتي . بل إني أتساءل ، يا صديقي ، (يأخذه على حدة) . إن كنتَ لم تلحقْ به غُبْناً فيما يتّصل بالمهر . قلْ لي الحقيقة كاملةً . هل أعطيتَه شيئاً ؟ أو أنك لم تُعْطه بعد ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعترفُ لك ، يا صديقي ، أنه لم يطلبْ مني شيئاً . في البداية ، حدّثْتُه عن ذلك ، لكنه أبى الحديث . وحدّثتُه مرةً ثانية فكانت النتيجة نفسها ، وأجابني : لا حاجة بي إلى المال . . . وبعد ذلك ركبتْ زوجتي رأسَها . . . حينئذ صمّمتُ أن أؤَجل . قلتُ في نفسي : هو يعلم أنْ ليس عندي سوى بنت وأنني سأخصّص لها أملاك فولوكولامسكوي ؛ سأرىَ كيف سيعاملها ، ويمكنني أن أعطيه هذه الأملاك . أما الجهاز فأستطيع أن أقول : إنه تام .

نيكولاييف : الجهاز ليس شيئاً ، يا صديقي ، ليس سوى خرقٍ . هؤلاء الشباب الأشدّاء اليوم يحبّون المال أكثر ممّا نحبّه ، ولا سيمال المالَ نقداً . ليس هذا حسناً ، فقد يخدعاك خدعةً خبيثة ؛ سترى .

ايفان ميخايلوفتش : يا للغباء ! لكن انتظرْ ، أي « مادير » سأذيقُك إياه ، خمر معتّقة منذ عشرين سنة — مُتعة !

نيكولاييف : دقيقة ، اشرحْ لي كيف سيتم الاحتفال . هل سيكون حسب التقاليد ؟ نقودُ العروس إلى الكنيسة — وبعد ذلك؟

ايفان ميخايلوفتش : بعد ذلك ، ستذهبون إلى بيته ، بدون والديْ العروس طبعاً ، حسب العادة . ومن المحتمل أن يقدّم لكم الشاي . . . كما تعلمُ ، والسكاكر ، والفواكه للفتيات ، ثم الحساء في أقداح ، والسمك . . . وليمةُ عزب . . .

وتحضرون سفَرَ العروسين . وسنأكل ونشرب على صحتهما . . . وأيّ « مادير » ، أيّ خمر هنغاري ! ليتاك تعلم . أبي جاء به من إحدى حملاته منذ خمسة وأربعين عاماً . . . وأخيراً نقدّم العربة . . . ونضع فيها الجهاز ، ونبارك العروسين ، وسيسافران إلى الخارج ، إن شا الله .

نيكولاييف : يا لهذا الابتكار الأحمق ، وإن يكن انكليزياً ! الإنكليز ، على العموم ، يبتكرون بعقل ، أمّا ما تفعله هنا فهو غباء ! كيف يجوز السفرُ بعد الزواج ؟ هذا جائز لك لأنك تملك عربةً فخمةً ووصيفةً وغير ذلك ، لكن كيف تكون الحال عندما يكون الناس فقراء ؟ هل يسافرون في عجّالة وبدون خدم ؟ . . . ثم ، بدلاً من أن نترك للعروس الوقتَ كي يذهب عنها روعُها ، تصرخ بها : حا ! دي ! تَقَلْقَلي ! . . . هذا حُمْقٌ !

ايفان ميخايلوفتش : ما الحيلةُ ، يا صديقي ؟ هذه هي البدعة الجديدة . لكنّ في هذه البدعة شيئاً حسناً . (يدخل الخادم حاملاً أواني فضيّة وصحوناً) . ما الأمر ؟ أرسلتُه إلى بيت العريس ليحمل هذا كله . . . فالعزبُ ، كما تعلم ، قد يحتاج إلى شيء من ذلك . . . (للخادم) . ما الأمر ؟

الخادم : **قال** : « لا حاجة بي إلى هذا » .

ايفان ميخايلوفتش : مَنْ الذي قال هذا ؟

الخادم : السيد نفسه خرج وقال لي : لا حاجة بي إلى هذا ، أَرْجعْ بها سالماً .

ايفان ميخايلوفتش : أرأيتَ ، عنده كل ما يلزم . لا بد أنه حصل على ما يكفيه . وكيف لا يُرهَقُ شابٌ بالعمل ؟ (تمرّ خادمة) . ماذا ، ألم تنته العروس بعد ؟

الخادمة : ما زالت ترتّب شعرها .

(تنصرف) .

نيكولاييف : وهل أهداها هديّةً ؟ مجوهرات ، أو شالاً ، جرياً على العادات ، كما تعلم .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! مَنْ الذي يهدي هدايا اليوم ؟ ثم ماذا يعطي ؟ الحبّ هو الثمين لا الهدية . أعطاها مقصّاً ، أعتقد...

نيكولاييف : تستطيع أن تبصق في وجهي إن لم تحدث اليوم فضيحةٌ مُخْزية ! ما هذه البدعة التي تتحدّث عنها . لا يتزوج المرءُ كلَّ يومٍ مرةً ، أليس كذلك ؟ إن كان هذا لا يرضيه ، فليُرْضِ الفتاةَ على الأقل . . . هذا مُفْرِحٌ لها . ما هذا المقص بأربعة فلوسَ ؟ . . . لا معنى له . . . لو ذهبتُ إلى النساء . . . آهِ ! هذا هو الوصيف .

المشهد — ٢ —

« يدخلُ الوصيف » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل جاء العريس ؟ نحن جاهزون . ليوبوتشكا ، انتهيتِ .

صوت ليوبوتشكا: أنا آتية .

الوصيف : هو بالسترة الرسمية .

ايفان ميخايلوفتش : كيف ؟ ما هذا ؟ يجب أن تقول له أن ليوبوتشكا سترتدي ثوب الزفاف الأبيض ، اذهبْ وأخطرْهُ بسرعة .

نيكولاييف : قلتُ لكَ : ستحدثُ فضيحةٌ .

(يخرج الوصيف) .

المشهد — ٣ —

« تدخل ماري فاسيلييفنا ، المربّية ، ليوبوتشكا ، بطرس ، الآنسات والخادمة » .

ليوبوتشكا : أأنا جميلة ، بابا ؟

الآنسة الأولى : كم تناسبُكِ أزهار البرتقال . ستُعطينني واحدةً من إكليلكِ ، إذا شئتِ .

الآنسة الثانية : ماذا ، هل ستضعين شالَ العروس ؟

الآنسة الثالثة : كيف يجوز هذا ؟ شيء ملوّن مع ثوب العروس ؟

الآنسة الأولى : لكنْ بما أنه بالسترة الرسمية .

الآنسة الثانية : شيءٌ لا يُصدّق !

ليوبوتشكا : سأحاول ، لأنه طلبَ ذلك مني . يجب أن أضعه . (تدور أمام المرآة) . لا . مستحيل . وسأضعه في جيبي .

الوصيف : انتظروا . . . باركوها . . .

نيكولاييف ، يباركها ويقبّلها في جبينها : ليمنحك الله السعادة .
ما أجملها !

(ليوبوتشكا تقبّل الجميع . النساء يبكين) .

المشهد — ٤ —

« يدخل الطالب وكاترين ماتفيفنا ويقفان بصمت » .

ايفان ميخايلوفتش : ليُسعدكِ الله ! . . . كفّي عن البكاء ، نيانا ، هذا غباء . . .

المربّية ، باكية : لن أراكِ ، يا شعبي ، بعد الآن أبداً .

ليوبوتشكا ، للوصيف : انتبهْ ، لا تضعْ الإكليل(١) على رأسي . بيتروشا ، ضَعْهُ أنتَ على رأسه .

ماري فاسيليفنا : لا تَنْسَيْ أن تضعي قدمَكِ قبله على السجادة . هل أخذتم الشموع ؟ نيانا ، خذي هذه النقود . . . ارميها عند أقدامهما . . .

المربية : سنفعل كلّ شيء . . .

نيكولاييف : أنا واثق من أن الفضيحةَ ستقع .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! لنقدّم الشكرَ لله . . . والآن ، يجب أن نُعدّ كل شيء...لم يحن أوانُ الوداع بعد ،أليس كذلك ؟

(يخرج الجميع واحداً واحداً ، ما عدا الطالب وكاترين ماتفيفنا)

---

(١) لا تضع الاكليل : أثناء مراسم الزواج .

« كاترين ماتفيفنا والطالب » .

كاترين ماتفيفنا : نعم . ما يزال يوجدُ أفرادٌ لم يتأثرْ وجدانهم إن صح القولُ ، إلا بأطراف المفاهيم الجديدة ، دون أن تنفذ هذه المفاهيم إلى دمهم ولحمهم . لقد أخطأتُ خطأً شديداً في فهم هذا السيّد .

الطالب : ذلك لأننا لا ينبغي أن نصدّق الكذب إذا شئنا ألا نقع في الخطأ ، كما كان يقول أستاذُنا في علم النفس . إن هذا لذو طبيعة تافهة . هذه هي النقطة الأساسية .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ ليَ ، اسمحْ لي ! كيف تُفسّر هذا الحدثَ ؟ كل إنسان مُفكّر لا بد أن يعلم ان الانجذاب الذي تشعر به نحو الجمال ليس سوى مظهر منحطّ للطبيعة البشرية . فكيف يمكن لشخصية مثل شخصية هذا السيّد ألاّ ترى بشاعة هذا الهوى كلها ، وعمق هذا التردّي كله ؟ كيف لم يدرك أنه لا مجال لنهوض مَنْ وَضَعَ قدميه في هذا الوسط ، وخضَعَ لأحكامه المسبقة ، وتنفّس هواءه القاتل؟ ومع ذلك فهو يفهم حريةَ المرأة . وأنا أملكُ أدلّةً ...

الطالب : هو ، بأعماق طبيعته ، سنيورٌ تافه . هذا كل شيء . كفَتْني نظرةٌ خاطفةٌ ألقيْتُها على هذا الرجل لأتأكّد من أن كل شيء فيه زائفٌ . مهما قلتِ فان رجلاً يعمل في دائرة الرسوم ، ويملك شقةً وعربةً ، ويحصل على

مرتّب يبلغ ألفي روبل ، لا يمكن أن يكون رجلاً حديثاً ؛ إنه « سنيور » جديد ، هذا كل شيء . وكيف لا ! وقد قال أمامي ذات يوم : إن الطلاب صبيّة ! . . . هذه هي فكرة هؤلاء السادة ! كل هذه الجماعة الكريمة تافهة لا قيمة لها ، يا صديقتي المحترمة ! شبعتُ من ذلك كله ! يجب أن أذهب إلى موسكو .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، لقد نَفَذْتَ إلى طبيعته بحدْسٍ سلك الغضّ خيراً مني . تذكّرتُ الآن أنه قال لي : إن المنعكسات ضارّةٌ ! سيّدٌ تافه . . . وينحطّ هكذا بزواج مسرف في تفاهته ، تحيطُ به رموز التفاهة ! والزواج بمَنْ ؟ بشخصية تافهة . .

الطالب : هيه ! لا ، البنتُ ليست سيئة . . . كان بوسعها أن تتطوّر أكثر . ففيها إمكاناتٌ . . . لكن الوسطَ حطّمَها . إني أضجرُ ، وسأسافر إلى موسكو . . . سأحضر المحاضرات هناك وسأشتغل .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي . ليس في موسكو محاضرات تحضْرها . والأساتذة لم يتطوّروا فيها كثيراً . أنا نفسي أحبّ أن أذهب إلى بطرسبرج أو إلى موسكو لأتعلّم شيئاً من الفيزيولوجيا . . . نعم ، هذه قناعتي . لكن دروس أيّ أستاذ أحضر ؟ ليس في بطرسبرج أحد .

الطالب : اوه ! ومع ذلك فهناك رفاقٌ أحياء لا يفوحُ العفنُ منهم كهؤلاء الذين هم هنا .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، أنتم أحسن حظاً منّا . بينما نحن ، النساء ، كيف نستطيع أن نرتّب حياتنا ؟ أنا أيضاً كنتُ أنوي السفر لأدخل الجامعة ، لكن يجب أن أعرف موضوعياً الشروطَ التي سأعيش فيها هناك ؛ لأن من الصعب علينا ، نحن أصحابَ التقدّم ، أن نكتشف الطريق التي لا نكون مضطهدين فيها على أيدي الرجعيين والمحافظين . لم أعد أطيقُ البقاءَ هنا . أحسّ بذبول جميع الأسس الشريفة والمتحرّرة في طبيعتي والتي تشكّل قوتي . وعما قريب – شيءٌ رهيب – بدلاً من أشبهُ مثَلي الأعلى ، أصبح أقربَ إليه فقط . . . ما العمل ، الكسي بافلوفيتش ؟ إن لك طبيعة غضّةً ، كريمةً ، لم تفسدْ ، وأنت ترى بوضوح أكبر مما أرى . أنقذْني ! أنقذ المرأة التي تضيعُ ، المرأة الحرة ، ولعلها المرأة الوحيدة الحرة كلّياً . نعم ، أحسّ أنني أضيع ؛ وأن الفرح بالتحرّر من الأحكام المسبقة ينطفىء ، هذا النور الذي كنتُ أحيابه . لقد صدمني هذا الرجلُ صدمةً رهيبةً ، وزعزع إيماني بالتقدّم . أنقذْني ، الكسي بافلوفتش ، فأنت رجلٌ نقي ، رجلٌ حقيقي ! . . .

الطالب ، متأثراً : ما أشرف شخصيتك ! . . .

كاترين ماتفيفنا : لا ، اسمحْ لي ! أنا أذبل ، وهم جميعاً سينتصرون ، سيقولون : انظروا ، لقد كانت تريد أن تكون حرّةً ، لكنها مثلنا . وسيشمتون . . . علّمني ما يجب أن أفعله . . .

أنا أقدّركَ تقديراً عميقا ، أنتَ وحدكَ بين هذه الجماعة التي تُحيط بي ! . . .

الطالب ، يشدّ على يدها: أستطيع أن أقول : إني لم أعرفْكِ قبل هذه اللحظة . كان يبدو لي — سأكون صريحاً تماماً — أنكِ لم تكوني متشبّعة كلياً بقناعاتنا . أما الآن فأنا أرى بوضوح علوّ مفاهيمك وصدقَها .

كاترين ماتفيفنا ، تشدّ على يده شدّاً موجعاً : نعم تألمتُ كثيراً وفكّرت كثيراً . بالنسبة إليّ لا رجعةَ إلى الوراء . إني أكره التخلّف عن العصر ، وأنا أنتمي كليّاً إلى الأفكار الجديدة . لاشيء يمكن أن يوقفني ، وأنا أقدّرك ، أقدّرك تقديراً عميقاً . قلْ لي : إلى أين أهرب حتى أتمكّن من التنفّس بصورة أسهل . كل ما يحيط بي هنا يَضغَط عليّ . نصيحتُك وحدها هي التي سأتّبعها . أنا أنتظر .

الطالب ، **يفكّر** : نعم ، أنا أعرف حلقةً تستطيعين أن تشغلي فيها المكان الذي أنت مؤهلّةٌ له . نعم . لكنني أخشى مع ذلك أن تكون هذه اندفاعةً ، وأن تخافي بعد ذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، كيف تستطيع أن تُثْبتَ ذلك ؟

الطالب : انظري ، أنا نفسي شبعتُ من الحياةَ في موسكو ، من الفقر ، ومن فقدان العمل المأجور بانتظام . أما التسكع في قاعات المحاضرات والاستماع إلى ثرثرات الأساتذة الفارغي الرؤوس . . . وأما تعليم الأولاد ذوي الآباء الممتلئي الجسوم ، فقد كان أيضاً أشدّ غباءً . كنتُ أطمحُ إلى

حياة مختلفة . وفي بطرسبرج حلقةٌ من الناس شرعوا بعمل حسن . لقد أسسوا مشاعيّةً ، وإلى هؤلاء الناس أريد أن أنضمّ . . . .

كاترين ماتفيفنا ، ممسكةً بيده : الكسي بافلوفيتش ، أوضحْ لي الأمر ! أحسّ أن هذه المشاعية مكونةٌ ، على وجه التحديد ، من هؤلاء الشخصيات الذين أبحث عنهم . . . الكسي بافلوفتش ، إني أرتجف من الانفعال . . . أنْقذني !

الطالب : وهؤلاء الناس يعيشون في بطرسبرج . أحدهم صديقي . تخرّج من المدرسة الدينية . وهو معروفٌ في العالم الأدبي بفضل نقده لقصة : « طيور الترنجي » ، ولعلك قرأتِها ؟ ومقالته هذه لافتة للنظر ، لأنه يَعْرِض فيها آراءَهَ عن تقدم الأفكار في مدارسنا الدينية .

كاترين ماتفيفنا : مقالة لافتة للنظر ، قرأتُها . مقالة بديعة ، بديعة .

المشهد –٦–

« يدْخل بيتروشا ويقف من غير أن يُلاحَظَ ، ويستمع » .

الطالب : فهذا السيد كتبَ إليّ يقول : إنهم نظّموا في بطرسبرج مشاعيةً . كانوا في البداية ثلاثةً : طبيباً ، وشاباً لا صنعة له ، وطالباً . مشروعٌ عظيم الأهمية . يجب أن أقول لكِ : إنهم اجتمعوا من أجل الحياة المشتركة . فالسكن والغذاء والدَّخْلُ والنفقات ، كل ذلك مشتركٌ عندهم . وهم يسكنون شقةً جميلة ، وتعيش معهم امرأتان . كلٌّ منهم

ينهمك فيما يحلوله ، والكل غرفته ، وهناك فوق ذلك غرفةٌ مشتركة . والنساء يعشْنَ معهم دون أن يَرْتبطن بأيّ التزام . هنّ حرات ، يشتغلن . . . بشغل المنزل . . . وبالأدب... الزواج غيرُ موجود، والعلاقات حرة تماماً. بدؤوا بعدد صغير ، وهم الآن ثمانية عشر ، على ما قيل لي ، وعددهم آخذٌ في الأزدياد . أنتِ تدركين الأهمية العظيمة التي يمكن أن تكون لهذا المشروع . وفضلاً عن ذلك ، كتبَ إليّ رفيقي : إنهم قد لاقوا بعض المزُعجات التي مالبثتْ أن أُزيلتْ ، وأن الحالة النفسية لهذه المشاعية لا يمكن تصوّرها . والناسُ يتغيرون تغيّراً تاماً منذ أن يصبحوا أعضاء فيها .

كاترين ماتفيفنا : والمرأةُ حرّةٌ فيها ؟

الطالب : كليّاً . الخطرُ الوحيدُ الذي يتهدّدهم يأتي من الحكومة ، إذ من المفهوم أنّ مثل هذه المؤسسة لا بدّ أن تكون لها أهمية عظيمةٌ . هذا هو المشروع الذي تحقّق ، وهكذا أستطيع أن أعيش بدلاً من أن أعلّم ولداً ضخماً لأب ضخم . لو كان عندي فقط بعض الموارد الصغيرة . نعم لم أكلّمْ أحداً عن هذا ، لأن هذا الشيء يهمني جداً . لكنني أقوله لك الآن ، لأنني أرى أن المسألة ليست تولّعاً عابراً وإنما هي قناعةٌ قوية . . .

كاترين ماتفيفنا تضرب رأسها ، بشدة : بديعة ! تلك المشاعية ! إنها فكرة عظيمة ! هذا مدهش ! نعم ! إني أرى في

روسيا فجرُ التقدم الحقيقي يبزغ ! نعم ، تفير دنيسكوي ، أنا واحدٌ منكم !

الطالب : آه ! كيف تنكشف الطبيعةُ الشريفة ! ومع ذلك ، فكرّي . القضية جميلة جداً ، لا جدال في ذلك ، لكن . . .

كاترين ماتفيفنا : أنا عضوةٌ في المشاعية . . اكتبْ إلى صديقك ، أنّ للمشاعية منتسبيْن جديدين منذ الآن :

أنتَ وأنا . ومن جهتي ، سآخذ المال الذي بحوزتي ، وسأكتب إلى إيفان ميخايلوفتش لكي يبيع أرضي ويرسل المال إلى المشاعيّة ، وسوف أذهب معك إلى بطرسبرج . وسأشرع بكتابي عن أهمية العمل الفكري النسائي . تفير دنيسكوي ، لقد أخطأتُ مرةً خطأً شديداً ! أنتَ لن تخون مبادئنا ؟

الطالب : لن أحترم نفسي إذا أمكنني أن أخونها ؛ سنسافر ، وكلما كان ذلك أسرع ، كان ذلك أفضل .

كاترين ماتفيفنا : إلى اللقاء ، سأكتب إلى ايفان ميخايلوفتش ، وسأشرح له كل شيء في الرسالة ، لأني لا أريد أن أراه بعد الآن .

الطالب : هناك أيضاً ظرفٌ سيّء ؛ لقد طلبتُ إليه سلفةً بثلاثين روبلاً .

كاترين ماتفيفنا : ليس معي ثلاثون روبلاً ، لكني سأكتب إليه ليخصمها من ثمن أراضيّ .

الطالب : لا شك أن المشروع الذي نشرع به من الأهمية بحيث يمكن أن تُنحّى جانباً الاعتباراتُ المالية . غايتُنا تبرّر الوسائل .

بيتروشا ، يظهر : اسمحْ لي أن أقول لك : إنني لست ابناً ضخماً لأبٍ ضخم ، لكنني إنسانٌ يدرُك غاياته مثلك . من الخطأ التفكير هكذا .

الطالب : كنتُ أتكلّم على العموم ، دون تطبيق شيء عليك .

بيتروشا : ليس ذلك نبيلاً ، بل إنه حقير . جئت لأقول لك : إنني ، أنا أيضاً ، لا أريد أن أبقى في هذا البيت . فحصتُ وضعي واقتنعت أن الأسرة هي العقبة الأساسية أمام تطوّر الفردية . يريد أبي أن يبعث بي إلى المدرسة الثانوية ، على أنني متأكدٌ أنني تخطّيتُ بالتطورّ جميع أساتذتي . قرأت منذ فترة وجيزة « بوكل»(١) . إنه يقول الشيءَ نفسه . سأذهب إلى موسكو .

الطالب : ستثيرُ فضيحةً ، هذا كل شيء . لن يُسْمَح لك بالذهاب .

بيتروشا : لستُ طفلاً الآن . حدّثتُ أبي . هو يطلب أن أبقى في الثانوية ، لكني سأذهب وحدي إلى موسكو ، وسوف أذهب .

الطالب : بطرس ايفانوفتش ، ستُحدث فوضى عظيمةً لا أكثر . . . لا نستطيع أن نأخذك معنا .

بيتروشا : سمعتُ حديثكما . سأدخل المشاعية معكما وسأدرسُ العلومَ الطبيعية . لم أعد أطيق نيرَ السلطة الأبوية .

---

(١) بوكل (١٨٢١ ــ ١٨٦٢) مؤلف تاريخ مشهور هو : تاريخ الحضارة في انكلترا ، وكان يقرأ كثيرا في روسيا ، في هذه الفترة .

الطالب : أنت تتكلم دون تفكير . ما تزال صغيراً .

كاترين ماتفيفنا : تفيردنيسكوي ، أنتَ تنسى واجبك . ليس لنا الحق في قمع حرية هذه العاطفة الشابة واندفاعتها . يا بطرس بريبيشيف ، سأرشّحكَ لعضوية المشاعيّة .

بيتروشا : كاترين ، أنا أقدّرك . متى تسافرين ؟ اليوم ؟ إذن ، سأَحزم متاعي . سأمرّ فقط على فينيروفسكي ، لأنني أرغب في أن أرى هذا الاحتفال الحقير لكي أزداد سخطاً .

الطالب ، برفق لكاترين ماتفيفنا : أخطأتِ حين ضَمَمْتِهِ إلينا . هذا صبيّ .

كاترين ماتفيفنا : تفيردنيسكوي ، الناسُ جميعاً متساوون ، الناس جميعاً أحرار . هيا ، يجب أن نستعدّ ونكتب رسائلنا . بطرس ايفانوفتش ، اعرضْ مفاهيمَك لوالدك .

بيتروشا : إني أفكرّ في ذلك . . . الأسرةُ عقبة . . .

(ينصرفون)

ستار

اللوحة الثانية

« بيت العريس . شقة عزب بالية ، بدون أية استعدادات . أوراق وحقائب مبعثرة » .

المشهد – ١ –

بيكليشوف ، موظف ، شيخٌ قصير ، قريب العريس ، بعقدة فراشة ؛ الحارس الذي يحزم المتاع » .

القريب : كيف ذلك ، سيرج بيتروفتش ؟ أهكذا سيُسافر ؟ أعتقد أن هذا لا يجوز .

بيكليشوف: هكذا سيُسافر ، يا سيدي . هذا ما يلزم . سيعود من الكنيسة ، ويرتدي معطفه ويسافر . وقد قلتُ لك : إن أناتول دميتريفتش لن يكون مسروراً برؤيتك ، سوف تتأكّد من ذلك . لو كان الزواج احتفالياً ، لكان ذلك مقبولاً ، لكنهم يريدون أن يُتمّوا ذلك بأكبر قدر من التكتّم .

القريب : حسناً ! سأنصرف إذا أردْتُم ، لكني أقول في نفسي : إن ابن أخي لن يجد فيَّ ما يَخْجلُ منه أمام أهل عروسه . لو كان أخوه نيكيتا ، وهو رجل فاسق ، أولو كان ابن عمي ، لحقّ له حينئذٍ ، في حين أني أنا مستشار في الكلية(١) ورجلٌ معروف . لن أغضّ من قدره .

---

(١) مستشار في الكلية : مرتبة مدنية من الدرجة السادسة تعادل رتبة عقيد في الجيش.

بيكليشوف : ليست المسألة هنا ، يا عمّ . ليس هذا زواجَ تُجّار(١) ، ولقد تقرّر أن العروسين ، عندما يخرجان من الكنيسة ، سيركبان عربتهما ويسافران إلى الخارج . (يخاطب الحارس). هل العربة جاهزة ؟ لا تنسَ أن تضع المفتاح تحت المقعد الأمامي . والدهن ؟ إذا لم أهتم بكل شيء أنا نفسي . . . وخذْ هذه الحقيبة . (للقريب) . أوه ! أنت ! لشدّ ما تُزعجني ! . . . ولماذا وضعتَ هذه الربطة البيضاء وهذا الوسام ؟ . . . كل هذا مضحك . انظر ، أنا بالسترة الرسمية ، والعريس كذلك .

الغريب : أنا راجعٌ ، أنا راجعٌ . قلْ لي فقط ، هل تلقّى « توليا »(٢) مهراً حسناً ؟

بيكليشوف : ما « توليا » هذه ؟ . . . رجل ابن خمسة وثلاثين عاماً . . . لم يتلقّ شيئاً . خدعوه .

الغريب : لا ، لعلك تمزح ؟ أنتم لا تحسبون حساباً للقرابة ، أما نحن ، أبناء الزمن القديم فكنا نأمل . . . قلْ لي الحقيقة ، كيف ، « لم يتلقّ شيئاً » ؟ ايفان ميخايلوفتش ليس فقيراً . مع ذلك . . .

بيكليشوف يقف مقابله ، بينه وبين نفسه : ليُذِعْ ذلك في المدينة .

---

(١) زواج تجار : عندما كان التجار الاغنياء يتزوجون في روسيا ، كانوا يدعون بل يستأجرون شخصا له رتبة ، والافضل ان يكون جنرالا متقاعدا مزدانا بكل اوسمته ، وذلك لكي يعطوا حفلة الزواج بريقا ورونقا .

(٢) توليا : تصغير اناتول .

(بصوت عالٍ) . انظرْ كيف خدعوه . منذ شهرين ، أعرب عن رغبته في الزواج ، فأرادوا أن يكلّموه في المهر ، لكنه تصنّع رقّة العاطفة وأجاب إنه ليس بحاجة إلى ذلك . . . يا لهؤلاء المثاليين !

القريب : يا إلهي ! يا للغباء !

بيكليشوف : ولقد انتظرنا ساعة فساعة . . . وأشعَرْناه . . . فلم يُجدِ ذلك شيئاً . كان يتحرّج من الكلام . كان يقول : سأضيع سمعتي من جراء ذلك ، وهي أغلى عندي من المهر . . . وكنت أنوي أن أذهب وأعبّر عن رأيي بصراحة ، لكنه كان يمنعني : انتظرْ ، انتظرْ . . . أما الغبيّ الآخر فقد صدّق حقاً أن المال ليس ضرورياً في هذا العصر الحديث ، ولم يُعْطِ شيئاً حتّى الآن . فانظرْ إلى أين تقود رقّة الإحساس . ! طيب ، يا ايفان ميخايلوفتش . . . انتظرْ قليلاً . . .

المشهد — ٢ —

« يدخل العريسان والضيوف . التهاني . تجلس الفتاة . يتنحّى فينيروفسكي جانباً » .

فينيروفسكي : ماذا ، هل كل شيء جاهز ؟ (لقريبه) . مالكَ ، في الحقيقة ، تضايقني بتهانيك ؟ مع أن أحداً لم يطلبْ منكَ ذلك . . .

القريب : أُهنئك من كل قلبي . توليا . (بهدوء) سمعت أن الأمور غيرُ مُرضية فيما يتّصل بالمهر . . .

فينيروفسكي : ماذا سمعتَ ؟ ما هذه الحماقات ! أنا طلبتُها بلا مهر . . . (يتنحّى) . لِتغربْ عني ، هذه العصابةُ من الأغبياء ! ...

المشهد — ٣ —

« يدخل بيتروشا » .

بيتروشا : آناتول دميتريفتش ، أنت منذ الآن صهري ، لكني اعتبركَ مجرّد رجلٍ فقط .

فينيروفسكي : أرجوك أن تُعفيني من هذه الحماقات . ماذا تريد ؟

بيتروشكا : كلّفني أبي أن أقول لك : آن تأتي بسرعة إلى العشاءَ . إنه ينوي مباركتكما قبل سفركما . آملُ ألا تذهب . فكل هذا حمقٌ . لستُ أشاطرهم هذه الأفكار . أنا نفسي سأهجرُ منزلَ والدي .

فينيروفسكي : طيّب

(يبتعد هو وبيكليشوف .)

بيكليشوف : أرأيتَ ، يا أخي ؟ لقد تنبّأتُ بذلك . أنتم المثاليون لا تصغون إلى العمليين مثلنا . أرأيت ؟ حصلتَ على المرأة ولم تحصل على المال .

فينيروفسكي : خنازير !

بيكليشوف : لم نخسر المباراة بعد . سأذهب وأوضح رأيي . تستطيع

أنت الآن أن تختار بين طريقين : أن تذهب إلى بيته وتلاطفه وتتملّقه ، أو أن تسافر وتحرّكها . اخترْ .

فينيروفسكي : مَنْ تظنّني ؟ لن أفعل لا هذا ولا ذاك . سأسافر فقط بأسرع ما يمكن . هل رتّبتَ كل شيء ؟

بيكليشوف : نعم ! الحبال ، الدهن . . . فكرّتُ في كل شيء . . . ستسافر إذن بالمركبة القديمة ؟ كنت تنوي السفر في عربة فاخرة ذات أربعة جياد . . .

فينيروفسكي : كيف يمكنني السفر في مثل هذه العربة . نحن ناسٌ فقراء ، ولا نريد أن نُدهشَ أحداً ، على شرط أن يكون ذلك شريفاً .

الضيف الأول ، في الجمهور ، كأن العريس منحرفِ المزاج .

الضيف الثاني : ومع ذلك يجب أن نهنّئه .

الضيف الثالث: نعم ، اذهبْ إليه ، حاولْ قليلا ! سيقطع عليك الكلام . . .

الضيف الرابع : سأطلب منه شمبانيا .

(يشعل فينيروفسكي سيجارةً ويمشي) .

نيكولاييف : حسن ، حسن جداً ! (يقترب من العروس ويمسكها برأسها) . تهانيّ مرةً أخرى . أنا ذاهب إلى أبيك . . . هيّا . . . (بينه وبين نفسه) . يا لها من امرأة صغيرة رُثى لها . . .

ليوبوف ايفانوفنا : انتظرْ ! ماذا ، توليا ، ألا نذهب إلى أبي ؟

فينيروفسكي : من فضلك ، لا تناديني توليا ؛ فهذا ظاهرُ الغباء .

ليوبوف ايفانوفنا : كأنك متكدّر المزاج . أنا أيضاً أحسّ بالازعاج ... ليس هذا ما كنتُ أنتظرُه .

فينيروفسكي ، بابتسامة متكلّفة : لا ، لا ليس بي شيء . (يجلس بجنبها) . فلي هموم كثيرة : يجب أن نستعدّ للذهاب ، وهؤلاء الضيوف الحمقى . . . ماذا يلزمُهم ؟

ليوبوف ايفانوفنا : كيف تريد ، آناتول ؟ كل هؤلاء أقرباء وأصدقاء ، من أقرب الناس إلينا لا غير ، وقد أسخطْنا الكثير منهم حتى الآن . هلاّ ذهبنا إلى منزل بابا ؟ ومن هناك مباشرةً... عندما أفكرّ أننا سنكون في الخارج بعد اثني عشر يوماً . . . ما ألْطفَ ذلك !

فينيروفسكي : لن أذهب إلى منزل أهلك ، يستحيل ذلك عليّ . وأرجوك ألاّ تحزني بسبب ذلك . وماذا سنفعل هناك ؟ كل هذه المراسم أرهقتني . وكيف استطعتُ احتمالها ؟ يا لهذا الغمّ !

ليوبوف ايفانوفنا : وأنا ؟

فينيروفسكي : طبعاً !

الوصيف ، مقتربا : آناتول دميتريفتش ، الضيوف يرغبون في تهنئتك .

فينيروفسكي : حسنٌ ، وما المطلوبُ مني ؟ .

الوصيف : لكن . . . لا بدّ من الشمبانيا .

فينيروفسكي : بيكليشوف ، استمهم نبيذاً ؛ هل عندنا نبيذ ؟ نعم ، ها هو ذا . (يأخذ زجاجةً ويضعها على الطاولة) . لِيشربْ مَنْ شاء أن يشرب . ليوبا ، غيرّي ملابسك ، حان وقتُ السفر .

ليوبوف ايفانوفنا : طيب . لكن إلى أين ؟ دنياشا ليست هنا .

فينيروفسكي : ما حاجتُكِ إليها ؟ سأساعدك ، ثم هناك الطاهية . عجّلي ، من فضلك .

(تذهب ليوبا) .

الوصيف : على صحة العروسين !

فينيروفسكي : على صحة مَنْ شئْتَ ، عجّلْ فقط .

التلميذ الثانوي ، وهو يشرب : على صحة حرية النساء ! . . .

فينيروفسكي : آن أوان السفر .

التلميذ : . . . ثم على صحة العلم والحرية ! وأين العروسان ؟ (ينسحبُ المدعوون شيئاً فشيئاً) . وداعاً ، يا سادتي ، أنا ذاهبٌ . على صحة العروسين .

(يرتدي فينيروفسكي معطفه ويضع قبّعته) .

ليوبوف ايفانوفنا ، تظهر : الوداع ، يا سادة ، ! سلّموا على أبي ! وداعاً .

بيتروشا : سنتلاقى . . . أريدُ الحريةَ .

نيكولاييف : قلتُ إنه لن يكون هنا شيء حسن . نَذْلٌ ! يعتقد أن هذه هي البدعةُ الجديدة ! نَذْلٌ !

ستار

الفصل الرابع

المشهد — ١ —

« منزل آل بريبيشيف . الغرفة نفسها التي في المشهد الأول . طاولة موضوعة للعشاء . المدعوون يجلسون زمراً زمراً . آل نيكولاييف . ماري فاسيلييفنا بثياب الأحد . ايفان ميخايلوفتش مع الوسيط »(١) .

ماري فاسيلييفنا : تأخرا . (تنظر إلى الساعة) . وقد حان الوقتُ .

ضيف : لا بد أن الناسَ أخروهما . لنشربْ على صحتهما . (يشرب). وأين صارت قضيتُكَ ؟

الوسيط : ماذا قلتَ ، ايفان ميخايلوفتش،أأنت مصمم بالنسبة إلى الاسترجاع ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعطيت، مجّانا أراضي غريتسوف البور ، وتنازلتُ عن المدفوعات الإضافية . أظن أن الفلاحين سيقبلون هذا .

---

(١) وسيط الصلح : موظف ينتخبه نبلاء المنطقة وكانت مهمته تنظيم توزيع الأراضي بين الفلاحين والإقطاعيين . وقد كان تولستوي وسيطا سنه ١٨٦١ .

الوسيط : وكيف لا يقبلون ، ايفان ميخايلوفتش ؟ ستكون الغلطةُ غلطتي إن رفضوا . أظنّ أنه ليس في المقاطعة كلها ، لا في الدائرة وحدها ، ما يُشبه هذا الكرمَ . . .

(يقترب ضيفٌ) .

الضيف : تتحدثون عن أعمالكم ، في مثل هذا اليوم ؟

الوسيط : مستحيلٌ غيرُ ذلك . مهما يكن موضوع الحديث ، فان الحديث يَنْزلق أبداً نحو المكلّفين الموقّتين(١) . هاك مثلاً من معالجة هذه القضايا : إن ايفان ميخايلوفتش يَهبُ الفلاحين سبعة عشر هكتاراً ويُعفيهم من المدفوعات .

الضيف : نعم ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : ما العمل ؟ يجب أن ننتهي من . . .

الوسيط : ما أعْظمَ ما يفعله الزمن ! عندما أتذكّر اللهجةَ التي كلّمْتنَي بها في البداية . . . كدنا نتخاصم ، أتذكُرُ ؟ بسبب تلك العجوز التي جاءت تشتكي . . .

ايفان ميخايلوفتش : ماكان يمكن للأمور أن تكون غير ذلك . كان ذلك جديداً مسرف الجدّة عليّ ، فاغتظْتُ . . . لم يأتوا مع أن الساعة دقت العاشرة .

الوسيط : وكم يمدحُك الفلاحون ، يضعونك ، أينما كانوا ، في المقدّمة ، لكي يَغيظوا الملاّكين الآخرين .

---

(١) نحو المكلفين الموقتين : هم الفلا حون الذين كانوا يدفعون بعملهم ثمن أسهم الأراضي التي حصلوا عليها بعد التحرير في ١٨٦١ .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، هذه مكافأة حقاً .

الوسيط : وصَدّقْني أن هذا أنفعُ لك ، ايفان ميخايلوفتش .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذا مشكوكٌ فيه ، لكنْ على الإنسان أن يساير عصره .

ماري فاسيلييفنا : هو يقول دائماً : إن ذلك سيكون أنفع . وكان يرى أن البيان حسّن الأشياءَ ، لكنه مع ذلك ، يغضب لأن الفلاحين لا يعملون . ما رأيكَ ؟ هل الأمور تسير سيراً أفضل منذ تحرير الفلاحين ؟

ايفان ميخايلوفتش : لا شك أنه أفضل . (يقتربُ من السيدات) . عمَّ تتحدّثن ؟ .

ماري فاسيلييفنا : نتذكّر زواجنا . رويتُ لهن أنك كنتَ تخيفني ، أتذكر ؟ وأنك جئتني بخاتم من الماس . ولم أكن أنوي قبوله . وأنك رقصتَ معي ، في الحفلة الراقصة ، رقصة المازوركا ، ولم أكن أدري مَنْ أختارُ . . . ما أغبانا ونحن شباب ! لكن ما كان أبهج ذلك . . . كانت أمي تحب احتفالات الزواج الفخمة . كل موسكو حضرت زواجنا ... كانَ المدخل مفروشاً بالجوخ الأحمر ، ووُضِعَتْ الورودُ في صفين اثنين ، في صفين اثنين . . .

المدعوة الثانية : نعم ، كان كل شيء مختلفاً في الماضي .

ماري فاسيلييفنا : وما هذا الزواج ؟ زواج برجوازي . أهكذا تُزوَّج البنتُ الوحيدة ؟ .

الوسيط : لا ، لماذا ؟ ليس فيه أبّهة لكنه لائق . الزواج اليوم يتمّ هكذا. يخرجان من الكنيسة ليصعدا إلى العربة. أنا أستحسن هذا.

ماري فاسيلييفنا : ومع ذلك فقد تأخّرا .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، كان يجب أن يكون هنا . حسناً ! يا سادتي ، أرجوكم أن تذوقوا نبيذي . أنا ضامنٌ أنكم لم تشربوا قط مثله .

ماري فاسيلييفنا : جان ، اشرحْ لي ، كيف يجب أن تلاقيهم ؟ أين يقف كل واحد ؟ نسيتُ كل شيء .

المدعوّة الثانية : على الاشبينيْن أن يُدخلاهما حال وصولهما ، ونحن نستقبلهما بالخبز والملح(١) . أنتَ أولاً . . .

المدعو الأول : لا . الترتيب المتبّع هو : الوصيف الذي يُعلن وصولهما ، ثم يدخل الإشبينان ، وبعد ذلك فقط الأب والأم . . .

ايفان ميخايلوفتش : ما أكثر هذه العادات !

الوسيط : أحبّ هذا الماضي . فهو خيّرٌ جداً ، روسيّ جداً .

ماري فاسيلييفنا : يجب ألاّ تبقيهم كثيراً على المائدة ، جان . فأنا أود أن أكلّم ليوبا قليلاً على انفراد .

المدعوة الأولى : فرحٌ وهموم ، كل ذلك معاً . . . نعم ، هذه لحظةٌ لا تُنسى .

ايفان ميخايلوفتش : انتظروا ، وصَلَ شخصٌ . أيكونان قد جاءا ؟ انهضي ، ماري فاسيلييفنا ، وخذي الخبز والملح ، هنا .

---

(١) بالخبز والملح : علامة الترحيب في روسيا .

المدعوة الثانية : ضعي قطعاً ذهبية في المملحة — ليعيشا عيشةً غنيّة .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، أعْطني .

ايفان ميخايلوفتش : في الحال ، وضعتُ بعضاً منها . (الخادمات والمربية ينظران إلى الأبواب ؛ يصطف الموسيقيون) .
انظروا ، منذ أن يدخلا الباب (للخادم) . قدّمْ الشمبانيا ، ثم السمك بعد ذلك و . . . لقد وصلا !

(يتناول الخبز وينتصب ويقف في وسط الغرفة) .

المدعوة الأولى : يا لهذه اللحظة الجليلة !

المدعوة الثاني : بمَ يحسّ الأب والأم ؟

ايفان ميخايلوفتش ، يقبّل ماري فاسيلييفنا ، والدموع في عينيه : يا عزيزتي ، أهنئكِ . إنه لفرحٌ عظيمٌ لنا .

ماري فاسيلييفنا : آه ! جان . ما أشدّ خوفي وما أعظم سعادتي ، وأنا أجهل نفسي . . . قلْ لي في الوقت المناسب ، وإلاّ ارتبكتُ . . . لقد وصلوا هل ينبغي أن أقف هنا ؟

(تُسمَعُ خطوات، يتخذ الأب والأم وضعَهما، يُحيطُ بهماالأقرباء) .

المشهد — ٢ —

« يدخل نيكولاييف » .

ايفان ميخايلوفتش : لم وصلتَ بدون العروسين ؟ (يشير إلى الموسيقيين) هس ! . . . بُلْهٌ !

(يتوقّف الموسيقيون) .

نيكولاييف ، أشعث الشعر : لا ، لم أر في حياتي مثل هذه النذالة .
(يرمي قبّعته في الأرض) . لقد تنبّأتُ لكَ بذلك ، أيها الأحمق العنيف ! لا ، يا صديقي ، لن أسمح لأحدٍ بأن يَهزأ مني . لم أعد أخاك أو صديقك ، ولا أحب أن أتعرّف عليك بعد الآن ! هذا ما عندي ! (لزوجته) . صوفيا اندريفنا ، لِنَذْهبْ .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا يقول ؟ ما بهِ ؟

ماري فاسيلييفنا : وأين العروسان ؟ جان ، سأرْتَبكُ .

نيكولاييف : نعم ، اذهبْ وقبّلْهما ، الحقْ بهما ! . . .

ايفان ميخايلوفتش : نكن ما الذي جرى ؟ لا تُعذّبني ، ما بكَ ؟ لماذا ؟ . . .

نيكولاييف : لقد سافرا . هذا ما بي . بصقا في وجوهنا جميعاً وسافرا .

(يجلس على أريكة فيتجمّع الأفراد حوله) .

المربية : وكيف ، بلامباركة ؟

المدعوة الاولى : هذا غير ممكن !

المدعوة الثانية : هذا لا يُصدّق !

ماري فاسيلييفنا : آه !

(تتهالك على مقعد فتُهرع المربيةُ إليها) .

ايفان ميخايلوفتش : وهو ما يزال ممسكاً بالصينية : نيكولاييف ،

لا مَزْح بهذه الأشياء . . . أين هي ؟ أسألك . (للخادم) .
أين العروسان ؟ تكلّمْ !

الخادم : سافرا .

ايفان ميخايلوفتش : هل جُننتُم ، أنتم الآخرون ، أم ماذا ؟ هل رأيتهما بعينك ؟

الخادم : وكيف إذن ؟ أنا وفيدور وضعناهما في العربة .

ايفان ميخايلوفتش : في العربة ؟ في أيّة عربة ؟ سأقتلك ، يا وغد !

(يرمي بالصينية ويهجم على الخادم الذي يفرّ) .

ماري فاسيلييفنا : جان ، ماذا تفعل ؟ من فضلك . . .

(ايفان ميخايلوفتش يقف ويعود متفكراً .)

نيكولاييف : نعم ، يا صديقي ، هذه هي البدعة ، آخر بدعة . أنا أرثي لك وأشتهي أن أضحك . أقدمْ على الحماقات إن شئت ، لكنْ لا تضعْ الآخرين في مواقف حمقاء . لولا أنني أعطف عليكَ لتركتُكَ دون أن أقول لك كلمةً .

المدعوون : لكنْ ما الذي حدث ؟ وكيف يسافران بلا مباركة ؟ . . .

الوسيط : وكيف بعربة ؟ هذا مستحيل .

نيكولاييف : تنبّأت أنه ستحدثُ دناءَةٌ ، وكنت أتوقّع ذلك ، لكنه طمأنني كثيراً حتى ذهبتُ إلى الكنيسة . ولقد جاءَ هذا القليلُ الأدب إلى الكنيسة بالسّترة الرسمية وبالبنطال الأزرق . . . طيب . أردت أن أقود الخطيبةَ ، حسب العادة ، لكنه أصْعدها إلى مركبته . قلتُ في نفسي : آه ...

وقررتُ ألا أذهب . ألحّت علي صوفيا اندريفنا . . .
انتظروا . . . ماذا حدث بعد ذلك ؟ . . . قالت لي : ستجرح
ليوبا . . . فهو يجهل العادات . . . قلتُ : طيب ، سأذهب .
أنا أعطف على ليوبا .

ايفان ميخايلوفتش : نيكولاييف ، أنتَ تمزح . من فضلك ، فكّرْ ، فيّ . . . أنا أبٌ . . .

نيكولاييف : ولمَ أمْزحُ ، يا صديقي ؟ لا بدّ أنهم وصلوا محطة لاشنيغو .

ايفان ميخايلوفتش : وبعد ذلك ؟ تكلّمْ ، تكلّمْ . . .

نيكولاييف : كان لا بدّ لي من أن أبذل جهداً باعتباري صديقاً قديماً ، لكنني كنتُ أعلم أن خسّةً ستحدث . . . ومع ذلك فقد كنتُ أحدّثُ نفسي بأن كاتباً ، سوقياً ، لا يستطيع أن يهينني . فذهبتُ إذن . طيّب . عجّلتُ وأسرعت مع صوفيا اندريفنا ووصلنا . . . فاذا الوصيفُ وحده . . . وإذا الشقةُ أوسخ من حظيرة الخنازير ، وقد تناثرتْ عليها الحبال . وكان فيها صديقٌ للعريس ، نذلٌ مثله ، يرتدي ما يُشبه المبذل ، وقريبٌ له ، كاتبٌ . وماذا تظنّ أنه فعلَ . أدارَ ظهره لنا ، ووضع قبّعته ثم انصرف هو والصديق .

ايفان ميخايلوفيتش : وفي أي شيء سافر العروسان ؟

ماري فاسيلييفنا : كيف ، بدون خادمتها ؟ دنياشا هنا . اوه ! يا إلهي !

ايفان ميخايلوفتش : كيف سافرا ؟ اقتلْني ! خذْ ! اشربْ دمي !...

نيكولاييف : في عربة مغطّاة . رأيتُه بعيني . . .

ايفان ميخايلوفتش : نيكولاييف ! . . . انتبهْ . . .

نيكولاييف : مالي وللانتباه ؟ عليكَ أنتَ أن تنتبه إذ اخترتَ هذا الزوجَ لابنتك . . .

ماري فاسيلييفنا : هل كان بيتّروشا هناك ؟ . . . ما هذا كله ؟

المدعو الثاني : لعلهم آذياه ؟ . . .

المدعو الثالث : لا ، يبدو أنهم أعطوه كل شيء قبل الزواج .

المدعو الأول : ربما كان مجنوناً . صدّقوني هذا مجنون .

المدعو الثاني : شيءٌ واحدٌ يدهشني : كيف أمكنها أن توافق ؟

المدعو الثالث : أخذَها عنوةً .

المدعو الأول : هذا درس مفيدٌ لايفان ميخايلوفتش .

المدعو الثاني : الكبرياء دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : هل كان بيتّروشا هناك ؟ يا ساشكا !

ماري فاسيلييفنا : جان ، من فضلك . . .

ايفان ميخايلوفتش : أغربي عن وجهي ! . . .

الخادم ، وهو يدخل : فيم يرغب سيدي ؟

ايفان ميخايلوفتش : أين بطرس ايفانوفتش ؟

الخادم : لا أعلم ، يا سيدي . . .

ايفان ميخايلوفتش : سأعلّمك كيف تعلم ! ليُؤْتَ به في هذه اللحظة ، أتسمعني أيها اللص ؟ (يتوقف فجأة) . سأُريكَ إنْ كان يمكن الهزءُ مني . (يهرب الخادم) . .

الخادم الثاني ، يدخل ومعه رسائل : سافر بطرس إيفانوفتش مع كاترين ماتفيفنا والطالب ، وأمروا أن أسلّمك شخصياً هذه الرسائل .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟ (يأخذ الرسائل) . أين سافروا ؟ متى سافروا ؟ .

الخادم الثاني : لا أعلم ، يا سيدي . قال : إلى بطرسبرج .

المدعو الأول : يا للمفاجأة !

المدعو الثاني : نعم ، لا تأتي المصيبةُ وحدها .

نيكولاييف : هذه هي أفكارك الجديدة . . . نتيجة أطوارك الغريبة .

ايفان ميخايلوفتش ، فاتحاً رسالةً : يا سادتي ، أنا شديد الاغتمام . ارحموني ! . أعلمُ أن كل شيء من غلطتي . لا فائدة من الاستتار . . . لا أستطيع القراءة . . . اقرأها أنتَ ، أنت مثلاً (يتصفّح الرسالة ويناولها الوصيفَ) . اقرأْها . . . انتظرْ . هيه ! (للخادم) . اربط الجياد الأربعة بالمركبة . وقلْ للحوذي فيلكا إنه إنْ لم يقرّبْها في مدى دقيقة ، فإن أترك في فمه سناً واحدةً سأكسر أسنانه كلها . أقول ذلك على الملأ ، ثم ليُحاسبْني الله وقيصري ! نعم انقضى أجلُكَ ! . هيا ! اقرأْ .

الوصيف ، يقرأ الرسالة : « سيدي بريبيشيف ! »

ايفان ميخايلوفتش : مِمّنْ الرسالةُ ؟

الوصيف : من كاترين ماتفيفنا .

ايفان ميخايلوفتش : طيب : هذه الحمقاء أيضاً سأصفّي لها حسابها .

الوصيف ، **يقرأ** : « مع أن الاتجاهات الاجتماعية ، غير الناضجة بعد ، التي أبديتَها في هذه الآونة الأخيرة بوضوح أكبر من قبل قد أشعرتنا أنك بدأت تزعزع هدوءَ وسطك المحافظ المتطرف ، بل والرجعي المتطرف ، البليد والمعجب بنفسه ، الذي تَحيْا فيه ، ومع أن ذلك بعثَ فينا الأمل بأن نراك تتّجه فجأةً إلى المذهب الجديد ، إلا أن انتصار الفكر لم يَغْدُ بعد انتصاراً للفعل ، أحبُّ أن أقول ببساطة إن المسافة السحيقة التي تَفْصلنا عن أسرتك يتّضح أثرها ذاتياً بقوة جهنمية . إن الأحداثَ الأخيرة التي حدثتْ في وسطكم أبرزت أسسَ الجهل والفساد والتحجّر التي كانت مختبئةً فيه . وبما أننا اجتمعنا على كُرهٍ فلا يمكننا أن نتّحد . كان كل واحد منا يعيش منعزلاً . وقد قررتُ أن أعود إلى بطرسبرج ، لأنضوي تحت راية المذهب النسائي الجديد . وبما أن ضميرك بدا وكأنه يتّجه نحو طريق شريفة ، فقد قدّرتُ أن مما يهمّك أن تطّلع على نجاح نشاطنا في سبيل القضية المشتركة التي لها طابع واقعي حقاً. إن بعض الأشخاص السبّاقين ، وبعض الطبائع المستقيمة تجرّبُ تعايشاً حراً بين الرجال والنساء على أسسٍ جديدة

وأصيلة . هذه المؤسسة سُمّيتْ « المشاعيّة » . وقد صرتُ عضواً فيها(١) .

نيكولاييف : هذه المؤسسة ، يا صديقي موجودة منذ زمن بعيد ، وهي تُدعى بكل بساطة . . .

(يهمس باسمها في أذنه) .

ايفان ميخايلوفتش : تابعْ . . . أهي طويلةٌ أيضاً ؟

الوصيف : لا ، ستنتهي (يقرأ) . « وعندما أعيش في المشاعية ، وسط جماعة في مستواي ، فسأشارك في الصحف الأدبية وسأنشر ، في نطاق قواي ، أفكار العصر بصورة نظرية وبصورة محسوسة على حد سواء . سأكون حرّةً ومستقلة . وداعا ، بريبيشيف . لست أتّهمك بشيء . وأنا أعلم أن وحل وسطك قد لوّثك حتماً ؛ ولست أقصد ماري فاسيلييفنا ؛ كُنتَ مُكْرَهاً على أن تكون على ما أنتَ عليه . لكنْ تذكّرْ هذا الشيءَ : هناك طبائع مُضيئة لا تلين أمام ضربات الزمن وهذا ما ينبغي لك أن تنظر إليه بكثير من الاحترام والعطف (وإلا فقدتَ الكرامة الإنسانية) . إني لا احترمُك ، لكني لا أنكر على الإطلاق مطامحك الإنسانية . أنا فوق اللوم » .

ايفان ميخايلوفتش : أهذا كل شيء ؟ انتظري فقط !

الوصيف : لا . . . « حاشية — أرجوك أن تبيع أرضي التي تساوي

---

(١) واضح ما في هذا الأسلوب من تكلف وحذلقة . «المترجم»

على الأقل خمسين روبلاً الهكتار ؛ اتّكلُ على استقامتك ؛ « أرسلْ إلي الفين وثلاث مئة روبل نقداً في أقرب وقت ممكن . أما عائداتي فأرجو أن ترسل الي مئةً وخمسين روبلاً في البريد المقبل » .

ايفان ميخايلوفتش : جيد جداً . أخذتْ سابقاً مئتي روبل ، وكل ملكيتها لا تغلّ أكثر من مئة وخمسين . سأعطيك حظك من التوبيخ ، يا صديقتي ! الرسالة الأخرى الآن ؛ هي من الطالب ، على ما أفترض ، اقرأْها .

الوصيف : « إيفان ميخايلوفتش ، طلبتُ منك سلفةً قدرها اثنان وثلاثون روبلاً . لا أستطيع أن أردّها لك الآن . لكنك إن لم تكن لئيماً فلن تبلغ بك النذالةُ حدودَ اتهامي . سأرسل إليك هذا المال حالما أستطيع تدبّر أموري . من عادة الأغنياء أن يحتقروا الفقراء . وكان ذلك يجري في بيتك بوقاحة . سأسافر مع كاترين ماتفيفنا . ليكنْ رأيُك بها كما تشاء ، فأنا أعتبرها طبيعةً رفيعةً . ومن ناحية أخرى : احتراماتي

ايفان ميخايلوفتش : هذا واضحٌ ومقتضب . هل الجياد جاهزة ؟ سأنهكها جميعاً حتى ألحق بالجماعة ، وعلى الأقل سأجدُ تسليتي في ذلك .

ماري فاسيلييفنا : ماذا تقول ، ايفان ميخايلوفتش ؟ ارحمْه ، فالمسكين وحده .

المدعو الأول : هناك ما يدعو حقاً إلى الرحمة !

ايفان ميخايلوفتش : هيا ، الرسالة الأخيرة أيضاً . . . أجْهِزوا عليّ . . .

الوصيف ، يقرأ : « أبي ! فكرتُ كثيراً في فاسفة عصرنا . والذي ينجمُ عنها أن أصحاب العصر الجديد حياتُهم قاسية لأن الرجعيين يضطهدونهم . والكل يعامون أن الأُسْرةَ تحولُ دون تطور الفرديّة . لقد حصاتُ على تطوّر كبير ، بينما أنت محافظٌ متطرف ، وأمي حمقاء — أنت نفساك قاتَ هذا — وإذن فالجميع يدركون ذلك . فلماذا أُضيعُ انطلاقتي العظيمة وأتحجرّ ؟ في الثانوية ، الأساتذة ما يزالون قايلي التطوّر ، ولا أُطيقُ ذلك . يحبسون الإنسان في حبس ! ... لقد انقضى عهد اوبلوموف(١) ، وأمام أصحاب التقدم انفتحت أبوابٌ جديدة . سأحضر الدروسَ في جامعة بطرسبرج والأساتذة فيها قديرون ، وإذا كانوا سيئين فسأعمل وحدي . وإذا لم تكن أنتَ كيرسانوف(٢) جديداً أو طاغيةً ، فأرسلْ إليّ المالَ لأعيش . لأنني قد صمّمتُ على ذلك . وفضلاً عن ذلك ، لقد تأكدّت أن فينيروفسكي رجعي أيضاً . إنه لا يعترف بحرية المرأة . وداعاً ، يا أبي . لعانا سنلتقي في ظروف طبيعية ، رجلاً لرجل . قلتُ كل ما تجمّع في قلبي .

بطرس بريبيشيف .

---

(١) انقضى عهدا اوبلوموف : اوبلوموف نموذج للإقطاعي الروسي الذي يتولد كسله من القنانة ، وذلك في الرواية الشهيرة لا يفان غونتشاروف اوبلوموف ١٨٥٩ .

(٢) كيرسانوف : الأب النبيل في رواية تورغنيف « الأب والا بن » ١٨٦١ .

ماري فاسيليفنا : إلهي ! إلهي ! ما هذا ؟

نيكولاييف : أنا أشفقُ عليكَ جداً ، جداً ، يا ايفان ، لكنْ لا حيلةَ لنا في ذلك ، فالغلطةُ غلطتُك . هذه هي إذن البدعُ الجديدة ! أين الجديد ؟ كل شيء قديم ، قديم جداً : الكبرياء ، الكبرياء والكبرياء . منذ أن خُلق الكون والشباب يرغبون في تعليم الكبار .

المدعو الأول : هذا صحيح .

المدعو الثاني : لكنّ لهذا نتائج بعيدة جداً .

المدعو الأول : هذا حمقٌ حقاً ، هذا مضحك حقاً !

ايفان ميخايلوفتش : يا ماري فاسيليفنا ، أنتِ غبية ، لكنني أغبى منكِ بألف مرة . هيه ! هل هي جاهزة ؟

الخادم : قُدِّمت العربةُ يا سيدي .

ايفان ميخايلوفيتش : قُلْ لدنياشا أن تصطحبني . انتظرْ أين صلكّ الهِبَة ؟ حسناً ! وداعاً ، يا سادة .

(يستأذن ضيوفه) .

الوسيط : ماذا قررتَ إذن ، ايفان ميخايلوفتش ، بصدد قضيتنا ؟

ايفان ميخايلوفتش : دونكَ ما قررتُه : ما لم أُجْبَر إجباراً بسكين على عنقي ، فلن أعطي شبر أرض ، ولا كوبيكاً واحداً ، ولا يومَ عمل واحد ، ولن أُلغي أيةَ غرامة ! حسبُنا إدهاشاً للناس ! لا يا سيدي ، لقد تربّيتُ اليوم .

الخادم : المركبةُ جاهزةٌ ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : معطفي ، يابن الكلب ! ماذا تعتقد ؟ أن الأمور ستسير كما كانت من قبل ؟ — معكِ حق ، ماري فاسيلييفنا ، كلُ شيء يجري إلى أسوأ . والبيان والمدارس والطلاب . . . كل ذلك سمّ ، هاوية ، وداعاً ، على شرط أن ألحقَ بهم ، ولو على الطريق . كم ستستريح نفسي ! بيتروشا ، سأضربه ضرباً شديداً ! نعم .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، ارحمْني ، لا توبّخْ كثيراً الكسي بافلوفتش ، فهو حقاً هزيلٌ ويدعو للرثاء . كل ذلك فهو بسبب شبابه .

نيكولاييف : تستطيع أن تعود بابنك ، لا أن تفسخ زواجَ ابنتكَ .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دَعْني من هذا الموضوع . (يدنو من المائدة ويشرب كأساً من النبيذ) . نعم ، نعم ، سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه بالعصا . وداعاً . اضحكوا ، اصرخوا ، اغضبوا لكني سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه ضرباً شديداً ! وسيشكرني فيما بعد ، نعم !

ستار

الفصل الخامس

« يُمثّل المسرح صالة المسافرين في محطة للأبدال » .

المشهد — ١ —

« يدخل مدير البريد وكبير القرية » .

مدير البريد : ما هذا العَدْوُ السريع ! لم نرَ مثله منذ ماكاري(١) . دورُ مَنْ الآن ؟

كبير القرية : دور آكيم ؛ لم يعدْ . لا بدّ أنهم أخّروه في لابشيفو . ومن حسن الحظ أن البريد لم يصل بعد .

المدير : وبعد الساعة السادسة ستمرُّ خيلُ البريد من جديد . ماحيلتُنا في ذلك ؟ سيُزعجُنا المسافرون في الوقت الحاضر .

كبير القرية : في الماضي ، في عهد تيخون موسيتش ، عندما لم يَبْقَ جياد ، كان يختبىء في مخزن العلف . أنا أيضاً كنتُ كبيراً للقرية . وذات مرة جاءنا سكّيران من القوقاز ، وأذاقانا الأمرّين ! كلُ الناس في المحطة ضُربوا ، وكلهم

---

(١) ماكاري : معرض مشهور في نيجني نونغورور . ويسمى أيضاً معرض ماكاري .

هربوا . وسُحبَ تيخون موسيتش من قدميه إلى الخارج .
قال لهم : « أنا موظف ، لا يجوز لكما ! » فضرباه ضرباً شديداً ! أتصدّقني ؟ لقد جرّاه عبر الفناء . وضحك الحاضرون كثيراً .

المدير : إذا فعل بي أحد المستهترين مثل ذلك فسأعلّمه الأدب .

كبير القرية : اوه ! أصبحَ المسافرون وديعين جداً الآن . لكنني أحبّ أن أسأل سيادتك : لماذا يخاطبنا الجميعُ الآن ، نحن الفلاحين ، بضمير الجمَعْ ؟

المدير : جاء هذا من التعلّم ، أي من التقدّم . لستَ أحمق ؟

كبير القرية : لكننا لاحظنا مع الحوذيين أن الذي يخاطبك بضمير الجمع يجب ألا تنتظر منه حلواناً . بينما الذي يزعق كثيراً ولا يوفّر يده يعطيك بالتأكيد خمسة روبلات أو ستة ، تستطيع أن تثق بذلك .

المدير يضحك : وأولئك أيضاً يُبدون ملاحظاتهم . « كفاك نظماً للجواهر . انظر إلى هذه القذارة ، قل لهم أن يَكْنسوا هنا ، وامسحْ الطاولةَ على الأقل » . ما من مسافر لا ينزعج . كل شيء يبدو لهم وسخاً . ومَنْ الذي يوسّخُ كل شيء ؟ همْ أنفسهم دائماً . لا هم لهم إلا أن يوسّخوا وينصرفوا . ولا شيءَ يبدو لهم كافي النظافة . (كبير القرية ينظّف) . سأنام قليلاً . ها قد جاء مسافرون آخرون ، فيما أعتقد . لا بد لهم من أن ينتظروا ، مهما يكن رأيُهم .

كبير القرية : ليدفعوا الضِعْفَ ، ويأخذُهم فلاحونا .

(يرنّ جلجلٌ) .

المشهد – ٢ –

« مدير البريد ، كبير القرية ، فينيروفسكي وليوبوف ايفانوفنا ، شاحبةً جداً ، صامتة وحزينة » .

فينيروفسكي : أيها السيد مدير البريد ، أريد جياداً . وأنت ، يا كبير القرية ، اذهبْ وقلْ لهم أن يربطوا لي الجياد بأسرع ما ما يمكن . (لليوبوف ايفانوفنا) . آه ! ها نحن وحدنا . هذا رائع ! منذ أن تخلّصْنا من تلك الحماقات الكريهة ، الآن فقط أحسّ أنني إنسان . أأنت مسرورة ، يا حلوتي !

ليوبوف ايفانوفنا : نعم . . . أنا مسرورة ، أنا متعبة .

المدير : الجياد كلها في العمل .

فينيروفسكي : أكرّر لكَ : هذه أوراقي ، وهذا هو المال ، فقلْ لهم أن يربطوا الجياد .

المدير : عندما نربّي جياداً أخرى سنربطها .

فينيروفسكي : تفضّلْ وقلْ لهم أن يربطوها أو أعطني الدفتر ، فسأتقدّم بطلب .

المعلم : هذا هو الدفتر . اكتبْ طلبَك . رأيْنا كثيرين غيرَك .

فينيروفسكي : آه ! حسنٌ . حسنٌ جداً ! نعم، الاستقامهُ ستظلّ طويلاً من حظنا نحن وحدنا . . . ما هؤلاء التافهون !

(يجلس ، يتصفح الدفتر ، ثم يكتب) .

المعلم : مقترباً ، هائجاً : اقرأ الدفتر بالأحرى . تفضّلْ وانظرْ : البريد ، ٨ جياد في الساعة ٥ و ٢٣ دقيقة. لم تبلغ التاسعة ولم يعودوا بعد . عقيدٌ مع زوجته ٦ جياد في الساعة ٦ و ١٧ دقيقة . تفضّلْ وانظرْ : العدد الكامل هو ٣٦ جواداً ، نعم ، يا سيدي ، يجب أن تنظر قبل أن تصف بالتفاهة الناسَ الذين ربما كانوا خيراً منكَ .

فينيروفسكي : دعْني ، فليس في نيّتي مناقشتك .

المدير : ما عليكَ إلا أن تكون أكثر حذراً في المستقبل . حتى الجنرال الذي يسافر بمركبة الجياد الستة ، لا نسمح له بذلك . . . بصرف النظر عن الأوباش . . .

(يخرج)

المشهد – ٣ –

« الأشخاص أنفسهم ما عدا مدير البريد » .

فينيروفسكي : يا كبيرَ القرية ، ائتني بسماور ، منْ فضلك. (لليوبوف ايفانوفنا) . هل تتناولين شاياً ، يا حلوتي ؟(لكبير القرية) . وبالسكر والشاي !

كبير القرية : سعر السماور عشرون كوبيكا ، أما السكر والشاي فحاسبْ المعلّمة .

فينيروفسكي : هات كل شيء . هل تتناولين شاياً ؟

ليوبوف ايفانوفنا : نعم . . . لا .

فينيروفسكي : يجب أن ترفعي خمارك .

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لابأس بذلك .

فينيروفسكي ، جالساً بقربها : أنتِ ترين ، يا صديقتي ، الفرقَ المدهش الذي يفْصلنا عن أهلك القدماء . نحن ننظر إلى الحياة ببساطة . هذا السيد ، بسبب وسطه وقناعاته ، يجد من الضروري أن يزعج الناس وأن يعاملهم بفظاظة . هذا طبيعي ، ومثلُ ذلك كونُ أهلك يعتبرون اجراءات الحماقة التي أفلتْنا منها ضروريةً . من دون شك ، نحن لا نستطيع تغييرها ، لكننا يجب أن نقول لهم ، باعتبارنا أشخاصاً أذكياء : أنتم سيّئون وحقراء ، وهذا شأنكم ، يا سادة ؛ لكنْ لا تمنعونا من أن نكون شرفاء وإنسانيين . متى أدركت هذا المفهوم ، يا حلوتي . . .

ليوبوف ايفانوفنا : لا تقل « حلوتي » ، هذا بشع .

فينيروفسكي : طيب ، لا يهمّ . لاحظي فقط كم سيذلُّ هؤلاء الحمقى في مثل هذه الصدامات . لستُ أكرههم ، بل إني احتقرهم ، سيذلّون ، وسيدركون ذلك عندما يفكّرون . صدّقيني ، إن أهلَكِ الآن يحسّون أنهم أغبياء . وهذا ما يلزمهم .

ليوبوف ايفانوفنا : وماذا فعلَ بك أهلي ؟ ولنفرضْ أن في تطوّرهم نقصًا ، لكنهم ليسوا سيّئين . هناك أسوأ .

فينيروفسكي : أنتِ ذكيّة ، يا حلوتي . صحيح ، هناك أسوأ . لكن منذ اللحظة التي ندرك فيها تفاوت قناعاتنا ، منطلقاتنا ،

يجب أن يصطفّ البعض إلى اليسار ، والآخرون إلى اليمين .
كل هذا بسيطٌ جداً . لستُ احترم الأغبياء والجهلة ، كما
لا أحترم اللؤماء والجامدين وأعداء الجديد ، مثل أهلك .
وإذنْ فلا أنت ولا أنا نستطيع أن نحترمهم . أنتِ موافقة ،
أليس كذلك ؟ غيري يتصرّف بدبلوماسية ، ويخفي
قناعاته ، لكنني أقدّرُ أن الحقيقة والشرف نافعان دائماً .

ليوبوف ايفانوفنا : لكن لماذا ؟ إن أبي ليس عدواً للجديد — على العكس !

فينيروفسكي : ألم تريْ أنه كانْ يخافني فقط وأنه منافق ؟ ثم إننا لا نستطيع أن نحترم امرأةً حمقاء لا تفهم شيئاً خارج النوم والأكل .

ليوبوف ايفانوفنا : ومع ذلك ، كنتُ أحبّهما . . .

فينيروفسكي : أحبّي ما هو حرٌ وشريفٌ وعاقل ! أحبّي الأشخاص الذين يجمعون في أنفسهم هذه الصفات ، وستصبحين إنسانية ؛ أما أن تحبّي امرأةً لأنها ولدتك ، فلا معنى لذلك .
نعم ، يا صديقتي الرائعة ! إذا كنتِ تحبينني ، فليس ذلك من أجل جمالي ولا من أجل ذكائي ، ولكن لأن هذه الصفات تجمّعتْ فيَّ ، نعم ، الأمر كذلك (يؤْتى بالسماور) . أتعملين الشاي ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لا أريد شاياً ، كل ذلك وسخٌ وبشع . انظرْ إلى هذه الفناجين . لا أريد شاياً . . .

فينيروفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، يا حلوتي الصغيرة بين النساء . الآخرون يحصلون على هذه المعرفة بمشقّة لقاء

صراعات ودراسات طويلة ، وأيضاً فإن الطباع النادرة والقوية هي التي تفهم هذه النظرية بقوة ووضوح كفهمي لها ، بينما أنتِ يا حلوتي المحظوظة ، تحصلين على ذلك كله بسهولة . يكفيك أن تصغي وتحفظي ، ودفعةً واحدةً ترتفعين إلى العلوّ الذي ينبغي أن يكون فيه إنسانُ الزمن الحديث . لكنْ لندعْ هذا الحديث . نحن الآن وحدنا ، ونحن حرّان . (يدنو منها) . لماذا لا تشربين ، يا حلوتي .

ليوبوف ايفانوفنا ، **مكشّرةً** : أيّة فناجين هذه ! ياللبشاعة ! كل الناس يشربون منها — وربما المرضى . لا أستطيع .

فينيروفسكي : لستِ نشطةً اليوم . أمن الممكن ، يا عزيزتي ، ألا تسرّكِ رحلتُكِ هذه ؟

ليوبوف ايفانوفنا : سيان عندي ، أنا متعبة . لماذا لم تأتِ بدنياشا ؟

فينيروفسكي : عُدْتِ إلى دنياشا ؟ لا أرى من حقي مضايقتك بالأسئلة . أنتِ حرّةٌ مثلي ، وسيكون الأمرُ كذلك في المستقبل . إن رجلاً آخر في مكاني قد يرى لنفسه حقوقاً عليك ، في حين أنني أنا أعترف بحريتك الكاملة . نعم ، يا فاتنتي ، ستنتظمُ حياتُنا بحيث تقولين عمّا قريب : هجرتُ السجنَ إلى الفضاء الطلْق .

ليوبوف ايفانوفنا : لماذا لم تأتِ بدنياشا ؟

فينيروفسكي : كان سيكون ذلك تصرّف رجلٍ إقطاعي ، تصرفاً قبيحاً ، وكانت ستضايقنا . (يقترب منها) . أيمكن تقبيلُكِ الآن ؟

ليوبوف ايفانوفنا : دَعْ هذا ! واغسلْ هذه الفناجين ! ما أوسخَها !

فينيروفسكي مبتسماً : ليس هذا مهماً . (يعمل شاياً ويشرب) .

إذن يمكن تقبيلك ؟ عندما تسمحين بذلك فقولي لي ..

لعلك تريدين أن تستريحي ؟ سأخرجُ . لن أكدّر حريتك أبداً .

ليوبوف ايفانوفنا : لا . . . نعم . . . لا . . . لا أحتاج إلى شيء .

أنا ضجرة .

فينيروفسكي : أتظنين أنني لم أتوقّع هذا الاحتمال ؟ على العكس .

لسنا رجال عمل من أجل جمل رنانة نصنعها . إننا

لا نتولّع بالأشياء تولّعاً . كنت أعلم أنك ستضجرين .

أتريدين أن أقول لك لماذا ؟ لا تندهشي لأنني حَزَرْتُ

ذالك ، فليس في ذلك ما هو خارقٌ للعادة . لقد نشأت

في وسطٍ حقير . ولك طبيعةٌ خيّرةٌ ، لكنك اكتسبت ،

أثناء حياتك ، أشياء كثيرةً في جو البلادة والعفن ذاك .

ولقد بقيتْ هذه الأشياء فيك ، بصورةٍ غير ملحوظةٍ ،

وأنت لم تكوني تلاحظينها من قبل كما أننا لا نلاحظ الوحل

في اسطبل مليء بالزبل ؛ لكنك حين احتككت بالنقاء

وبالقوة ، غدا الوحلُ مرئياً أمامك وبهر النورُ عينيك .

وعندما تنظرين إليّ ، ترَيْن أدرانَك . . .

(يذرع الغرفةَ منفعلاً) .

ليوبوف ايفانوفنا ، بهدوء : آه ! دائماً عن نفسه .

فينيروفسكي : كيف ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا شيء . تكلّمْ .

فينيروفسكي : لا تخافي من ذلك ، يا حلوتي ؛ فهو إحساسٌ عابرٌ . الذين يخرجون من الظلمة لا يستحسنون النورَ في اللحظة الأولى . لكن هذا انطباعٌ خاص بالتغيّرات المفاجئة . لماذا تنزعجين ؟ لأن العربةَ تبدو لك غيرَ مريحة ، لأنك فقدت خادمتك ، ولان الفناجين تبدو لك وسخةً .... كل ذلك يأتي من بلادة المَلاّك . فكّري إذن أن أمامك حياةً كاملةً من الحرية ، ورجلاً تساهل مع التفاهة جهده ، وأن . . .

ليوبوف ايفانوفنا : أنت لا تَمْدح إلا نفسك . . .

فينيروفسكي : أمدحُ ما يستحقّ المدح وألوم ما يستحقّ اللوم ، أما أن تكون الجوانبُ الحسنة أو السيّئة فيكِ أو فيّ فليس لذلكَ كبيرُ أهميّة . إن التواضع المزعوم هو أحد الأحكام المسبقة التي استمرّت بفضل الجهل والغباء . وهكذا فان أمك تدّعي أنها حمقاء . وهذا حسنٌ بالنسبة إليها . هيه ! هيه !

ليوبوف ايفانوفنا : دَعْني ، فقد ضجرتُ .

فينيروفسكي : حسناً ! سأسكتُ وسأقرأ قليلا . وهذه الحالة ستزول عنكِ . ربما كانت الحويصلة الصفراوية لم تصبّ محتواها . وهناك ، لتحاشي ذلك ، وسائل فيزيائية.لن أغضبَ عليك

أبداً . ومهما فعلتِ فسأبحثُ عن السبب ، وسأعثرُ عليه ، وسأحاول إبعاده . سأسكتُ أنا ، أما أنت فخذي قليلاً من الماء .

ليوبوف ايفانوفنا ، تنهض ، وتدنو من الباب وتسأل : أعندكم امرأةٌ ؟ أيمكن أن أدخل ؟

(يجيب صوتٌ : ادخلي إذا شئتِ . تخرج ليوبوف . تُسْمعُ جلاجل وأصوات) .

المشهد — ٤ —

« تدخل كاترين ماتفيفنا » .

صوت تفيردينسكوي في الكواليس : يبدو أنه لم تبقَ جياد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، تقول : لم تبق جيادٌ . إذنْ لماذا يحمل هذا المكان اسم : محطة الأبدال ؟ المحطة تُقام ليكون فيها جياد ، نعم أم لا ؟

(يدخل تفيردنيسكوي ، بيتروشا ، كبير القرية . بيتروشا به حازوقة) .

كبير القرية : قُلنا لكَ أن جميع الجياد في العمل . هذان ينتظرانها أيضاً .

(فينيروفسكي يشاهد القادمين الجديد فيَخْرج دون أن يُرى) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، أنت لا تجيب عن سؤالي . لماذا ترفضون أن تعطوا الجيادَ ناساً لهم الحقوقُ نفسُها التي لأي جنرال .

بيتروشا : إغ . . . افهمْ إذن إغ . . . أننا ذاهبون إلى بطرسبرج ، ،
إغ . . . لم نأت من بعيد . . . إغ . . . جريبيشيفكا لنا .
إغ . . . أعطنا جياداً ، وإلا إغ . . . تعرّضتَ لما يسوءك
. . . إغ . .

كبير القرية : سأرسلُ إليكم مدير البريد .

(يريد أن يخرج) .

تفيرديىنسكوي ، **يحتجزه** : أيها الريفي المحترم ! أنت ترغب ،حسبما استنتجتُ من كلامك ، أن تنفّذ عمليةً تجارية . ونحن لا نرغب أن نسهّلها .

كبير القرية : كف عن المزاح ، يا سيدي ، ودَعْني وشأني .

(يدخل مدير البريد) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي أن أطلبَ منكَ جياداً . لنا من الحق مثل الذي لأي رجل ذي رتبة . لقد مضى الوقتُ الذي يُحْتَرَم فيه الجنرالات وحدهم ، ويُحْتَقَر رجالُ العلم ، وطلابُه .

مدير البريد : ها قد مرّ ساعتان وليس عندنا أيُّ جواد ، تفضّلوا وانظروا إلى الدفتر . الناس متساوون ، عندنا وأنا أفهم العصرَ الحاضر كأي إنسان .

بيتروشا ، لكاترين ماتفيفنا : لا ،اسمحي لنا ، إغ . . سأُقنعه . . . أستطيع أن أفعل ذلك . . . (لمدير البريد) . احكُمْ بنفسك . . . . . . إغ . . . متى سنصل بطرسبرج . . . إغ ...

إذا كنا عند كل محطة . . . إغ ! . . . ستحتاج إلى الجياد
حتماً . . . إغ . . . أعطها . . . احسبْ كم سيستغرقُ
ذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، سأقنعُكَ .

المدير : لعلكم تريدون أن آتيكم بالدفتر ؟

بيتروشا ، لكاترين ماتفيفنا : دَعيني . . . إغ . . . سأقنعه . . . إغ ! . . .
نحن ذاهبون إلى المشا . . . إغ . . . عية .

المدير : أينما ذهبتُمْ فسيّان عندي . . .

ڤيردنسكوي : يأخذ الدفتر : ذُكِرَ في هذا الدفتر أن ملازما يدُعى
ستيباتوف كان مستعجلاً لعملٍ مُلحّ ، فتأخّر بسبب تأخرّ
الأبدال .

كاترين ماتفيفنا : سأقدّم طلباً .

المدير : أرجوكِ ، يا سيّدة . لم يبقَ جياد ، وهذا كل شيء . .

كاترين ماتفيفنا : وأيُّ جهلٍ بواجباته فوق ذلك ، وأية وحشيّة !

ڤيردنسكوي : اسمحْ لي ، سأصوّر في هذا الدفتر كل آلام نفسنا
وأخلاقَ مديري البريد القاتلة .

بيتروشا : لا ، دعوني اتصرّفْ ، فعندي فكرةٌ . . . إغ . . .

المدير : يسحب الدفتر منهم ، تهزؤون بي ، يا سادة ! لسنا أقلّ
قيمةً منكم . إذا أحببتم أن تكتبوا فاكتبوا ، لكنْ لا
ينبغي أن تفقدوا أدبكم .

تفيردنسكوي : وهكذا ، يا كاترين ماتفيفنا ، يُوقفُ عائقٌ حقيرٌ مسيرتَنا نحو مشعل التقدّم . هذا المواطن غاضبٌ . لِنَدَعْهُ

بيتروشا : إغ ! . . . إغ ! . . . إغ ! . . .

تفيردنسكوي ، ضاحكاً : قلتُ لكَ إنك أفرطت في تذوّق الخمر الهنغارية .

بيتروشا : كيف ، يا سيدي ؟ إغ ! . . . ليس في هذا ما يُضحك ، إغ ! ... على العكس ... لا أسمح لك بالضحك ... إغ ! ...

تفيردنسكوي أية صبيانية في أن تَستاءَ من كل شيء !

بيتروشا : وحدك صبي ... إغ ! ... أنا رجلٌ ... إغ ! ... حرٌ ... إغ ! ... قلتُ أنا نفسي . . . إني . . . إغ ! . . . ذاهب ... إغ ! ... إلى المشاعية .

تفيردنسكوي : نعمْ ، يا بريبيشيف الشاب ، فهذا أفضل لك .

بيتروشا : عبّرتُ عن رأيي بأنك أنتَ الصبي ... إغ ! . . . لا أنا . أنتَ لا تعرف ... إغ ! ... حريةَ الفرد ... إغ ! ... اسكتْ ... تحامقتُ فقط وشربت هذا النبيذ ... إغ ! ... وأنا أشعر بالغثيان ... إغ ! ... ولولا ذلك لأعربتُ ... إغ ! ... عن آراء تدهشك ... إغ إغ ... أنا نعسان ، (يجلس وينام في نومه) . عقبةٌ ... ! ! ... للفرد ... ! ولـ ... إغ ! ... إغ ! ...

تفيردنسكوي : طيّب ، سننتظرْ . بل يمكن أن نتناول الشاي . لأنني ضجرتُ . انظري ، ذاك واحد شربَ هنا . يا ريفي ،

يا كبير القرية ، أيمكن أن نجد عندك الأداةَ التي تسمّى عادةً : سماور ؟

كاترين ماتفيفنا ، تجلس إلى الطاولة ، وتشعل سيجارةً ، وتردّ شعرها إلى الوراء : أحب طريقتك المرحة في النظر إلى الحياة ، يا تفيردنسكوي . مهما تكن خطيرةً الأحداثُ التي تجري اليوم في حياتك ، فانك تدفنُ في أعماق نفسك أفكارك السرّية ولا تكفّ عن المزاح . كثيرون قد يجدونك خفيفاً ، لكن هذا بالضبط هو ما أحبّه فيك . وأنا أقدّركَ من أجل هذا . نعم ، ها نحن قد سرْنا الخطوةَ الأولى في طريقنا الجديدة .

تفيردنسكوي : ما نفعُ الكلام دائماً ؟ إذا كنا نعلم أن القضية صحيحةٌ وأننا أحرارٌ ومحقّون ، فما المطلوبُ أكثر من ذلك ؟ لا أحبّ أن أستعدّ سلفاً . إذا جاءتْ ساعةُ العمل فأنا عامل ومكافحٌ ، وريثما تأتي ... يمكننا أن نبتهج بالمزح الخفيف .

كاترين ماتفيفنا : قلْ لي شيئاً واحداً : تساءلتُ ، في الطريق ، لماذا كان مؤسسُ هذه المشاعيّة رجلاً لا امرأةً ؟

تفيردنسكوي : هيه ! المصادفة . (يُؤْتَى بالسماور) . وإذن فمن الذي سيُقوم بصُنع الشاي ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اعتقد أن المدي من الدواعي لصنعه كالتي لديك . اسمع : فلْنقترعْ .

تفيردنسكوي : وهكذا ، فلنَعْهدْ إلى القدر الأعمى بحل مشكلتنا .

(يأخذ سيجارةً ويخفيها وراء ظهره . تأخذ كاترين ماتفيفنا ملعقة وتفعل مثله) .

كاترين ماتفيفنا : لا ، عليكَ أنتَ أن تحزر .

تفيردنسكوي ، يمسك بذراعها ، ويلقي بسرعة نظرةً دائرية حوله ، فيداعب ذراعها ويضغط عليه محرّكاً يديه : ومع ذلك فليست رديئةً هذه الذراع الممتلئة . الملعقةُ في هذه .

كاترين ماتفيفنا ، **مبتسمة** : تفيردنسكوي ، لا تكنْ غبياً ، حزرْتَ . سأحضر الشاي .

تفيردنسكوي كم يقرّب الطريقُ بين الناس . أشعرُ بإحساس غريب في جواري للمرأة . (يقترب منها) . كم هو حسنٌ منكِ أنك لم تلبسي تنّورة داخلية . وما هذه الثنية الصغيرة هنا ، ثنية قديمةٌ حتماً .

(يشير إلى ظهرها) .

كاترين ماتففنا : تفيردنسكوي ، أتعرف أبيات هوغو(1) ؟ هوغو رجل متخلّف ، لكن حَدْسه الشعري نفذ إلى كثير من أمور المستقبل : لا تهينوا . . .

تفيردنسكوي : ثنيّة من الطراز الأول . . . اسمحي لي أن أنْشرها . لا أن أطويها ، بل أن أنشرها .

(يلمسها)

(1) أبيات هوغو : استشهاد غير دقيق بالابيات التي تبدأ كما يلي : « اوه! لا تهينوا أبداً امرأة تسقط !

كاترين ماتفيفنا ، **ضاربةً يده** : تفيردنسكوي ، عندما أعرفك معرفةً أوثق ، فسأروي لك حياتي . إن حياة المرأة شذوذ غريب في مجتمع قليل التطوّر كمجتمعنا . (تبتعد) . تفيردنسكوي ، لو كان تقديري لكَ أقلّ ، لشككتُ في صحة قناعاتك . ماذا تفعلُ يدُكَ ؟

تفيردنسكوي : ما هذه الحالات الفريدة التي يمكن أن تحدث ! لقد عشنا ثلاثةً أشهر معاً ، وتحدّثنا فقط عن الأمور التي تثير التفكير ، والآن ، وفجأةً ، تغيّر رأيي فيكِ كليّاً . لماذا لا تريدين أن أضعَ يدي هنا ؟ (يضعها على ظهر مقعد كاترين ماتفيفنا) . لن أمسّ شيئاً دون إذنٍ . لن أمسّ شيئاً .

كاترين ماتفيفنا ، مشرقةً : افحصْ أعماقَ ضميرك ، وحينئذ سأصغي بشرفٍ إلى بَوْحكَ . لا أريدُ تولّعاتٍ عابرة ، يجب أن تكون فوقها . لا تلمسني .

تفيردنسكوي : لستُ ألمسُكِ ، ولستُ ألمسُ شيئاً . لكن في نظراتكِ شيئاً مُفترساً ، شيئاً أعلى من المرأة . أحدُ رفاقي كانت له امرأةٌ صديقةٌ ، مربّيةٌ . كنّا نسمّيها فالفوتشكا . أنت شبيهةٌ بها ، شبيهة بها جداً . ما ألطفَ هذه الثنيّةَ .

(يمسك بها ويضمّها إليه) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، فكّرْ جيداً وافحصْ نفسك . الطريق التي . . . قلْ لي ، أيّ حب تحبّني ؟

(تنتزع نفسها منه وتنهض) .

تفيردنسكوي ، يتبعها : أنتِ عطرُ قلبي ، نرجيلة الأمل السماوي ، أنت بخارُ نعل اصنامي المعبودة ، أنت كل عذوبة قبّة سماء الكون وكل ضوئها . إني أحبكِ وأشتهي أن أشرع في استغلالك .

كاترين ماتفيفنا : لا تَنْطقْ بحماقات ، فتَجْرح فيّ الكائن الشريف ، لا المرأةَ . لستُ أُميّز . أنت تقول : إني أفْتناكَ بجاذبيتي ، وأنا أعتبرك رجلاً كريم النفس ، فحلّلْ خاصيّةَ هذه الجاذبية واشرحْها لي : حاولْ أن ترى الأشياءَ بموضوعية . إن عقلاً محسوساً يمكن أن يصغي إليك . هذا ما عندي .

تفيردنسكوي ، يدنو منها ويمسكها بيدها : أيتها المرأة الإلهية ، والحرة ! إن القدر يساعدنا . فرضيعُ « مينيرفا » (يشير إلى بيتيا النائم) . طار بين ذراعيْ « مورفي » ، وغَدَوْنا وحدنا ، يَنْهشني الحب . (يمسك بها ويحاول تقبيلها) . المستقبل بين يديْ القدر ، والحاضرُ لنا . (يقبّلها) . كفّي إذن ، يا عزيزتي !

كاترين ماتفيفنا ، تدفعه بخوف : أنتَ تُهينني . وبكَ أيضاً ، خُدِعتُ . سأَصْرخُ ، اتركْني !

بيتروشا ، في نومه : الأسرة ... إغ ! .... عقبةٌ .... لا .. فر .. إغ ! .... ديّة .

تفيردنسكوي ، غاضباً ، يتركها : هذا لا يَليقُ بامرأة حرةٍ حقاً . أن تفهم كل شيء بطريقة قذرة .

كاترين ماتفيفنا : يا إلهي ، إلى أين نزلتُ ! . . . يا إلهي ! . . . أمكنني فوق . . . لا . . . أنا فوق كل شيء .

(تجلس على حدة ، مضطربةً وتستغرق في أفكارها) .

المشهد – ٥ –

« كاترين ماتفيفنا ، تفيردنسكوي ، فينيروفسكي وليوبوف ايفانوفنا » .

ليوبوف ايفانوفنا ، تخرج ، وهي تذرف الدمعَ مدراراً : أين إذن حريةُ المرأة إذا كنتَ تعذّبني ؟ ... إني ضجرتُ ، ماما كانت على حق ... كاتنكا ! الكسي بافلوفيتش ، يا صديقيّ ، وبيتروشا ! ماذا جرى ؟

تفيردنسكوي : مفاجأة مثيرة ! أنا . . . نحن ذاهبون إلى بطرسبرج .

كاترين ماتفيفنا : ليوبوف ! كنتِ محقّةً ! لكن دعيني ... يجب أن أفكر طويلاً .

(تتكىء على مرفقها وتفكر) .

بيتروشا ، يستيقظ فجأة وينهض : انتظروا ، سأروي أفضل مما يروون ... يجب أن تعلمي أنت نفسك أن الأسرة ... إغ ! ... في تطور الفرد ... إغ ! ... ية . ذهبتُ وحدي إذن ، لكن الكسي بافلوفيتش اكتشف أن هناك المشاعية ... والمشاعيّة ... مؤسسة مدهشة ، آه ! لا قيمة لذلك . . . أنا نعسان كثيراً ، أيقظتموني .

(يجلس) .

ليبيوف ايفانوفنا : ما بـه ؟

فينيروفسكي : لا شيء خارق للعادة . كل شيء مفهوم . سكرَ الصبيّ . ونجمتْ عن ذلك فظاعةٌ غير عادية .

بيتروشا ، ينهض : أنت نفسك فظاعةٌ غير عادية . كل الناس يعلمون أنك رجعي . قال لي الكسي بافلوفتش وكاتنكا أنك تزوجتَ من أجل المال . وهذه نذالة بحسب مفهوم . . . .

(ينام) .

تفيردنسكوي : صبيّ ، في الواقع . ثق ، يا أناتول تعرف أنني لم أقل ذلك ولا أراه ، لأن قناعاتنا . . .

فينيروفسكي : أن تقول ثم أن تنكر ما تقول ، هذا من شيمتكَ . (لكاترين ماتفيفنا) . أما معك ، يا آنسة فسأتكلم بجدّ . عندما تفاهمنا — هيه ! هيه ! هيه ! — في شقتي ، رجوتُكِ ألا تتكلمي عن شخصي . وأجبرتِ على وعدي بذلك . إلا أنني أرى أنك لا تريدين أن تفي بوعدك ، وسأجبرك في الوقت الحاضر على الوفاء به . هيه ! هيه ! هيه ! — نعم ، فنحن ، الرجال الأذكياء حقاً ورجال العمل ، نتميّز عن الثرثارين من جنس صديقيك . . . وذلك بالضبط لأننا لا نُقاد بل نقود الآخرين ، كما قُدتُكِ — هيه ! هيه ! هيه ! نعم . (بهدوء) . تتباهَيْن بأنك حرة من الآراء المسبقة ، لكن هناك أشياء لا تريدين إعلانها ، فاعلمي إذنْ . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . . .

فينيروفسكي : تفضّلي .

كاترين ماتفيفنا : لا ، لا شيء ؟ الحقُ معاك . دعْني فقط انتهي من تفكيري (تجلس في الوضع نفسه) . اتركْني ، من فضلك . سأجيبك فيما بعد .

فينيروفسكي ، لليوبوف ايفانوفنا : انتهيتُ الآن من هذه الآنسة . أما أنتِ ، فكفّي ، يا حلوتي . أنا متساهل مع الأشخاص الضعاف جسدياً وفكرياً ، وذلك شيء طبيعي ، لأنني أرى تماماً كل الطموحات الصغيرة . لكن عندما أُعارَضُ ، فمن عادتي تحطيم العائق . تريدين أن تُظهري أناك تماكين الإرادة . وهذا محمودٌ وإنساني ، لكن يجب أن يكون لك هدفٌ معقول .

ليوبوف ايفانوفنا ، بحرارة : أنتَ تعتقد دائماً أنك وحدك العاقل . كاتنكا ، أنتِ لا تحبّينني ، لكن قولي له الحقيقةَ ، من فضلكِ ، دافعي عني . أشعر بالضيق ، وبالضجر الشديد . لماذا تركتُهم جميعاً . لو كانت دنياشا على الأقل معي ! كاتنكا ما بكِ ؟

(كاترين ماتفيفنا تصمتّ ثم تجيب) .

كاترين ماتفيفنا : ليوبوف ، دعيني انتهي من تفكيري . إن تحوّلا كبيراً يجري فيَّ . أحسّ بذلك .

ليوبوف ايفانوفنا : أنتَ إذن ، الكسي بافلوفتش ، قلْ لي ، أكنتَ تعذّب المرأةَ التي تحبّها ؟ إنه يلوم أهلي ولا يُحبني .

تفيردنسكوي : أنا في الحب ، ليوبوف ايفانوفنا ، حديثُ التبصّر ، بل إني كافرٌ بالحب .

ليوبوف ايفانوفنا : لا همّ لكَ إلا المزْح ، لكني لا أمزح الآن . يا إلهي ، لماذا سافرتُ .

فينيروفسكي : لماذا هذه الجمل الرنانة الكريهة ! كفى ! أقول لكِ للمرة الأخيرة : حاولي أن تتبيّني رغباتكِ ، ثم عبّري لي عنها . الأمر بسيط . إني أعبّر عن نفسي بشكل واضح ومعقول . حاولي أن تفعلي مثلي .

ليوبوف ايفانوفنا : كاتنكا تتكلّم دائماً مثلك . أيمكن أن نقول كلّ ما نحسُّ به ؟ وكيف يمكنني أن أقوله ؟ . . . أنت لا تتكلّم إلا عن نفسك . وأنت لا تحبّني ، ولم تفكّرْ فيّ لحظةً واحدة . . . فلماذا تضايقني فوق ذلك ؟ إني أضجر . أنتَ لا تمدح إلا نفسك . بابا كان سيفهمني .

فينيروفسكي : قلتُ لك : إنني فوق هذه الجمل ولن تستطيعي لإكراهي على وَضْع قدمي في حَلْبةِ هذه النقاشات التافهة التي تدعينني اليها

المشهد — ٦ —

فينيروفسكي ، لكبير القرية : قلْ للفلاحين أن يربطوا خيولهم ، سأدفع ضعف الأجرة .

كاترين ماتفيفنا ، تنهض وتنفض شعرها : اسمحْ لي ، لقد أفقدتَ تفكيري . سأقول لكم في الوقت الحاضر كلّ شيء . . . إن علاقاتنا . . .

(تُسْمَع في الكواليس ضوضاء وصرخات) .

المشهد — ٧ —

« الأشخاص أنفسهم وايفان ميخايلوفتش » .

ايفان ميخايلوفتش : آ ... آ ... آ ! يا أصدقائي ! ها هم هنا الطيّبون. أمسكتُ بهم جميعاً معاً ! . . .

تفيردنسكوي : أستطيع القول : إننا سنرى فضيحة صغيرةً حلوةً .

فينيروفسكي ، يجلس على كرسي قبالة ايفان ميخايلوفتش ويحدّق فيه بوقاحة : هذا رجلٌ يحتاج إلى نَـقْـفَـة .

كاترين ماتفيفنا : إيفان ميخايلوفتش ، أنا سعيدةٌ برؤيتك .

ليوبوف ايفانوفنا ، مسارعةً إلى أبيها : بابا ، يا عزيزي . . .

بيتروشا : ينهض من مكانه وينظر إلى إيفان ميخايلوفتش نظرةً متبلّدةً : اليوم . . . إغ ! ... كل الناس فهموا ... إغ ...

ايفان ميخايلوفتش ، مُبْعداً ليوبا بيده : حسناً ! (مخاطباً تفيردنسكوي) تفضل بالاقتراب مني ، يا سيد .

تفيردنسكوي : أتظن أنني مجبورٌ على أن أدفن نفسي إلى الأبد في الريف ، من أجل عشرين روبلاً ؟ يبدو لي أنك تستطيع أن تفهم بنفسك . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقي العزيز . . . هذه النغمةُ انتهتْ . هل تعاقدْتَ على تعليم ابنيَ ؟

تفيردنسكوي : لعلك ترجو أن تُخيفني . . . لكن (يخاف) . إن الاقتصاصَ بالالكم ليس حديثاً . . .

ايفان ميخايلوفتش : « حديثاً » ؟ سَمِعْنا بذلك ! والذي تعهَّد بالعمل ، لم يترُكْ عملَه بدون سبب معقول فحسبِ ، لكنه يُضلّ الصبيّ عن الطريق الصحيح ، ويَخْرج به من بيت أبيه ؛ كيف تسمّي مثل هذا الرجل ، يا سيدي ؟ ألا تعلم ؟ يا خدّاع ! . . .

تفيردنيسكوي : أنتَ وقحٌ ، ولا أسمحُ لإنسان . . .

ايفان ميخايلوفتش : كيف ؟ (يهجم عليه) . لو كنتَ أكبر سناً ... لكنك جديرٌ بالرثاء ، يا سيدي . . .

تفيردنسكوي : بدون شك ، هذا ما ننتظرْ من قليلي الأدب ومن المضطَهِدين الصفّاعين .

(يتراجع)

ايفان ميخايلوفتش ، يهجم عليه بعزمٍ أكبر : اخرجْ من هنا !

تفيردنسكوي : يلتقط صرّته ويصرخ من الباب وهو ذاهب : رجعي حقير !

المشهد — ٨ —

ايفان ميخايلوفتش : دون أن يعير تفيردنسكوي انتباهاً : والآن ، جاءَ دورُك ، يا صقري الصغير . (يدنو من بيتروشا) . ساشكا ! (يدخل الخادم) . هل جئت بالعصي ؟

الخادم : تحت المقعد ، يا سيدي .

بيتروشا : الفردية ، الفر — د . . .

ايفان ميخايلوفتش ، للخادم : خذْ هذا السفيه ، وصبَّ على رأسه سطلَ ماء ، أتسمعني ؟ وضَعْه في المركبة . . .

بيتروشا : الطغيان ... و ... من السلطة الأبوية . . . الفرد . . .

ايفان ميخايلوفتش ، يستدير فجأة ويصفعه على قذاله : لا تجادلْ ! امشِ ! ساشكا ، خُذْهُ إلى البئر ، وغطّسه بالماء ، واحرسْه في المركبة . . .

بيتروشا : ولمَ ذاك ؟ ... أستطيع بنفسي أن . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ ...

الخادم : حسناً ! تفضّلْ واخرجْ ، بطرس ايفانوفتش . . .

(يخرج الخادم وبيتروشا) .

ايفان ميخايلوفتش ، لكاترين ماتفيفنا : والآن ، أنتِ أيتها الطامحةُ إلى التحررّ بشعرك المقصوص ، اسمحي لي أن أسألكِ : أتظنّين أن منزل عملك منزلٌ عمومي ، أو ماذا ؟ قولي ؟ .

كاترين ماتفيفنا : ايفان ميخايلوفتش ! أُشاطركَ آراءك . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقتي ، دعي هذه الألفاظَ كلّها ! كنتُ أحمق ، لكنني لن أكون كذلك بعد الآن . أكنت ألتذُّ بادارة أملاكك ؟ هل سرقتُكِ ؟ أكان هناك مَنْ يدفع لي نفقة إقامتك ؟ دَخْلُكِ من أملاكك مئة روبل في السنة ، وأنتِ . . . مِنَ المُقرف أن أتكلّم عن ذلك !

كاترين ماتفيفنا : أنتَ محقٌّ تماماً ، ايفان ميخايلوفتش ، وطريقتي في التصرف غير منطقيّة .

ايفان ميخايلوفتش : وماذا لقينا هناك ، أنا وماري فاسيليفنا ، غيرَ الاحتقار ؟ وبماذا توّجتِ ذلك كله ؟ بالهرب وبهذه الرسالة ! (يخرج الرسالة) لستُ قريبتك ولا عمّك ، تفضّلي واذهبي حيث شئتِ ، مع ذلك المدّعي .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، يا صديقي العزيز ، نعم ، أنت تُعرب عن الحقيقة ، نعم ، يا صديقي العزيز ، أدركتُ خطيئتي . وأطلبُ نسيان ذلك . أنا امرأة شقيّة ، يا صديقي العزيز .

ايفان ميخايلوفتش : حسبُكِ خداعاً لي ، يا صديقتي . (يبصر فينيروفسكي) . كفى !

فينيروفسكي : لمَ تنظر إليّ هكذا ؟ لا أكتمك ، ايفان ميخايلوفتش ، أني تعبتُ من صراخك . عُدْ إلى بيتكَ ، فهذا أفضل حقاً . فليس ها هنا أولاد حتى تخيفهم .

ايفان ميخايلوفتش : سأعود ، يا سيدي ، متى قلتُ كلّ ما في نفسي .

فينيروفسكي : وماذا في نفسك ، أيمكن أن نعرفه ؟ سأُصغي إليك مع أني أعلم سلفاً ما سترْويه لي . فلن يكون فيه شيءٌ جديد أو لطيف . . .

ايفان ميخايلوفتش : عندي الكثير ممّا سأقوله لك ، لكني لن أفعل ذلك بحضور امرأتك وابنتي . أتجد من الشريف أن تحرّض البنتَ على أبيها ، وأنا ، مع تخلّفي ، أعلم أن المرأة التي

لا تقدّر أباها ، ليس لها شأن كبيرٌ ، والتي لا تقدّر زوجَها شأنُها أقلّ .

فينيروفسكي ، لكاترين ماتفيفنا : أظن أن هذا السيد ينوي أن يعلّمني الشرف ؛ هذا مضحك جداً .

كاترين ماتفيفنا : هو على حق ، هو على حق تماماً ، لا تكلّمني ...
(تدير ظهرها) .

فينيروفسكي ، هازاً كتفيه : يا كبير القرية ، قدّم الجيادَ — وأنتَ ، إيفان ميخايلوفتش ، أنا أجدك مضحكاً ، مضحكاً لا غير .

ايفان ميخايلوفتش ، يصرخ : قاتُ لكَ : كفى . لندعْ هذا . اذهب بسلام . (لليوبا) . جئتاك بدنياشا . خذيها معاك . كنا حزينين ، حزينين جداً . . . لكنْ ، ليكنْ الله معاك . — عندما يصيرُ لك أولادٌ ستفْهمين .
(يقبّلها ، ليوبا تبكي) .

فينيروفسكي : اللعبةُ مُثِّلَتْ تمثيلاً لا بأس به . لكنها بدأتْ تزعجني . لنذهب ، ليونبكا لننتقل الى الغرفة الثانية .

ليوبوف ايفانوفنا : بابا ، لا أريد ، لن أسافر ابقَ معي . (لفينيروفسكي) دَعْني .

ايفان ميخايلوفتش : جُنِنْتِ ! آناتول دميتريفتش ، يا صديقي العزيز ، اعذرْني إذا اهتجْتُ . سنَبْقى . . .

فينيروفسكي ، يمسك امرأته بيدها : ليوبا ، لنذهبْ ، يستطيع أبوك أن يستمرّ في ريائه مع كاترين ماتفيفنا .

ليوبوف ايفانوفنا : بابا ، ماذا فعلتُ ؟ أنا أخافه ، وأكرهُه .

(تخبّىء وجهها في صَدْر أبيها) .

ايفان ميخايلوفتش : أنت تَهْذين . ماذا تقولين ، ليوبا ؟ ليس هذا مسموحاً .

كاترين ماتفيفنا ، نتقدم بمهابة ، وتردّ شعرها : الآن سأقول كل ما أفكّر فيه . اصغ ِ إليّ ، ايفان ميخايلوفتش ، اصغ ِ إليّ فينيروفسكي . يجب أن يَهْجر الحبُّ هذا الرجلَ ، هذا الشخص الشقي الحقير .

فينيروفسكي ، يجهد في أن يطغى بصوته على صوتها : أنت ِ امرأة حمقاء ، جاهلة ، عاهرة . اخرسي ، وإلاّ . . .

كاترين ماتفيفنا : لا ، فينيروفسكي ، لن تخيفني . أنا طبيعة حرّةٌ ، لن تغطّي صوتي ؛ أنوي أن أقول أنا نفسي كلّ شيء . أنتَ جبانٌ ، والذي يقول لكَ هذا كائنٌ حرٌ وليس امرأةً . . . سيُضيع ليوبا إن بقيت معه ، كما أضاعني قبل أن ينبذني . قبل نصف ساعة كنتُ أعدُّ نفسي متفوّقة على الناس جميعاً ، أما الآن فأنا أشقى المخلوقات واجدرها بالرثاء ، وأتعسها .

فنيروفسكي : أنت ِ غبيّةٌ ، لا أكثر . وفعلُك ِ لا يدهشني على الإطلاق ، لأنه ناجمٌ عن حمقك . ليوبوف ايفانوفنا ، أعْرِضُ عليك ِ أن تسافري معي .

ليوبوف ايفانوفنا : لن أسافر إطلاقاً . أُفضّل أن أموت !

ايفان ميخايلوفتش : يابنتي المسكينة ! ماذا فعلتُ بك ِ لنذهبْ . وداعاً ، يا سيّدي . الآن ، أستطيع أن أقول لك كل شيء .

أنت أردتَ أن تتزوج من أجل الثروة . وأنت لم تحبَّ ليوبوشكا ولم تحترمْها . كان يلزمكَ شيءٌ واحدٌ : المال ، وقد أخذْتَه . وبما أنك أخذته هو والكائن الذي لا تساوي خنصره ، فقد جلبْتَ له الشقاء وبصقت في وجوه الذين لم يريدوا لكَ إلا الخيرَ . الكبرياء والتفاهة الغلطةُ كلها غلطتي .

فينروفسكي ، يجهد في أن يغطّي صوته ، ويمسك بيدها : كنت أشفق على ليوبا التي كانت تذبل في أسرتك الحقيرة ؛ وقد أنْقذتُها من فسادكم . ليوبا ، لنذهبْ ! لن أسمح لأحد بالسخرية مني . سأسخر منكم . لنذهبْ !

(يسحبها بيدها) .

ليوبوف ايفانوفنا : أوْجَعْتَني ، لن أذهب ، لا أريد أن أكون زوجتك ، أنا أكرهك . . .

كاترين ماتفيفنا : وهذا من أتباع المذهب الجديد ! مذهبنا !

ايفان ميخايلوفتش ، هاجماً على فينيروفسكي : اتركْها ! أتسمعني ؟ (يقف أمام ابنته ، فينيروفسكي يريد أن يتقدّم) . خطوة واحدة ، وأحطّمك قطعاً .

فينيروفسكي : هيه ! هيه ! هيه ! (يتراجع ، ويخرج ، على عجلٍ ، مسدّساً من جيبه) . أنظن أني لم أتوقّع هذا ؟ توقّعْتُ كل شيء ، باعتبار أني أتعامل مع ناسٍ مثلك . توقعتُ الشتيمة والمشاجرة . نحن رجال عملٍ ، ولا نسمح لأحد

بالضحاك على حسابنا ، هيه ! هيه ! حاولْ أن تُسيءَ إليّ .

(يصوّب مسدّسه) .

ايفان ميخايلوفتش : يقف أمامه ويهزّ رأسه : أحمق ! على مَنْ تريد إطلاق النار ؟ حسناً ، افعلْ ! ليوبا ، لنذهبْ .

(يخرجان) .

فينيروفسكي ، وحده : هل استطعتَ إذنْ أن تهزأ مني ؟ — هيه ! هيه ! لا ، لسنا مثل تفيردنسكوي ... حتى يمكن أن نُطْرَدَ ... بيكايشوف على حق ، فمع هؤلاء الأوغادِ يجبُ أن يتخلّى المرء عن مبادئه كلها . كنتُ شريفاً أكثر من اللازم معهم ، لكن المرأة ، من ناحية أخرى ، حرّةٌ ، ولستُ أجدُ لي حقاً على امرأتي . آه ! نعم ، هناك أيضاً صكّ هِبَةِ أملاكها(١) .) يدخل الخادمُ ليبحثَ عن الشال) . تعال إلى هنا ، خذْ هذه الورقة إلى سيّدك . لن يفهموا أنني أعيد إليهم هذا الصك . هيه ! هيه ! لأن العلاقات في هذا الوسط المتجمّد ما تزال متوحّشة وفظّةً . أو لعلنا نحن قد أسْرفْنا في سَبْقِنا لهم ، وقد وُلِدْنا قَبْل الأوان بمئة سنة ، بحيث لن يكون بيننا وبينهم أيّ اتّفاق ممكن .

ستار

---

(١) صك هبة أملاكها : تناقض واضح . فالصفحات السابقة أوهمت أن الصك لم يعط .

المقطم الأول

مسرحية في ستة فصول

١٨٨٦

الشخصيات

فلاح

شيطان

إبليس

شيطان الموظفين

شيطان الفلاحين

العامل

الجار

المرأة

فتاة

شيخ

الأم

الشيخ الأول

الشيخ الثاني

الشيخ الثالث

الشيخ الرابع

الفصل الأول

حقـــل

المشهد — ١ —

فلاح

الفلاح يَحرُثُ الأرضَ وينظر إلى السماء : ها قد انتصف النهار ! وحان وقتُ حَلّ الدابّة . هُو ، دي ! شُدّي ! أعْياك التعبُ ، يا مسكينة ! اصبري ، سنستريح ؛ شدّي هذه المرة لآخرِ ثلْمٍ ، وبعد ذلك سنأكل ... ما أحسنَ هذه الفكرة وهي أنني حماتُ معي لقمةَ خبز . أنا في غنىً عن العودة إلى البيت . سآكل هنا ، قرب البئر ، وسأَغْفو قليلا ، بينما ترعى الفرسُ شيئاً من العشب ، ثم أستأنفُ بعد ذلك عملي ، بعون الله . الحمد لله ، سأنهي عملي في ساعة مبكّرة .

المشهد — ٢ —

« الفلاح . يظهر شيطانٌ في دغل » .

الشيطان : ما أطْيَبَه ! إنه يَبْتهل إلى الله دائماً . انتظرْ قليلاً ، ستَبْتهل إلى الشيطان أيضاً . . . لِنأخذْ أولاً لقمةَ خبزه .

سيشرع في البحث عنها ، ثم ينال منه الجوعُ ، وسينتهي به الأمرُ إلى التجديف وإلى الابتهال إلى الشيطان !

(يختطف قطعة الخبز ويحملها إلى خلف الدغل حيث يجلس ليتابع من هناك ما سيجري) .

الفلاح ، يحل أحزمة عُدّة الفرس : باركني ، يا ربي ! (يُخرج فرسه من العريش ويُطلقه ويتّجه إلى الموضع الذي وضعَ فيه قفطانه) : آه ! أنا شديدُ الجوع . أعطتني زوجتي قطعةً كبيرة من الخبز ، سآكلها كلها . (يقترب من قفطانه (. ليست هنا ! لا بدّ أنني خبّأتُها تحت القفطان . (يرفع قفطانه) . وهي ليست هنا أيضاً ! هذا غير مقبول .

(يأخذ قفطانه وينفضه) .

الشيطان ، المختبىء خلف الدغل : ابحثْ ، ابحث ! انظرْ ، هذه هي ! . . .

(يجلس على قطعة الخبز) .

الفلاح ، يرفع حطبة وينفض قفطانه مرةً أخرى : هذا غير مقبول . لم يمرّ أحدٌ من هنا واختفتْ خبزتي ! لو أن الطيور أكلتْها لبقيَ منها فتاتٌ ! . . . لم أر أحداً . لا بدّ أن يكون قد أخذها أحدٌ مع ذلك .

الشيطان ، ينهض : صه ! ها هو يوشك أن يبتهل إلي .

الفلاح : باه ! ليكنْ . . . لن أموت من الجوع . أُخذتْ خُبزتي ؛ حسناً ! ليأكلْها مَنْ أخذها على صحتي ، وجزاه الله خيراً ! . . .

الشيطان ، يبصق من الغيظ : آه ! يا له من فلاحٍ لعين ! لم يَبْقَ عليه إلا أن يُجدِّف ، ويقول « جزاه الله خيراً » . من المؤكد أنني لا يمكن أن أجني فائدة منه .

(يضطجع الفلاح على الأرض ويرسم علامة الصليب وينام) .

الشيطان ، خارجاً من خلف الدغل : لم أصلْ إلى نتيجة . ورئيسي إبليس يقول لي دائماً : « أنتَ لا ترسلُ لي إلى جهنم إلا القليل جداً من الفلاحين . في كل يوم يصلني جمهورٌ من التجار ، والإقطاعيين ، والناس من كل الأوضاع ، لكنك لا تكاد ترسلُ أحداً من الفلاحين » . وهو طيبّ القلب أيضاً ! لا أستطيع أن أدنو منهم ، فكيف أصطفي منهم أصدقاء ؟ هل يمكن أن نبتكر شيئاً أدهى مكراً من سرقة قطعة الخبز الوحيدة لهذا الفلاح ؟ ومع ذلك فلم يَفُهْ بأي تجديف . لا أدري ما الذي سأبتكره بعد ذلك . سأذهب لأقدّم تقريري لرئيسي .

(يختفي في باطن الأرض) .

ستار

الفصل الثاني

جهنم

« يشغل ابليس المقعد الرئيسي . عند قائمة العرش يجلس الشيطان الكاتب وأمامه طاولة عليها محبرة . على الجانبين ، يقف الحرسُ . إلى اليمين خمسة شياطين في مظاهر شتى إلى اليسار قرب الباب : الحاجب . يقف أمام الرئيس شيطان أنيق الملبس » .

الشيطان الأنيق الملبس : في السنوات الثلاث المنصرمة ، تسلّمت ما مجموعُه ٢٢٠٠٠٥ مئتان وعشرون ألفاً وخمسة أشخاص . وكلهم تحت سلطتي حالياً .

ابليس : حسنٌ جداً . شكراً . مُرَّ .

(يمرّ الشيطان المتميزّ اللباس إلى اليمين) .

ابليس ، للكاتب : تعبتُ . هل بقي كثيرٌ من القضايا ؟ ممّنْ وصلَتْنا التقارير وممّنْ لم تصلْ ؟

الكاتب ، يعدّ على أصابعه ، مشيراً إلى الشياطين الواقفين إلى اليمين والذين ينحنون كل بدوره ، عند تفقّد أسمائهم : حَضَرَ شيطان الإقطاعيين وأعلن عن قَبْض ٨٣٦ شخصاً : وشيطان القضاة ٣٤٢٣ ؛ وشيطان النساء الذي وصل تقريرهُ

في هذه اللحظة وهو يُعلن عن ١٨٦٣١٥ امرأة متزوجة و ١٧٤٣٨ بنتاً . بقي علينا أن نستمع إلى اثنين فقط : شيطان الموظفين وشيطان الفلاحين . . المجموع في هذه الساعة هو : ٢١٧٦٥٥ .

ابليس : يمكننا إذن أن ننتهي من ذلك بسرعة . (للحاجب) أَدْخِلْه . (يدخل شيطان الموظفين وينحني أمام ابليس) . حسناً . ما عندك . كيف تسيرُ أمورُك ؟

شيطان الموظفين : أموري ! (يفرك يديه وهو يضحك) . بيضاء كالسناج ! غنيمةٌ لا أذكر أنني وقعْتُ على مثلها منذ خَلْقِ العالم .

ابليس : آه ! آه ! قَبَضْتَ على كثيرين ؟

شيطان الموظفين : اوه ! ليس الرقم هو المهم ، وهو غير مرتفع ، ١٣٥٠ لا أكثر ؛ لكنْ ما أَجْسرهم ! أشخاص قادرون على أن يقوموا بمهمة الشياطين . وهم أمهرُ منّا في تعذيب الناس . وقد علّمتُهم طرائق عملية جديدة .

ابليس : طرائق عملية جديدة ؟

شيطان الموظفين : ها هي : كان كتّابُ المحاكم قديماً يتّفقون مع القضاة من أجل سفالاتهم . وقد استدرجتُهم ليستقلوا بأنفسهم ، فلا يدافعون إلا عمّنْ يدفع مالاً أكثر . لو رأيتَ حميّتَهم ! إنهم يعثرون على الوسيلة التي يكونون

نافعين بها حيث يمكن الاستغناء عنهم بسهولة . أكرّر لك : إنهم يعذّبون البشر أفضل من الشياطين .

ابليس : سأرى ذلك . (يمر شيطان الموظفين إلى اليمين ، إبليس الحاجب) . أَدْخل الأخير .

(يدخل شيطانُ الفلاحين وهو يحمل قطعةً من رغيف ، ينحني أمام ابليس حتى الأرض) .

شيطان الفلاحين: ليس بوسعي أن أحيا هكذا . اعهدْ إليّ بمهمّات أخرى .

ابليس : أيّة مهمات ؟ بمَ تَهْذي ؟ اقتربْ وتكلّمْ بوضوح أكبر . . . هات تقريرك . هل كسبتَ كثيراً من الأصدقاء بين الفلاحين ؟

شيطان الفلاحين ، باكياً : ولا واحد .

ابليس : ماذا ؟ ... ولا واحد ! تقول ، ولا واحد ؟ ... وماذا فعلتَ طوال هذا الوقت ؟ تسكّعْتَ . . .

شيطان الفلاحين ، متباكياً : لا ،لم أتسكّعْ ... وتعذّبتُ عذابَ الكلاب. كل ذلك بلا جدوى . . . لم أستطع أن أحصل على شيء ... انظرْ ، لقد اختطفتُ من أحد الفلاحين ، وبحضورِه ، خبزتَه الوحيدة . أَتظنُّ أنه أقسم بالشياطين ؟ أبداً،لا ... تمنّى العافيةَ لمن يأكل غداءه .

ابليس : ماذا ؟ ماذا تحكي ؟ . . . امتخطْ وتكلّم بوضوح . فلسنا نفهم شيئاً من غمغمتكَ .

شيطان الفلاحين: القضيّةُ أن أحد الفلاحين كان يحرث . وكنتُ أعلمُ أنه يملك قطعةً من الخبز غداءً له ، لا غير . فسرقتُ له قطعته . كان ينبغي بعد ذلك أن يستشيط غضباً . آه ! كل ما قاله هو : « لقد أخذوا مني خُبزتي ؛ جزَى الله خيراً مَنْ سيأكلها . وها أنا أحمل إليك الخبزةَ . خذها ، ها هي ذي .

ابليس : طيّب ! والآخرون ؟

شيطان الفلاحين: الآخرون ! لكنهم يتشابهون جميعاً . لا سبيل إلى قبْض واحد منهم .

ابليس : كيف تجرؤ أن تمثّل أمامي ويداك فارغتان ! وفوق ذلك ، جئت تنشر الوباء بهذه الفضلة القذرة من الطعام . ما هذا ! أتراكَ تهزأ بي ؟ أتظنّ أننا سنطعمك في جهنم من أجل سواد عينيك ؟ الآخرون يُتْعِبون أنفسهم ويكدّون . انظرْ إليهم (يشير إلى الشياطين) . هذا كسبَ لي ١٠٠٠٠ نفس ؛ وهذا ٢٠ ٠٠٠ ألف ؛ الآخر ٢٠٠ ٠٠٠ ؛ أما أنت ، فانك تأتيني وأنت غير مسرور من نفسك ، وتُخرجُ لي فضلةً من الخبز قديمةً ، وترْوي لي هذا الهُراء ! لستَ سوى ثرثار وكسول . الفلاحون يَسْخرون منك ويُفْلتون من يديك . انتظرْ قليلا ، يا صديقي ، سأفتّح لك عينيك .

شيطان الفلاحين: لا تَقْتلْني ! دعني اتكلّم . . . الآخرون جميعاً

مهمتُهم سهلةً مع الإقطاعيين والتجار والنساء . لاشيء أيسر : فمن أجل قبّعة من الفرو ، ومن أجل قطعة أرض ينخدع الإقطاعي ويَنْقاد إلى آخر الدنيا ؛ والشيء نفسه مع التاجر : أَرِهِ المال فتستطيع أن تقوده وكأنما تقوده برسن دون أن تخشى إفلاته . أما النساءُ فكل واحد يعلم أننا نَفْعل بهن ما نشاء بالكلام الحلو وبالحليّ . لكنّ الأمرَ مع الفلاحين مختلفٌ . إنهم يَشْتغلون من الصبح إلى المساء ، بل وفي طائفةٍ من الليل ، ولا يَفُوتُهم أبداً أن يبتهلوا إلى الله ، قبل الشروع بأي عمل . فما الوسيلةُ إلى التأثير في هؤلاء الناس . يا أبي ، أَعْفني من الاهتمام بالفلاحين . إني أخضّ دمي في ذلك ، وأَجرُّ على نفسي غضبَك .

ابليس : أنت تكذب ، أيها الخامل ! دَعْ الآخرين وشأْنَهم . وإذا اقتنصوا التجارَ والإقطاعيين والنساء فلأنّهم يَعْرفون كيف يداهنونهم ، لأنهم يبتكرون أبداً حيلاً جديدة . انظرْ ، إن المكلّف بالموظفين ابتكر منذ قليل وسيلةً جديدة كلّ الجدّة — ابتكرْ أنت شيئاً جديداً بدلاً من أن تَفْخر بخبزةٍ تافهة سرقْتها . — يا لهذه المأثرة ! — انصبْ حبائلك حول الفلاحين فسينتهون بالوقوع في الفخ . أنتَ تقضي وقتكَ كله في الثرثرة ، وبالطبع ، إنهم يستفيدون من ذلك ، ويستردّون قواهم . لم يعودوا يأسفون على خبزهم ! وإذا أخذوا يتبنّون هذه العادات ويحوّلون إليها نساءَهم ، فسنَفْقدهم تماماً . هيّا ، ابتكرْ لي شيئاً ! اجتهدْ في ذلك ما وسعكَ الاجتهادُ !

شيطان الفلاحين: لاهمّ لي سوى الابتكار . ضَعْ أحداً مكاني . لم أعدْ قادراً على شيء . . .

ابليس بغضب : لم تعدْ قادراً ! لعلي أنا الذي سيشتغل مكانك ؟

شيطان الفلاحين: لا أستطيع .

ابليس : لا تستطيع ! انتظرْ ! هيه ! خذوا السياط واجلدوه .

(يمسك الحراس بالشيطان ويجلدونه) .

شيطان الفلاحين: آي ! آي آي !

ابليس : هل وجدتَ ؟

شيطان الفلاحين: آي ! آي ! لا أستطيع أن أجد شيئاً ؟

ابليس : اجلدوا ! اجلدوا ! هل وجدت ؟

شيطان الفلاحين: وجدتُ ، وجدتُ !

ابليس : آه ! قلْ لنا ماذا وجدتَ !

شيطان الفلاحين: وجدت وسيلةً أكيدةً لقَبْضهم كلهم . أعطني فقط الأذنَ بأن أشتغل بالأجرة عاملاً عند أحد الفلاحين . لا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك الآن .

ابليس : ليكنْ . لكن لا تَنْسَ أنك إذا لم تَسْتحقّ قوتك في ظرف ثلاث سنوات فسأسلخ لكَ جلدَكَ .

شيطان الفلاحين: في ظرف ثلاث سنوات ، سيكونون كلهم لي .

ستار

الفصل الثالث

« مخزن للغلال ؛ طنابر مملوءة قمحا » .

المشهد – ١ –

« الشيطان في ثياب عامل . يملأ مكيالاً من القمح المأخوذ من طنبر . ثم يحمله الفلاحُ إلى مخزن الغلال » .

العامل : هذا سابعُ مكيال .

الفلاح : وكم « تشيتفيرتا(١) » ؟

العامل : بعد أن نظر إلى العلامات الموضوعة على الباب : ستة وعشرون . ومع هذا المكيال تصبح سبعة وعشرين .

الفلاح : لن يدخل القمحُ كله . امتلأَ المخزنُ .

العامل : سوِّه جيداً .

الفلاح : هذا ما سأفعله .

(يأخذ المكيال) .

---

(١) تشيتفيرت : مكيال روس يساوي ٢,٠٩٧ هيكتولتر .

المشهد – ٢ –

« العامل ؛ يبقى وحده ، ويرفع قبعته فنشاهد قَرنَيْه »

« سينشغلُ فترةً ، وسأستغلّ غيابه لأقوّم ، قرنيَّ قليلاً . (يقوم قرنيه) . وأنزع حذائي ، وذلك مالا أستطيع أن أفعله أمامه . (يسحب جزمته فترى قدماه الظلفاوان . يجلس على العتبة) . هذه السنة الثالثة الجارية ؛ وعمّا قريب لا بدّ له من أن يردّ لي حساباتي . . . هو لا يجد مكاناً يخزن فيه قمحه ؛ بقي أن نعلّمه آخر حيلة في طريقتي . وبعد ذلك ، قد يأتي الرئيسُ ذاتُه ، وسأُريه شيئاً ما . سيدفع ثَمنها غالياً ، قصة الخبزة .

المشهد – ٣

« يدخل الجار ؛ يخفي العامل قرنيه » .

الجار : طاب يومُك .

العامل : طاب يومك .

الجار : أين معلّمُكَ ؟

العامل : إنه يكدّس القمح في مخزن الغلال . لم نتمكّنْ من إدخاله كله .

الجار : حظّه عظيم ! ألاّ يجد مكانا لمحصوله ! هذا هو الصيف الثاني الذي يُدهشنا فيه بمحصوله من القمح . كأن هناك مَنْ يُعْلمه مسبقاً . في السنة الماضية ، في الجفاف ، بذر

قَمْحه في الأراضي المنخفضة . لم يحصد أحدٌ في البلد شيئاً ، وملأتم أنتم مخزناً للغلال بكامله . في هذه السنة ، سنة المطر : زرع هو ، الشاطر ، في الأراضي العالية ، وبينما تعفّن الزرعُ وهو قائم في كل مكان آخر ، كان القمح وفيراً عندكم أنتم . وأيّ قمحٍ !

(ينثر بيده حفنةً من القمح ويمضمض بعض الحبّات) .

المشهد — ٤ —

« الشخصان ثم الفلاح » .

الفلاح ، الذي يخرج من المخزن وهو يحمل مكيالاً فارغاً : طاب يومُك ، يا رفيق .

الجار : طاب يومُك . كنتُ أسألُ عاملَك كيف استطعتم أن تتنبّؤا بالمكان الملائم للبذار . كل الناس يَغْبطونك . جاءك الكثيرُ من القمح ، الكثير من القمح حتى إنك لن تستطيع أن تأكله كلّه في عشر سنوات .

الفلاح : كل ذلك ، فهو بفضل بوتاب . (يشير إلى عامله) . إنه ذو ذكاء وحذاقة . في السنة الماضية ، أرساتُه يحرثُ ، وحده . وعندما رأيت أنه حرَث لي السبخةَ شتمتُه ، صدّقْني . إيه ! ... ومع ذلك أقنعني بأن نزرع هناك ، فزرعْنا . وكانت النتيجة جيدة . وهذه المرة أيضاً كان تنبّؤه صحيحاً : بذر في الأراضي العالية .

الجار : كأنه يعرف الطقسَ في السنة كلها . . . آه ! ما أعظم محصولَكَ . (صمت) . قلْ لي ، جئتُ أطلب منك نصف مكيال . فقد نفدتْ مؤنتي . وسأردّها لك في السنة القادمة .

الفلاح : خذْ ، خذْ .

العامل : بصوت خافت للفلاح ، وهو يدفعه . لا تُعْطِهِ .

الفلاح للجار : لا حاجةَ إلى الشروط . تقدّمْ ، خذْ .

الجار : شكراً ، سأذهب لآتي بكيسٍ .

العامل ، بينه وبين نفسه : لم يفقد بعد هَوَسَه القديم بالعطاء ؛ وهو لا يتبع نصائحي كله . باه ! بعد بعض الوقت سيفقد هذه العادة .

(يخرج الجار) .

المشهد — ٥ —

« الفلاح والعامل »

الفلاح ، جالساً على العتبة : ولمَ لا نُعطي مثل هذا الرجل الطيب ؟

العامل : باه ! إن كان يسرّك . . . فأَعطِ ؛ لكنك لن تستردّ حبةً ممّا تُعطي . العطاء سهل ، مثل التدحرج عن الجبل ؛ لكن الاسترجاع صعبٌ ، مثل صعود الجبل ، كما يقول الكبار .

الفلاح : دَعْني وشأني . فعندي الكثير من القمح . . .

العامل : طيب ! . . . وبعد ذلك ؟ . . .

الفلاح : عندي ما يكفيني ، لا للموسم القادم فقط ، بل لسنتين بدءاً من اليوم . عندي مالا أعرف كيف أفعلُ به .

العامل : لا تعرف كيف تفعل به ؟ لكنني سأصنع لك بهذا القمح ، بقمحك ، شيئاً ثميناً ، يُفرحكَ طوال حياتك .

الفلاح : وما ذاك ؟

العامل : شرابٌ ، شرابٌ يمنحك القوةَ إذا أحسْستَ بالضعف ، ويمنحك الشهيّةَ إذا أحسْستَ بالشبع ، ويمنحك النوم إذا عجزتَ عن النوم ، ويمنحك الإقدام إذا أحسست بانحطاط قواك . هذا هو الشراب الذي سأصنعه لكَ .

الفلاح : أنتَ تُضحكني .

العامل : على راحتك . لم تصدّقْني عندما نصحتُك في المرة الأولى أن تزرع في السبخة ، وفي المرة الثانية أن تزرع في الأراضي العالية . وقد رأيتَ النتائج مع ذلك . وسترى أيضاً بالنسبة إلى هذا الشراب .

الفلاح : لكن بماذا ستصنعُه ؟

العامل : بهذا القمح نفسه .

الفلاح : ولن يكون ذلك إثماً .

العامل : يا لها من فكرة ! أي إثم تريد أن يكون ذلك ؟ كل شيء مُعطىً للإنسانَ كي يتمتّع به .

الفلاح : قلْ لي ، يا بوتاب ، من أين جاءك هذا العامُ الوفير ؟
إني ألاحظُك ، أنت مُكبّ دائماً على عملك بعيدٌ عن الادعاء ؛ فمنذ سنتين وأنت تعمل عندي لم يتسنَّ لك نزع حذائك ، مع ذلك فأنت تعلم كل شيء . أين تعلّمْتَ ذلك كله .

العامل : اوه ! تجوّلتُ قليلاً في أماكن شتّى .

الفلاح : أنت تقول إذن : إن هذا الشراب سيمنحني القوةَ ؟

العامل : سترى . ليس له إلا النتائج الحسنة .

الفلاح : وكيف ستَصْنعُه ؟

العامل : ليس ذلك صعباً . يكفي أن تعلم . أنا بحاجة فقط إلى قدرٍ ووعاءين من المعدن المسبوك .

الفلاح : أهو لذيذُ الطعم .

العامل : حلوٌ كالعسل . إذا ما ذُقْتَه لم تستطعْ الاستغناءَ عنه .

الفلاح : هيّا ! سأسأل الجار إن كان قدرُه ما يزال عنده . يجب أن نرى ذلك .

ستار

الفصل الرابع

« في مخزن الحبوب . في الوسط ، وُضع على النلر قلوٌ أُغلقَ إغلاقاً محكَماً ، يتصل بوعاء من المعدن المسبوك ، له حنفيّة » .

المشهد — ١ —

الفلاح والعامل

العامل ، يمسك بكأس تحت الحنفيّة ويذوقُ ماء الحياة : يا معلّم ، صار الشراب جاهزاً .

الفلاح ، الذي قرفص وأخذ ينظر : شيءٌ عجيب ! عجينتُكَ تُعطي ماءً . لعلك تصبّ الماءَ أولاً ؟

العامل : ليس هذا ماءً . هذا هو الشراب نفسه .

الفلاح : كيف ؟ هو صافٍ ؟ ظننتُ أنْ سيكون له لونُ الجعة ؛ كأنه ماءٌ عذب .

العامل : لكنْ ، أيّة رائحة هذه !

الفلاح ، ينشق الرائحة : هيه ! أيّ عطرٍ هذا ! دعني أذقْهُ .

(يهم بأخذ الكأس من بين يدي العامل) .

العامل : انتظرْ ، ستَقْلبُ كل شيء . (يُغْلق الحنفيّة ، يشرب ، ويصفق بلسانه) . هي ناجحة . خذْ ، اشرب !

الفلاح ، يشرب جرعةً أولاً ، ثم جرعةً أخرى ؛ وعندما يشرب كل ما في الكأس يناوله إياها : هات أيضاً ، كان ما فيه أقلّ بكثير من أن أحسّ مذاقه .

العامل، ضاحكاً: استستغثته ، أليس كذلك ؟

(يملأ له كأسه) .

الفلاح ، يشرب : ليس رديئاً ، هذا الابتكار . . . يجب أن أنادي المرأةَ . . . يا مارفا ! صبّ لي قليلاً ! صار جاهزاً للشرب . . . تعالي ، تعالي .

المشهد — ٢ —

« الفلاح والعامل والمرأةُ وفتاة » .

المرأة : ماذا ؟ مالكَ تصرخُ هكذا ؟

الفلاح : ذوقي شيئاً ممّا صنعناه هنا . (يمدّ إليها الكأس) شمّي لي هذا .

المرأة ، بعد أن شمّت : عجباً ، عجباً !

الفلاح : اشربي .

المرأة : ألا يُؤذيني هذا ؟

الفلاح : اشربي ، يا حمقاء .

المرأة ، تشرب : هيه ! نعم ؛ هو لذيذ .

الفلاح : وقد نملَ قليلاً . صدّقتُكِ أنه لذيذ . لكن انتظري ، سترين . بوتاب يقول إنه يزيل تعبَ الجسد . وبه يُصبح الشبابُ شيوخاً . . . لا ! بمَ أهذي ؟ قصدتُ أن الشيوخ يصبحون شباباً . . . لم أشرب سوى كأسين صغيرين ، أليس صحيحاً ؟ . . . وأحسّ بقواي تعود إليّ . (يبدو عليه الافتخار) . أرأيتِ ؟ ما رأيك ! سنشربُ منه ، نحن الاثنين ، وسنعود شابين . هيه ! هيه ! مارفا . . .

(يقبّلها)

المرأة : ما هذا ، ما الذي دهاك ؟ أدار لكَ الشرابُ رأسَكَ .

الفلاح : صدقتِ ... آه ! كنتِ تتّهميننا ، أنا وبوتاب ، بتضييع القمح . انظري ماذا فعلنا منه . لن تَشْكي الآن ؟ أهو لذيذ ؟

المرأة : لا شك أنه لذيذ ، بما أنه يُعيد الشباب إلى الشيوخ ... ها أنتَ الآن فتى شديد القوى . . . والواقع أنني أحسّ بالمرح يَمْلؤني . آه ! لنُغَنّ ! آه ! آه ! آه ! آه ! ...

(تُغنّي) .

الفلاح : انظري ، انظري ! كلّنا شباب ، كلنا فرحون .

المرأة : يجب أن تُحْضرَ أمّك . فهي دائماً متذمّرةٌ ، متكدّرةُ المزاج ؛ سنغيرّها لك . سيردّ لها الشرابُ شبابها وستغدو ، من غير شك ، أكثر لطفاً .

الفلاح : وقد سكر تماماً : صحيح ، نادي أمي . (للفتاة) . هيه ! هيه ! ماشكا ! اركضي وأحضري الجدّة . . . أحضري العجوز أيضاً . . . أنا آمره بالنزول عن الموقد ، وماذا يصنع عليه ؟ سنردّه شاباً . هيا . اسرعي . كان ينبغي أن تكوني هناك . اجري !

(تخرج الفتاةَ راكضةً) .

الفلاح للمرأة : ما رأيكِ ؟ أتريدين كأساً أخرى ؟ (العامل يملأ الكأس ويعطيها الفلاح) . مفعول الشراب يبدأ أولاً من فوق . . . من اللسان الذي يعود إليه شبابُه ، ثم يأتي إلى اليدين . . . وها هو يصل إلى القدمين الآن . . . نعم ، أحسّ أن قدميّ تَستعيدان نشاطهما . انظري ، هاهما تنطلقان .

(يرقص) .

المرأة ، بعد أن شربتْ بدورها : اعزفْ لنا ، يا معلم بوتاب ، لحناً راقصاً .

(يتناول بوتاب البلاليكا ويعزف . يرقص الفلاحُ وامرأتُه . يعزف العامل في مقدّمة المسرح ، ويضحك وهو يغمز بعينيه ، وفجأةً يقف عن العزف ، لكن الفلاح وامرأته يتابعان رقصهما) .

العامل : ستدفع لي غالياً ثَمنَ كسرة الخبز !! إن هذين المستهترَيْن في الحالة التي أريدها لهما . وسيظلان في قبضتي زمناً طويلاً . فَلْيأْتِ ، ذلك الرئيس العظيم !

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل الأم العجوز ، غضّة الإهاب ، وشيخ محاتّل بالبياض » .

الشيخ : ما هذا ! جُننْتم ؟ الناس يشتغلون وأنتم ترقصون!

المرأة ، تغني وهي ترقص وتصفّق بيديها : أُوهي ! أوهي ! أوهي ! أذْنبتُ أمام الله . الله وحده بلا ذنب !

الأم : كيف ، يا حقيرة ! ... ترقصين بدلاً من أن تخمّري الفرن !

الفلاح : كفّي عن ذلك ، يا أمي ، ليتك تعرفين ما الذي أصابنا ! ... عندنا الوسيلة التي تردّ الشيوخ شباباً . خذي ، اشربي هذا فقط .

(يمدّ إليها كأساً من ماء الحياة) .

الأم : في البئر ماءٌ كثير . (تشمّ ماء الحياة) .

ماذا دسَسْتمْ فيه ؟ . . . ما هذه الرائحة الغريبة !

الفلاح والمرأة : لكنْ اشربي .

الأم ، تذوق ماء الحياة : عجباً ، عجباً ! . . . لن يقتلني هذا ؟ . بالتأكيد ؟

المرأة : على العكس ، سيُنْعشك هذا . ستعودين شابةً . . . تماماً .

الأم : حقاً ؟ (تشرب) . آه ! . . . هذا لذيذ . . . ألذّ من الجعة.
وأنتَ ، أيها الأب العزيز ، ذُقْهُ أنتَ أيضاً .

(الشيخ الجالس يهزّ رأسه) .

العامل : دعوه . . . لكن صبّوا للجدّة كأساً أخرى .
(يقدّم لها كأساً) .

الأم : أخاف أن يؤذيني هذا . . . أي ! لأنه يُحرق ! . . ومع
ذلك فهو يَستهويني . . .

المرأة : اشربي ... ستحسّين كيف يسيل في عروقكِ .

الأم : آه ! لنشربْ !

(تشرب)

المرأة : ماذا ! هل نزل إلى قدميكِ ؟

الأم : ها هو ينزل . . . نعم ،ها هو . . . آه ! كم أحسّ أنني
خفيفة . . . في الواقع ! لنشربْ قطرةً أيضاً . (تشرب) .
آه ! الحقّ أنني غدوتُ شابةً . . .

الفلاح : هذا ما قلته لكِ .

الأم : ليت رَجُلي الذي غابَ يراني مرةً أخرى كما كنتُ في
أيام شبابي !

(العامل يعزف ، الفلاح وزوجته يعزفان) .

الأم ، تتقدّم إلى وسط المسرح : ما هذه الطريقة في الرقص ؟

سأريكم أنا ، كيف ترقصون . (ترقص) . ثم هكذا . . .
وهكذا . . . أرأيتم ؟

(يذهب الشيخ ويفتح حنفية القدر . يسيلُ ماءُ الحياة على الأرض .
وما أن يرى الفلاحُ ذلك حتى يهجم على الشيخ) .

الفلاح : ماذا تفعلُ أيها اللص ! تُضيع كلّ هذه الثروة ! أيها
الغبي العجوز . (يدفعه ويضع قدحاً تحت الحنفية) . لقد
سال كلُّ شيءٍ .

الشيخ : هذه ثروة ؟ هذا هو الهلاكُ الأبدي . إن الله أطلع قمحَكَ
ليكون غذاءً لكَ ولقريبك . وأنت صنعتَ منه شراباً
شيطانياً ، لن يكون ذلك لخيرِكَ . دَعْ هذا كله ...
أتظنّ ذلك شراباً ؟ لا . بل هو نار ، نارٌ تحرقك.

(يأخذ شعلة من النار التي تحت القدر ويقرّبها من ماء الحياة السائل
فيشتعل . يرتعب الجميع) .

ستار

الفصل الخامس

داخل كوخ خشبي

المشهد — ١ —

العامل وحده: يُرى قرناه وقدماه الظَّلْفاوان : القمحُ كثيرٌ هذا العام أيضاً ؛ ولا نعرف أين نضعه ، وفلاحُنا قد استساغ الكحول. قطَّرْنا مرةً أخرى ، لكن ماءَ الحياة ، هذه المرة ، في البرميل ، في مأمنٍ من الفضوليين . لم نعد نقدّم الشرابَ مجّاناً . ولسنا نقدّمه إلا للذين ننتظرُ خدماتٍ منهم . وهكذا فقد دعا ، بناءً على نصيحتي ، جميع مستغلّي البلدة القدماء إلى الشراب عنده اليوم ، لكي يَقْسموا الملكية بينه وبين جَدّه ، بحيث لا يَبْقى لجدّه شيءٌ . واليوم أيضاً هو نهاية التزامي . لقد انقضتْ السنواتُ الثلاث . وكل شيء جاهز . يستطيع الرئيس أن يأتي.ليس عندي ما أَخْجلُ به أمامه .

المشهد — ٢ —

ابليس والعامل

ابليس : خارجاً من الأرض : حسناً ! ها قد انتهى الموعدُ المضروب. هل استحققت لقمة الخبز ؟وعدتكَ أني سآتي بنفسي . هل صنعتَ شيئاً من فلاّحكَ ؟

العامل : بالطبع . وستحكمُ أنتَ بنفسك . سوف يجتمعون هنا بعد قليل ، فاختبىءْ في الفرن ولاحظْ ما سيجري . سوف تُسَرّ .

ابليس ، ينسلّ الى الفرن : سوفَ نرى .

المشهد — ٣ —

« العامل وإبليس . الفلاح يصحبه أربعةُ شيوخ . تتبعه امرأتُه . يجلس الرجال حول المائدة . ترتّب المرأةُ الصحون وتضع على المائدة طبقاً من العصير المجمد وصحناً من الفطائر المحشوّة . يتبادل الشيوخ والعامل التحيّات » .

الشيخ الأول : حسناً ! وهل صنعْتَ هذه السنة أيضاً شيئاً من شرابكَ ؟

العامل : أجل ، كمية لا بأس بها . ولمَ ندَعَ القمح يضيع ؟

الشيخ الثاني : وهل نجح الشراب ؟

العامل : هو خيرٌ من السنة الفائتة .

الشيخ الثاني : وأين تعلّمتَ ؟ . . .

العامل : بالسفر نتعلّم كثيراً من الأشياء .

الشيخ الثالث : صحيح ، صحيح ! أوه ! إنه يعرف كثيراً من الأشياء .

الفلاح : اشربوا .

(تحمل المرأةُ ابريقاً وتصبّ لهم ليشربوا) .

المرأة : على صحتكم ، يا ضيوفنا !

الشيخ الأول ، يشرب : على صحتكِ ! . . . آه ! هذا لذيذ . . .
هو يُليِّن المفاصل . . . شراب رائع ! . . .

(يردد الشيوخ بالتتالي الجواب نفسه . يُظهر إبليس رأسه من فتحة الفرن . يأتي العامل ليقف بجنبه) .

العامل لإبليس : تأمّلْ الآن ما سيَجري . عرقلةٌ ماهرةٌ لتلك المرأة الساذجة ستقَلبُ لها كأسها . . . لم يكن يأسف قديماً على خبزه ، فاسمَعْ ما سيقوله الآن من أجل كأسٍ من ماء الحياة .

الفلاح : يا امرأة ، هلا صببتِ . . . جولةً أخرى . . . للأشيبين هناك ، ثم للعم ميشيل .

(تدور المرأةُ حول الطاولة وهي تصبّ الشراب لكل واحد منهم . يُعرقلها العامل فتتعثرّ فتكبّ شرابَ كأسِها) .

المرأة : آه ! يا إلهي ! لقد أَوْقَعْتُ . . . لكن لماذا تنحشرُ أنتَ يا شيطان بين ساقيّ .

الفلاح ، هائجاً على امرأته : آه ! يا امرأة الشيطان الملعونة ! إنها خرقاء كالكَتْعاء وتسمح لنفسها باتّهام الآخرين . أيّ كنزٍ أَرَقْتِهِ على الأرض !

المرأة : لم أفعل ذلك عمداً .

الفلاح : أرجو ذلك . . . خذي حذرَكِ ، ان نهضتُ فسأُعاملك

كيف تكبين ماءَ حياتي . (للعامل) وأنتَ . أيضاً ، لم تدورُ حولَ المائدة ، أغربْ عني إلى الشيطان ! .

(تصب المرأة الشرابَ للشَرْب مرةً أخرى) .

العامل مقترباً من الفرن ، لإبليس : أرأيتَ ؟ قديماً كان فقدانُ كسرة الخبز الوحيدة لا يدعوه إلى الأسف ، أما اليوم فمن أجل كأس حقيرةٍ من ماء الحياة يوشك أن يضرب امرأته ويرسل بي إلى الشيطان . . . إليكَ .

ابليس : جيّد . اهنئكَ .

العامل : واصبرْ قليلاً . فسوف تُهنّئني ، عند نهاية الزجاجة . ها هُمْ قد أخذوا يقولون الكلامَ اللطيف والمعسول ؛ وعمّا قريبٍ يأتي التّماقُ ، وسوف تستمع حينئذ إلى حيل هذه الثعالب القديمة .

الفلاح : حسناً ! أيها الشيوخ المحترمون ، ما الذي قرّرتموه بشأني ؟ إن جدّي الذي كان يعيش معنا والذي كنتُ أطعمُه ، قد عاد إلى بيت عمّي . وهو يطالب حصةً من أرضي ليُعطيها ابنَه . . . أعلم أنكم ستسوّون هذه القضية أحسن تسوية . فأنتم رجالٌ أذكياء . آه ! يا إلهي ! لولاكم ، لما كنا سوى جسم بلا رأس . . . لا شبيه لكم في القرية . إيفان فيدوتتش ، مثلاً رجلٌ من الطراز الأول . . . كل الناس يقولون ذلك . . . أما أنا ، فاذا شئتَ أن أكلّمك بصراحة ، يا ايفان فيدوتتش ، قلتُ لك : إنني أضمر

لك من الحب أكثر مما أضمر لأبي ولأمي . . . الأمر هكذا .
وميشيل ستيبانيتش . . . هذا الصديق القديم . . .

الشيخ الأول ، للفلاح : إن الحديث مع الرجل الطيب فَرَحٌ للقلب ، وغنىً للعقل . . . وأنتَ ، أنت رجلٌ طيب . والحق أنك أنت أيضاً لا مثيلَ لكَ .

الشيخ الثاني : أنتَ ذكي ومحبوب . ولذلك أحبّكَ .

الفلاح الثالث : إني أحمل لك الكثير من الحب حتى إن الكلمات تُعْوِزني للتعبير عنه . قبل قليل كنتُ أقول ذلك لامرأتي .

الشيخ الرابع : أنتَ صديقٌ ، صديق حقيقي !

العامل لابليس ، وهو يدفعه : أرأيتَ كيف يكذبون . إذا أداروا ظهورهم أَوْسَعَ كل واحدٍ جارة شتماً . . . لكنْ انظر إليهم ، إنهم كالثعالب التي تُحرّك أذنابها . هذا من تأثير شرابي .

ابليس : شرابٌ جيد ! شرابٌ ممتاز ! . . . إذا بدؤوا يكذبون على هذا النحو فهم جميعاً لنا . مرحى ، أهنّئك .

العامل : انتظرْ حتى يشربوا زجاجةً ثانية ، وسترى ما الذي يكون .

المرأة ، تحمل ماء الحياة أيضاً : هيّا ، اشربوا . على صحّتكم !

الشيخ الأول : لعلّنا قد أكثرْنا ؟ . . . على صحتك . (يشرب) من الممتع أن يشرب المرء مع شَرْبٍ كرام .

الشيخ الثاني : لا سبيل إلى الرفض . . . على صحتكما : السيد والسيدة !

الشيخ الثالث : يا أصدقائي ، أشربُ على صحتكم . . .

الشيخ الرابع : آه ! ما ألذّ هذه الجعة ! . . . هيّا ، سنسوّي الأمرَ كله . . . أريد ذلك .

الشيخ الأول : تريدُ ذلك ! لستَ أنتَ الذي يأمر هنا ، وإنما نحن القدماء .

الشيخ الرابع : آه ! نعم . أنتم أقْدمُ ، لكنكم أغبى أيضاً . أغربْ من حيثُ أتيتُ .

الشيخ الثاني : مهلاً ، لمَ تَشْتُمُ الناس ، أنتَ ، يا غبي !

الشيخ الثالث : الحقُ معه ، على كل حال . لم يُقِمْ صاحبُ البيت مأدبته من أجل سواد عيوننا . يريد أن نسوّي له شؤونه الصغيرة . . . يمكننا أن نفعل ذلك له . . . لكنْ . . . يجب أن يَسْقينا . . . أليس صحيحاً ؟ . . . ثم . . . يجب أن تُبدي احترامَكَ ، كما تعلم ؟ . . . لأننا نحن . . . الناسُ يَسْتخفّون بنا . . . أما أنت . . . فأنت بحاجة إلينا ثم إنك أنت . . . لستَ سوى خنزير . . .

الفلاح : احلك عن نفسك . مالك تصرخ ؟ رأينا الكثير من أمثالك ، كما تعلم . امضوا ، أنتم جميعاً لا تصلحون إلا للأكل .

الشيخ الأول : كفاك خبثاً ، أنت ، أتسمع ؟ . . . وإلا فرَكْتُ أنفك .

الفلاح : سنرى .

الشيخ الثاني : آه ! يا له من شخص قبيح ! . . انظرْ إليه ، ليأخذْه الشيطان ! . . . لا أريد حتى أن أتحدّث مع هذا الحيوان ! سأنصرف .

الفلاح ، ممسكاً به : مهلاً ، ابقَ .

الشيخ الثاني : دَعني ، وإلا ضربتُك .

الفلاح : لا ، لن أُرخيكَ . ليس لك الحق . . .

الشيخ الثاني : خُذْ ، هذا هو حقّي .

(يضربه)

الفلاح : ساعدوني ، أنتم الآخرون !

(تدافع عام . الفلاح والشيوخ الأربعة يتكلّمون معاً) .

العامل ، **لإبليس** : حسناً ! هل رأيتَ ؟ أليس دمُ الذئب هو الذي أخذ يجري في عروقهم ؟ نعم ، ها هم جميعاً شريرون كالذئاب .

ابليس : شرابٌ ممتاز ! تهانيّ .

العامل : انتظرْ ، انتظرْ ، حتى يُفْرغوا زجاجتهم الثالثة . سترى مفاجآت أيضاً .

ستار

الفصل السادس

« شارع في القرية . إلى اليمين ، عجائز جالسات على جسور خشبية مع جَدّ الفلاح . في وسط المسرح نساء وبنات وفتيان يعقدون حلقات ويرقصون ويغنّون . ومن كوخٍ خشبي تصل أصوات وضوضاء صادرة عن سُكارى ؛ يخرج أحدُهم وهو يصرخ بصوتٍ مخمور . الفلاحُ الذي يخرج وراءه يجرّه إلى الكوخ الخشبي .

المشهد — ١ —

الشيخ ، وحده : آه ! أيّةُ خطيئة هذه ، أية خطيئة هذه ! ماذا يلزمهم غير هذا ! أيّ شيء أمتع ، في يوم العيد ، من أن نستريح من عمل الحقول ، وأن نتزيّن بعض الشيء ، وأن نُعد أدواتنا ، ثم أن نجلس في البيت لنتذوّق مع الأسرة فرحة الاستراحة ، أو أن نذهب للنزهة في الشارع ونتحدث عن مصالح القرية ؟ هل يمكن أن يتمنى الإنسان خيراً من ذلك ؟ إذا كنّا شباباً فهناك حلقات الرقص . وها هم يلهون ما أجمل لهوهم ! يسرّ الناظرين ! هذا شريف ، وبهيج . (صرخات في الكوخ الخشبي) . أمّا ذاك فما هو ؟ عذابٌ للناس وفرح للشياطين . وكل هذا يأتي من الوفرة والغنى .

المشهد — ٢ —

« فتياتٌ وفتيان وشيوخ وفلاحون . رجال سكارى يخرجون وهم يترنّحون من الكوخ الخشبي . أشاعوا الفوضى ، وهم يصرخون في الحلقات وأخذوا يضايقون الفتيات » .

البنات : دعني ، عمّ كارب ، ماذا دهاك ؟

الفتيان : هيّا إلى الشارع الثاني . لا نستطيع أن نلهو هنا بسلام .

(يخرجون جميعاً ما عدا السُكارى والجدّ) .

يدنو الفلاح من الجد ويهزأ بحركاته منه : أتراك تقدّمْتَ ؟ . . .
سيَقْضي لي الشيوخُ القدماء بالحصة كاملةً . وهذا لكَ
خُذْ ... عضٍّ . أعْطوني كل شيء ، ولم يتركوا لك شيئاً .
وهم هنا ليُخبروك بذلك .

الشيخ الأول : لأن فكري ، أنا ، مُرْهفٌ ، يميّز الحقيقة .

الشيخ الثاني : سأرفعُ صوتي فوق جميع الأصوات . أنا لا أخاف .

الشيخ الثالث : هذا الصديق ! هذا الصديق الوفيّ ! هذا الصديق الممتاز !

الشيخ الرابع : إلى الأمام أيها الكوخ ، إلى الأمام أيها الفرن ! لن يبقى للسيدة بيت ! عاش الفرح !

(يخرج الشيوخ متشابكين اثنين اثنين وهم يتعرّجون . يتّجه الفلاح إلى كوخه لكنه يتعثّر ويقع ويرسل همهمةً تذكّر بهمهمة الخنزير . ينهض الجدُّ والفلاحون ويتفرقون) .

المشهد — ٣ —

« إبليس والعامل يخرجان من الكوخ » .

العامل : هل رأيتَ ؟ دمُ الخنزير هو الذي يظهر الآن . لقد تحوّلوا من حيوانات متوحشّة إلى خنازير . (يشير إلى الفلاح) .

انظرْ إلى هذا الخنزير القذر الذي يتمرغ في الطين وهو يهمهم .

ابليس : هيّا ، ستكون لك حصتُكَ أثناء التوزيع . كانوا ثعالب في أول الأمر ، ثم ذئاباً ، ثم خنازير ، كانوا حقاً ذلك كلّه . رائعٌ شرابُك ! علّمْني كيف حضّرْتَهُ . لا بدّ أنك أدخلت فيه دم الثعلب والذئب والخنزير ؟

العامل : إطلاقاً ، لا ، وإنما وفّرتُ لهذا الرجل محاصيل تتجاوز حاجاته . فعندما كان يَجنْي كمية من الحبوب لا تكاد تكفيه ، كان يستطيع أن يستغني عن الخبز دون أن يتذمّر . أما عندما جاءه من القمح ما لا يعلمُ كيف يفعل به ، تحرّكَ فيه دمُ الثعلب والذئب والخنزير . هذا الدم كان فيه منذ الأزل ، لكن لم يملك إمكانَ الظهور

ابليس : يا صديقي الجسور ، لقد استحققْتَ خبزتاك . ما عليهم الآن إلا أن يشربوا ماء الحياة وسيظلّون في قبضتنا إلى الأبد .

ستار

الاقطاعي الذي افتقر

مشاهد درامية في عشر لوحات

١٨٨٦



الاقطاعي الذي افتقر
مشاهد درامية في عشر لوحات
اللوحة الأولى

« أمام باب الكنيسة ، يقف الخدم ومعهم محفّة ، ينتظرون الإقطاعي وزوجته » .

المشهد — ١ —

« الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث » .

الخادم الأول : وها هو يذهبُ إلى الكنيسة !

الخادم الثاني : تأخّر حتى ذهب ! فمنذ عشرين سنة وأنا في خدمته ، لم يذهبْ إلى الكنيسة مرة واحدة !

الخادم الثالث : لا شك أنه يريد أن يتوب .

الخادم الأول : بدأ بالتوبة متأخّراً ! لقد أجرى كثيراً من الدموع ! وأمَرَ بقتل بطرس ، واختطف زوجةَ سيميون ، ابنة تيودور ، وعذّب المساكين ؛ الناسُ يلعنونه ، لكنه لا يكفّ عن قَصْفه وترفه . وهو يشرب من المساء إلى الصباح ، ويمارس الصيد ، ويتنزّه ؛ ولا يتصدّق على الإطلاق ؛ بل إنه لا يدعُ المتسوّلين يدخلون فِناءه . فكيف يَغْفرُ اللهُ مثلَ هذه الذنوب !

الخادم الثاني : أتظنّ حقاً أنه سيتوب ؟ ليس ذلك من شيمته . سوف يدنّس ، بالأحرى ، شيئاً في الكنيسة ! (في هذه اللحظة ،

تخدّد البروقُ السماءَ ويَقْصف الرعدُ) . يا إلهي ! ماذا جرى ! السماءُ صافيةٌ وها هو الرعد يَقْصف !

المشهد — ٢ —

« يخرج من الكنيسة خادمٌ يركض » .

الخادم : شيءٌ مروّع ، ما فعله سيدُنا !

(الناس جميعاً يحيطون بالخادم ليسألوه) .

الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث جميعهم في آن واحد : ما الخبر ؟ ماذا جرى ؟ احكِ ، بسرعةٍ !

الخادم : اسمعوا ! لقد دخل القدّاسَ قبل قليل ، وقبّعتهُ على رأسه وجلس في الوسط ونظر حوله . في هذه اللحظة ، صعد الشماسُ ليقرأ الأناجيل . وقرأ هذا المقطع الذي جاءَ فيه : « ويلٌ للذين يعيشون في الرخاء(١) . . . » فصرخ سيّدُنا : « أنت تكذب ، أعطني هذا الكتابَ المقدّس » . وأمسكَ بالكتاب المقدّس وأخذ يمزّقه بحنق . لكنه ما كاد يبدأ بتمزيق الكتاب المقدّس حتى بدأ الرعد يَقْصف ، حينذاك هربتُ .

المشهد — ٣ —

« يخرج الإقطاعيُّ وخلفه الجمهور » .

الإقطاعي: انظروا إلى هذا ! لقد تجرّأ على القول : إن المتسولين

(١) استشهاد غير دقيق من انجيل لوقا : ٦ – ٢٣ .

سيصبحون سعداء وأن الأغنياء سيفتقرون ! وكيف ذاك ، من فضلكم ؟ كيف أفتقرُ وعندي مئةُ قريةٍ ، والمقاطعةُ كلها خاضعةٌ لسلطتي ؟ كل ما هو مكتوبٌ في الكتاب المقدّس كذبٌ ! ولا يجب أنْ نَنْشر الكذب ؛ ولذلك انتزعتُ هذه الصفحات ووضعتُها في جيبي ؛وهكذا لن يقرأها أحدٌ . وأنا الذي عاش حياتَه غنياً ، سأقضي بقية حياتي في الرخاء . (مخاطباً الشعبَ) . حسناً ! وأنتم ممّ تخافون ؟ ألم يخبروكم أنكم يجب أن تستعدوا لحَوْش الطرائد . امضوا !أسرعوا . سأعود إلى بيتي لأتناول فطوري ، ثم نسير بعد ذلك مباشرة في طريقنا .

(يصعد إلى المحفّة ؛ يسير به الخدم . الرعدُ يَقْصف .بروقٌ خاطفةٌ للأبصار) .

الإقطاعي: تستطيع أن ترعد . لستُ أخشاك . ارعدْ ! ارعد !

اللوحة الثانية

« الغابة . يُسمع صوتُ البوق . يصل صيادان » .

المشهد — ١ —

الصياد الأول : هل رأيتَ سيّدنا .

الصياد الثاني : إيه!لا . لم أره منذ أن ترجّل عن جواده .

الصياد الأول : كيف حدَثَ أنه ترك جواده ينصرفُ ؟ عندما كان على جواده ، جَرحَ أيّلاً ، فابتهج بذلك ، وترجّل وأراد أن يُجهز عليه ، لكن الأيل ، نهض على قوائمه

وأفلت منه . فانطلق هو راكضاً في إثره . وهرب جواده . أردْنا أن نلحق به فلم نُفْلح .

(يصل صياد ثالث) .

الصياد الثالث : ماذا تفعلان هنا ؟

الصياد الأول والثاني معاً : ننتظر سيّدنا .

الصياد الثالث : أنتما كمنْ يجري وراء نهار أمس . لقد عاد سيّدُنا .

الصياد الأول : كيف ! وجواده !

الصياد الثالث : أمسكوا به واقتادوه إليه . وامتطاه عند النهر .

الصياد الثاني : أنتَ تكذب .

الصياد الثالث : بالتأكيد لا ! رأيته بعينيّ . أنا أمسكتُ له بالركاب .

(يذهبون)

المشهد — ٢ —

« يُرى أيّلٌ يقف جامداً وراء مُنسغة . يبرز الإقطاعي حاسر الرأس وفي قبضته خنجرٌ » .

الإقطاعي: أين هو ؟ أين تراه يكون ؟ يا للشيطان ! لكني واثقٌ أنه كان هنا قبل قليل . يا لهم من أوباش سيئين ! أين كانت عيونهم ؟ تركوا جوادي يهرب . انتظروا قليلا . عندما أعود فسآمر بَجلْدكم جميعاً ! (يشبُ الأيّل فجأة ، فيجري الإقطاعي في اثره ، يُريان من بعيد وهما يظهران ويختفيان) .

(تُمثّل ، إن أمكن ، ساقيةٌ يَعْبرها الأيل سباحةً ، والإقطاعي يسبح في اثره ، بعد أن ترك ثيابه الفخمةَ على الشاطىء) .

اللوحة الثالثة

« الغابة . . إن كان هناك ساقية ، فيجب أن يكون الإقطاعي عارياً ، وإن لم يكنْ ، فيجب أن يكون مجرّداً من بعض ثيابه ، بلا بندقية ، ولا بوق صيد ، ولا سكين ، حاسر الرأس » .

المشهد — ١ —

الإقطاعي: يا شياطين ! يا أنذال ! يا أوباش ! انتظروا قليلاً حتى آمر بجلدكم جميعاً . ولا يُجيبون . انتظروا قليلاً ! ستَدفعون ثَمنَ ذلك كله ! يا بذرة الشيطان ! لقد ذهبوا وتركوني وحدي ! آه ! لا تفقدون شيئاً في انتظاري ! (يصيغ السمع) . لا أحد ؟ (يتمدّد على الأرض) . آه ! ذلك الأيّل الملعون ! إلى هنا أوصلني ! سأُضطَر إلى قضاء الليل في الغابات ! أيها الأوباشُ القذرون ! أيها الأوغاد ! ستعرفونني عندما آمر بَجَلْدكم ! الواحد تلو الآخر ، أولاً . لن ينجو أحدٌ ! لن يُفلت أحدٌ وسوف يتكرر الجلدُ ! لن ينسوا هذا العقاب في زمنٍ قريب ! يا ناس ! يا ناس ! . . . لا أحد ! . . . أهناك أحد ؟ (ينهض) لا بدّ مع ذلك من أن أجد أحداً أو أن أبلغ النهر ،الذئاب قد تهاجمني هنا . يا ناس ! (يصرخ أبداً) . جفّتْ حنجرتي تماماً ! إذا استطعتم أن تحصوا الجلدات فاحصوها ! سأحطم لكم ظهوركم ! يا ناس ! يا ناس ! .

المشهد – ٢ –

« يصل قُطّاع الطرق وهم مدجّجون بالسلاح ؛ يحملون أكياساً ثقيلةً . يُشعلون ناراً عظيمة » .

قاطع الطريق الأول: قديماً ، كان المارةُ يخافون قُطّاع الطرق ، أما الآن فنحن الذين نخافُهم ؛ هذا بسبب ذلك الصيد اللعين للإقطاعي في هذه الغابة ؛ لا سبيل إلى الهدوء !

القاطع الثاني : أجل . يا لسوء الحظ ! انقضى النهارُ ولم نجدْ شيئاً ، لم ننهبْ شيئاً ! يجب علينا ، في نهار غد ، أن ننهض مبكّرين لنطوف الدروب بحثاً عن الغنيمة !

القاطع الأول : ليس هناك من داعٍ شديد للشكوى من حياتنا ، لكنْ ، ها نحن غيرُ مرتاحين ! .

القاطع الثالث : ولمَ تخافان الإقطاعي إلى هذا الحدّ ؟

القاطع الأول : ألا تَفْهمُ إذن ، يا غبيّ ، أن الإقطاعي ليس فلاحاً بسيطاً ؛ فهو عندما يخرج ، يصطحب مئةَ فارسٍ بسلاحهم ، ومئتي راجلٍ ، ولو خالفَنا الحظّ وعرَفَنا فلن يبقى منا أثرٌ .

القاطع الثاني : صحيح ! ولذلك هربْنا !

القاطع الأول : ماذا تظن ؟ يجب ألا تُنازع غنياً ولا تُصارع قوياً . كل هذه الغابات التي تراها فهي له ، والقريةُ كلها له أيضاً ؛ هذا رجلٌ له شأنهُ ؛ إنه قوي جداً . وهو قاطع طريق مثلنا ، لكنه من طبقة أخرى لا أكثر . (في هذه

اللحظة تُسمع نداءات الإقطاعي ولعناتُه خلف المسرح) .
آه ! آه ! يا شياطين ! يا لصوص ! انتظروا قليلاً ،
سأُريكم مقدرتي ! يا ناس ! يا ناس !

المشهد — ٣ —

(قُطّاع الطرق يصيخون السمع) .

القاطع الثالث ، واثباً على رجليه : عجباً ! كأنه غول ؛ هذا غولٌ يعوي !

القاطع الثاني : انتظرْ لأذهب وأرى إن كان غولاً حقاً . (يرى الإقطاعي وهو يقترب) . أرأيتَ أنه ليس غولاً ! هذا شخص ضل طريقه ؛ وهو سكران ، من دون شك . يا صاحب الأناقة ! أنتَ !

الإقطاعي : ، يُشاهدُ قطّاعَ الطرق : آه ! ها أنتم هنا ! تركتم بنذالة سيدّكم ومعلّمكم وجلستم هنا مرتاحين حول النار ! لكن انتظروا قليلاً !

(ينقضّ عليهم ويأخذ بضربهم . ينهض قاطعُ الطريق الأول ويمسك به من قبة ثوبه .

القاطع الأول : آه ! قلْ لي ، أنت باسل ! أنتَ محارب !

(يمسكُ بيديه ويهزّه) .

الإقطاعي : يا قذر ! يا حقير ! يا وغد ! يا شيطان ! انتظرْ قليلاً .

(يتخبّط)

القاطع الأول : هل رأيتم قط أرعن مثل هذا الأرعن ! اعطني حَبْلاً !

الإقطاعي: ماذا ! تجرؤون على ذلك ! ألم تعرفوا سيدَكم ؟ سأسلخ لكم جلودكم ، حتى إذا سلختها شنقتكمْ من أرجلكم !

القاطع الثاني ، رابطاً يديه خلف ظهره : يا سيدور ! أحْكِمْ الربطَ بينما أجْلدُه أنا حتى أعلّمه كيف يَنْسى سيادتَه .

(يأخذ سوطاً) .

القاطع الثالث : ليس له هيئةُ الإقطاعي على الإطلاق .

الإقطاعي: نعم سآمر بشنقكم .

القاطع الأول ، يجلده بالسوط أول جلدة : هذه واحدة ! هيّا ، يا سيّد ! اقفزْ قليلا ، اقفزْ !

الإقطاعي: آي ! آي ! لا لا !

القاطع الأول : وهذه الثانية ! أهكذا كنتَ تَنْوي أن تجلدنا أم بطريقة أخرى ؟

الإقطاعي: آي ! آي ! اوه ! أقسم لكم أنني سيّدكم !

القاطع الأول : طبعاً ، صدّقْتُكَ ! ومن أجل ذلك بالضبط أجْلدك ! (ينفجر ضاحكاً) .

(ينفجر ضاحكاً) . انتظرْ ، يا صديقي ! سوف أعرّيك ، وهكذا سنرى بصورة أفضل أنك السيّد الإقطاعي .

(يَضْربه قطّاعُ الطرق ، ويربطونه بشجرة ، ويُعرّونه) .

اللوحة الرابعة

المشهد — ١ —

« الصباح ، في الغابة ؛ الإقطاعي مربوطٌ بجذع شجرة وهو عارٍ تقريباً . إنه يئنّ » .

الإقطاعي: اوه ! آي ، آي ! ماتتْ ذراعاي ! اوه ! كم سيكون انتقامي عظيماً ! سآمُرُ أن يُجلَدوا بقضبان الحديد ! اوه ! ظهري مُوجَعٌ ، محطّمٌ ! ستدفعون ثمن ذلك كله! انتظروا حتى ألقاكم ، أيها المستهترون ! ستدفعون ثمن ذلك ، أيها اللؤماء ! آوه ! آه ! جفّتْ حنجرتي تماماً ! سأسجنكم في الزنزانات ! في السجون الخفيّة ! سأدعُكم تهلكون فيها من الجوع .

المشهد — ٢ —

« يصل راعيان : شابٌ وعجوز » .

الراعي الثاني ، العجوز: آه ! يا للمصيبة ! يا للمصيبة ! مَنْ الذي ارتكب هذا الذنبَ البشع ؟ لا شكّ أن قطاع الطرق هم الذين نهبوه وربطوه .

الإقطاعي ، وقد رآهما : هلا استعجلْتما ، أيها الغبّيان ! مالكما تقفان هناك جامديْن ؟ أسرعا ! عجلاً ! خلّصاني على عجل !

الراعي العجوز : اولئك ناسٌ لا يخافون غضبَ الله ! . . انظرْ كيف

عذّبوه .(يدنو ويفكّ الحبال) . أرأيتَ هذه العُقدَ المُحْكمة ! أعطني سكينك ، يا جان .

الإقطاعي : كفاكَ تراخياً ! لمَ تتباطأُ ، أسرعْ ، أيها الخامل !

الراعي العجوز ، يقطع الحبال : وبعدُ ، يا صديقي ! أتريد شيئاً من الماء ؟ جان ، هات ماءً وخبزاً !

الراعي الشاب ، يحمل إبريقاً من الماء ورغيفَ خبز : خذْ ، يا صديقي الطيّب ، كلْ واشبعْ .

الإقطاعي ، يستلقي على الأرض ويئن ، هائجاً : يا لقطّاع الطرق الحقراء ! ماذا فعلوا بي ؟ لكنهم لن يفلتوا من انتقامي !

الراعي الشاب : يا عمّي ، إنه يهدّد .

الراعي العجوز : دَعْه وشأنه ؛ إنه يَهْذي ، وسيثوب إلى نفسه . يجب أن نغطيّه .(يخلع قفطانه القديم ويهمّ بتغطية الإقطاعي). خذْ ، يا صديقي المسكين ، ضعْ هذا الرداءَ عليكَ .

الإقطاعي ، ينظر إلى القفطان القديم دون أن يشكره : أنت مجنون ! أتجرؤ أن تُلقي عليّ هذه القذارة ! هذه البشاعة ! أتعرفُ مَنْ أنا ؟ أنا سيّدُك! اخلعْ بلوزتك ، ولبدتك ، ونفّضْهما بعناية ؛ وحينئذ ربما قبلتُ أن ألبسهما ! وبعد ذلك على الفور خذني إلى القصر ، قصري ، قصْر سيّدك ومعلّمك .

الراعي العجوز : لا مجالَ للنقاش ! فهو ، بلاشك ، مجنون ؛ إذ يزعم أنه السيّد الإقطاعي ؛ لقد رأيتُ سيّدي أمس ،

أمس بالذات ، رأيتُه بعينيّ هاتين ، لكنه كان ممتطياً جواده الجميل ، وكان يجري نحو قصره . (مخاطباً الإقطاعي) . هذا يكفي ؛ ضَعْ على ظهركَ ما أعطيناك ، وامضِ إلى القرية ، وهناك ستَسْتريح !

الإقطاعي، واقفاً على قدميه : آه ! أنت حقاً كالآخرين ! لستَ خيراً منهم ! ستنال العقابَ نفسه ! كيف تجرؤُ أن تكلّم سيّدك وقبعتك على رأسك . (ينزع عنه بعنف قبعة اللبد الكبيرة ويدحرجُها على الأرض) أعْطني بلوزتك .

(يضعُ يده على بلوزة الراعي العجوز) .

الراعي العجوز: يلتقط قبّعته ، ويدفع الإقطاعي عنه ، بلطمة مفاجئة ، ويبتعد : لننصرفْ ، يا جان . تعال ، يا صغيري . فهو مجنون تماماً .

الراعي الشاب : كيف ! فككْناكَ من الشجرة ، وأطْعمناكَ ، وأعطاكَ قفطاتهُ ، وتنوي أن تَضْربه ؟ دَعْهُ وشأنه أو حذار !

(يرفع سوطه ويدفع الإقطاعيّ بعنف شديد حتى يُصاب بالذُعر . يبتعد الراعيان ، بينما يستلقي الإقطاعي ويأخذ بالأنين) .

المشهد – ٣ –

الفلاحون يمرون بدورهم : انظروا ، هذا رجل مستلق هنا .

الإقطاعي: أيها القرويون ! اجروا إلى قصريَ لتُعلنوا أن سيدَكم قد عُثِرَ عليه . ليرُسلوا إليّ عربةً وخدماً ، وخُذوني ، في أثناء ذلك ، إلى كوخٍ لكي أستريح .

شيخ : ماذا تَحكي ؟

الإقطاعي: إنني سيدكم !

الشيخ : كيف ، أنت سيّدنا ! سيّدنا في بيته ، ثم إن سيّدنا لا يجري وقدماه حافيتان .

الإقطاعي: أنت غبي ، لا تفهم شيئاً . كنتُ أُطاردُ أيّلاً ، وضللتُ طريقي . أنا سيّدكم الوحيد ، وهم يبحثون عني .

الشيخ : كفى كذباً . سيّدنا مرّ أمامنا أمس ، وقد رأيناه بذاته ، وفي هذا الصباح ، جاء أحدُ حجّابه ليرانا . ونحن نعلم جيداً أن سيدّنا في بيته .

الإقطاعي: يا عصابةً من قطّاع الطرق ! أنتم تكذبون ! وسترون ! صبراً !

الشيخ : كفى كلاماً ، يا صديقي الطيب ؛ لقد ركلَكَ الراعيان ، على ما يبدو . ألم يكفك هذا ؟ أتريد ركلاً بعد ؟ اهدأْ إذن وامضِ في طريقك !

الإقطاعي: هم يرفضون أن يفهموا شيئاً ! اصغوا قليلاً . اصغ ،أنتَ ! ألستَ تصدّق أنني سيّدك ؟ أعطني ورقةً وريشةً وسأكتب إلى زوجتي ! ستعرف خطّي وسأضيفُ شيئاً لا يعرفه أحدٌ غيرها وغيري .

الشيخ : كفى ثرثرةً ! انصرفْ ! اغربْ عن وجهي !

الفلاح الأول : على كل حال ، ليكتبْ ! ولنأخذْهُ إلى القرية .

(يُنهضون الإقطاعي السريعَ الغضب ويحملونه إلى القرية) .

اللوحة الخامسة

المشهد – ١ –

– كوخ –

الإقطاعي: اوه ! ما أشدّ تعبي ! لكنْ لماذا لا يأتون ؟ كان يجب أن يكون الجوابُ هنا ! إن زوجتي النبيلة ستسعدُ حين تراني على قيد الحياة . آه ! جاء شخصٌ أخيراً . (يصل رسولٌ). ما معنى ذلك ؟ أين عربتي ؟ وأينَ خدمي ؟

الرسول : ما أكثر عجلتَكَ ، أنتَ ؟

الإقطاعي: كيف تجرؤُ على مخاطبتي بهذه اللهجة ؟

الرسول : أجْرؤُ لأن سيّدنا قد أمرني بذلك .

الإقطاعي: أي سيّد ؟

الرسول : السيد الحقيقي . وهو ليس مثلك . قال ما يلي : ليُطْردْ من هنا ، وأحبّ ألا أسمعَ باسمه بعد الآن ! فهمتَ ، إنه لا يريد أن يسمع باسمكَ بعد الآن .

الإقطاعي: آه ! يا إلهي ! يا إلهي ! وزوجتي ! بم أجابت ؟

الرسول : زوجتُكَ ، لا أدري بم أجابت ، لكن زوجة سيدي قالت : « هذا لا يُصدّق ! كيف يمكن أن يوجد مثل هؤلاء

الغشّاشين ؟ اطردوه ، هذا الغشّاش ! »

الإقطاعي: يا إلهي ! يا إلهي ! ماذا سيحلّ بي ؟

(ينهار ، ويبكي) .

صاحب الكوخ : يا لها من قصة ! يا صديقي ، فشلتْ حيلتُك ! انصرفْ برعاية الله !

اللوحة السادسة

« فناء مزرعة ، الإقطاعي مشغول بتقليب الزبل بصحبة فلاّحة » .

الفلاحة : هذا رجل لا يُحسن أن يُمسك بالمذراة !(تلتقط المذراةَ من يده بحركة نزِقة) . أعطني المذراة. تبدو كأنك سيّد أخرق !

الإقطاعي: وَددتُ لو أُحسنُ ذلك ، لكنني لم أستطعْ .

الفلاحة : لكنك تُحسن أكلَ خبزي !

الإقطاعي: آه ! ما هذه الحياة ! ما هذه الحياة البائسة ! الموتُ أفضل منها !

الفلاحة : ضع نفسك في هذا العريش وجُرَّ .

(يطيعُها الإقطاعي ، يربط نفسه ، ويشدّ بجهود مضنية ويقع) .

الفلاّحة : لستَ صالحاً حتى لهذا ! أنتَ لا تصلحُ لشيء ! ما هذا الشخص الحقير الذي أُرْسِلَ إليّ !

الإقطاعي: آه ! ما أجملكِ ، يا عزيزتي !

الفلاّحة : آه ! وها أنتَ تَغازلني الآن ! (يصل الفلاح) ما هذا الشخص الحقير الذي أرسلْتَهُ إليّ . هو لا يصلح لشيء . وهو يغازلني .

الفلاح : ماذا ؟ سأعلّمكَ كيف تعيش معي . اغربْ عن وجهي ؛ يا لكَ من إقطاعي ! .

اللوحة السادسة

لمشهد – ١ –

« قرية . يمرُّ الإقطاعي حافي القدمين ، حاسر الرأس ، مرتدياً ثياباً ممزّقة ، رثّةً ؛ يضطجع مُنْهكا على حافة الطريق » .

الإقطاعي: ها أنا أخيراً على الطريق الصحيحة ! سأصلُ الآن إلى بيتي . فاذا وصلتُ بيتي عرّفتُ بنفسي . لا يريدُ أحدٌ هنا أن يصدّق أنني السيّد ؛ كلهم يُهينونني ، ولا شيء غير ذلك ! إن لم أكشف عن شخصي تصدّقوا عليّ ، لكنْ ، ما أن أُعرّفهم بنفسي حتى يطردوني . لم آكلْ شيئاً طوال هذا اليوم . طيّب ! لن أقول بعد الآن : إنني السيّد .

(يدنو من كوخ ، وهو يتكلّم ، ويدقّ على النافذة) :

الرحمةَ ، أعطوني شيئاً آكلُه . (تنفتح النافذة ؛ ويُرى رأسُ فلاّحة يبدو من إطارها) .

الفلاّحة : عجباً ! متسول ! أنت ، متسوّل ؟ ألا تَخْجلُ ؟ أنت

في صحة تامة ، سليمُ الجسم ، ويمكنك أن تشتغل ؛
أتبلغُ بك الوقاحةُ أن تطلب الصدقة ؟

الإقطاعي: لكنني لستُ متسوّلاً ، أنا السيدّ !

الفلاّحة : السيد لا يأتي ليدقّ على نوافذ الناس .

(تُغلق مصراعي الخشب وتتوارى) .

المشهد — ٢ —

« على الطريق يسير متسوّلان ، أحدهما أعمى والآخر مقطوع اليدين . يقتربان بدورهما من النافذة » .

المتسوّلان معاً : بجاه المسيح !

(تفتح الفلاّحةُ بحذرٍ نافذتَها ، تنظر وتعطيهما خبزاً وهي تقول :)

الفلاحةُ : خذا ! امسكا ! بجاه المسيح !

(يجلس المتسوّلان ويأكلان ، بينما تُغْلق النافذة) .

الإقطاعي ، يدنو منهما : الرحمة ! أطعماني .

الأعمى : ولماذا لا تطلب الصدقةَ بنفسك ؟

الإقطاعي: طلبتها ! وألْححتُ في الطلب فأبوا أن يعطوني شيئاً .

المقطوع اليدين : هيّا ! خُذْ ! أعطه خبزاً .

(يعطيانه قطعة خبز يلتهمها التهاماً) .

المتسوّلان ، يسألانه : قلْ لنا ! مَنْ أنتَ ؟ من أينَ جئتَ ؟

الإقطاعي: أوه ! لم أعدْ أشتهي أن أرويَ ذلك ! فما ان اتكلّم حتى يسبّني الناس ويضربوني . لا يريد أحدٌ أن يصدّقني . لستُ أحسنُ العمل ؛ وأشتهي أن آكل ! أنا جائع ! ارحماني ! خُذاني معكما ! سأكافئكما مكافأةً عظيمة ؛ ستكونان سعيدين ؛ سأَبْني لكما سعادتكما !

المقطوع اليدين : ولمَ لا ! سنأخذُه ! وسيَحْملُ الكيس .

الأعمى : إذا شئتَ ، فنحن موافقان !

(ينهض المتسوّلان ويمضيان ، وهما يقودان الإقطاعيَّ معهما) .

اللوحة الثامنة

المشهد — ١ —

« في بلاط قصر الإقطاعي . خَدمٌ . الناس في كل مكان يعزفون ويرقصون . ومن البوّابة الكبرى المفتوحة ، يُرى المتسوّلان والإقطاعي وهم يدخلون مرتّلين الصلوات » .

البوّاب ، يتقدّم نحوهم : الدخول ممنوعٌ هنا . انصرفوا ! افسحوا المكان !

صيادٌ : حذارِ ! حذارِ ! وإلا أطْلقتُ كلابي !

(يتابع الإقطاعي التقدّم وحده . تنقضّ الكلاب عليه لتعضّه) .

حوذيٌّ : انظرْ إلى هذا البطل ! انتظر ، يا صديقي . ستعضّ الكلابُ ربلات ساقيك .

(أثناء هذا الوقت تعض ّ الكلاب ساقي الإقطاعي المتشرّد) .

الإقطاعي: آيْ ! آيْ !

(يُمسك به البواب من قبّة سترته ويجرّه إلى المخرج ، ويهزّه بعنف) .

البواب : أغربْ عنّي ، ما دمتَ حياً ! هيا ! اخرجْ !

الإقطاعي: جئتُ . . .

(في هذه اللحظة ، يُرى إقطاعيٌ آخر وهو يتطلّع من أعلى النافذة . ينظر الإقطاعيُّ المتسوِّلُ وهو فاغرٌ فاه ، ويصمت) .

الإقطاعي المتسوِّل ، وقد عادتْ إليه ثقتُه بنفسه : يا إلهي هذا أنا الذي هناك ! في هذا البيت ! هذا أنا آخر في النافذة . لقد جُننْتُ ! ماذا جرى ؟

الإقطاعي ، من النافذة ، ويشير بيده : دعوا المتسوّلين يَدْخلون . هذا لهم . (يَرْمي بكيس مملوء نقوداً) . ليُغنِّ المتسوّلان والأعمى ، وقدّموا لهم الطعام . وَلْيدْخُلْ بيتي ذاك الذي يحمل كيساً .

(يترنم المتسوّلون بصلواتهم) .

اللوحة التاسعة

المشهد — ١ —

« غرفة في داخل قصر الإقطاعي . الإقطاعي المتسول وحده على المائدة والخدمُ يخدمونه » .

الإقطاعي المتسوّل : ماذا يمكن أن يَعْني ذلك ؟ أنا آخر في النافذة !
ما أصفى وجهه وما أعظم الطيبة التي تَشيعُ فيه !
لقد تصدّى للدفاع عني وسمح لي أن أدخل قصره . لم أبلغْ إذنْ غايةَ شقائي . انتهتْ حياتي . لن يتعرّف عليّ أحد أبداً ! قَدَري أن أموتَ في الفقر . لكنْ ، يا للسماء ! أية أعجوبة ! أية معجزة !

(يظهر النورُ ، ويخرج من هذا النور صوتٌ يقول) :

الصوت : أتعرف ذلك السيد الجاحدَ ؟ كان سيداً قوياً ، غنياً ، ومتكبراً ، أتعرفه ؟ وهو لم يؤمن بكلام الإنجيل وكان يؤكّد أن الغنيّ لا يمكن أن يفتقر . أتعلم الآن ما نفعُ الغنى في هذه الدنيا ؟ أتعلم أنه لا يمكن الاتّكالُ عليه ؟ أأدركتَ أن ذلك كله لم يكن سوى خيال زائل ؟ وهل أدركتَ لمَ أتتْكَ هذه الرؤيا ؟ هل تتوبُ عن كبريائك ؟ هل ثبتَ من غطرستك ؟

الإقطاعي: نعم ! لقد ثبتُ ولا أريد أن أعيش بعد الآن كما كنتُ أعيشُ في الماضي .

الصوت : عُدْ سيّداً من جديد وكن جديراً بمركزك .

(تتحول ثيابُ الإقطاعي وتغدو جميلةً وفخمةً ؛ تدخل زوجتُه وتقبّله بحنان . يُحيّيه الخدم باحترام) .

اللوحة العاشرة

« مائدة يُقدَّم عليها الطعامُ ببذخٍ ، وحولها يجلس المتسوّلان ، بينما يخدمهما الإقطاعيّ وزوجته » .

ستار

سلطان الظلمات

دراما في خمسة فصول وست لوحات

١٨٨٦



سـلطان الظلمـات

دراما في خمسة فصول وست لوحات

« أمّا أنا فأقول لكم :ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه .

فان كانت عينُك اليُمنى تُعثرك فاقلعْها وألْقِها عنك ، لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلْقَى جسدُك كله في جهنم » .

متى ٥: ٢٨–٢٩

الشخصيات

بطرس : ٤٢ عاماً ، فلاح غني ، متزوج للمرة الثانية ، عليل .

نيكيتا : ٢٥ عاماً ، مُدّعٍ للجمال ، عامل عند بطرس.

آكيم : ٥٠ عاماً ، والد نيكيتا ، فلاح نحيف وورع .

ميتريتش : عامل قديم ، جندي متقاعد .

والد خطيب آكولينا ، فلاح مشاكس .

زوج مارينا .

دركي .

خطيب آكولينا :

حوذي :

شاهد زواج :

قيّم القرية

آنيسيا : ٣٢ عاماً ، فلاحةٌ مغناج ، زوجة بطرس .

ماتريونا : ٥٠ عاماً ، زوجة آكيم .

آكولينا : ١٦ عاماً ابنة بطرس من زواجه الأول ، صماء قليلا ، ومتخلفة عقلياً .

آنيوتكا : ١٠ أعوام ، ابنة بطرس الثانية .

مارينا ، ٢٢ عاماً ، يتيمة .

مافرا : العرّابة .

مارفا : أخت بطرس .

جارة :

الفتاة لأولى :

الفتاة الثانية :

خطابة :

الشعب .

مدعوون :

نساء :

فتيات :

الفصل الأول

« تجري الأحداثُ في الخريف ، في قرية كبيرة .يُمثّل المسرحُ بيت بطرس الخشبيّ الكبير . يجلس بطرس على مقعد ، ويُصلح إكليل جواد . آنيسيا وآكولينا تغزلان .

المشهد — ١ —

« بطرس ، آنيسيا وآكولينا . المرأتان تغنّيان » .

بطرس ، ناظراً من النافذة: ها إن الجياد ذاهبةٌ مرة أخرى ! سيقتلون مهري حتماً ! نيكيتا ! نيكيتا ! يا نيكيتا ! لقد صُمّتْ أذناه ! (يصغي ويخاطب المرأتين) كفاكما غناء ، أنتما ! لسنا نسمعُ شيئاً !

صوت نيكيتا ، في الخارج : ماذا ؟

بطرس : أعِدِ الجيادَ .

نيكيتا : بعد قليل ، انتظرْ !

بطرس ، هازاً رأسه : اوه ! هؤلاء العمال ! لو كنتُ مُعافىً لما كان عندي أحدٌ منهم أبداً ! هم منبعٌ للخطايا بالنسبة إلى أصحاب العمل ! (ينهض ويجلس ثانيةً) نيكيتا ! عبثاً تَصْرُخُ

. . . (ملتفتاً إلى المرأتين) . لتذهبْ واحدةٌ منكما . . .
آكولينا ، اذهبي ، وأعيديها !

آكولينا : الجياد ؟

بطرس : ماذا ؟

آكولينا : على الفور .

(تخرج)

المشهد — ٢ —

« بطرس ، آنيسيا » .

بطرس : يا لَهُ من خامل ، هذا الولد ! إنه لا يُتْقن عمله ! قبل أن يكلّف نفسه النهوض والـ . . . ماذا أقول ؟

آنيسيا : يحقّ لكَ الكلام ! أنتَ أكثرُ حركةً منه ، أنتَ ! ينْتقلْ من الموقد إلى المقعد ويتمدّد مع الآخرين !

بطرس : لو لم نتمدّدْ معكم أنتم ، لبحثْنا عنكم سنة في البيت ! آه ! ما هؤلاء الناس !

آنيسيا : أنت تحشر عَشر شَغلاتٍ معاً ثم تتذمّر بعد ذلك . ليس بالصعب على المرء أن يأمر وهو متمدّد على الموقد(١) .

بطرس ، متنهداً : لو لم يتسلّط المرضُ عليّ لما احتفظتُ به يوماً واحداً .

---

(١) متمدد على الموقد : في البيوت الخشبية الروسية ، كان الموقد واسعاً جداً وكان من الممكن النوم عليه .

(صوت آكولينا وهي تسوق الجياد ،يُسْمع صهيل المهر ، وتدخل الخيول من الباب الكبير . الأبوابُ تَصرُّ) .

بطرس : المِزاحُ ، هذا دأبُه ! آه ! لولا المرض لما احتفظتُ به ، حتماً !

آنيسيا ، تقلّده : لما احتفظتُ به ! . . أودُّ لو أراك تعملُ ،وبعد ذلك تستطيع أن تتحدّث .

المشهد — ٣ —

« بطرس ، آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا ، داخلةً : آه ! تعذّبتُ حتى أدخلتها . فالحمار كان يرفض الدخولَ ، على عادته .

بطرس : ونيكيتا ، أين هو ؟

آكولينا : نيكيتا ؟ في الشارع .

بطرس : وماذا يفعل في الشارع ؟

آكولينا : ماذا يفعل ؟ هو في الزاوية ، يثرثر .

بطرس : آه ، مِن هذه ! لا ينتفع المرءُ منها بشيء ! ! . . . ومع مَنْ يُثرثر ؟

آكولينا ، ثقيلة السمع : ماذا ؟

(تصدر عن بطرس حركة تدلّ على الغيظ ؛ تُتابع آكولينا غزلها) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، آينوتكا » .

آنيوتكا ، داخلةً على عجل ، لأمها : أبو نيكيتا وأمه هنا . هما يريدان أن يأخذاه إلى البيت . . عسى أن أموت إنْ لم يكن ذلك صحيحاً !

آنيسيا : صحيح ؟

آنيوتكا : صحيحح ! عسى أن أموت ، على الفور ! (تضحك) . كنتُ مارةً وإذا نيكيتا يناديني . قال لي : وداعاً ، « آناباڤلوفنا ! لا تَنْسَيْ أن تأتي لتتسلّي في عرسي . وقال لي : أنا ذاهبٌ من عندكم . . . » وأخذ يضحك .

آنيسيا ، لزوجها : أرأيتَ ! الناس ليسوا بحاجة شديدة إليكَ هنا ! هذا نيكيتا ينصرف من ذاته . وهو ، يقول : « سأطردُه ! »

بطرس : وماذا في ذلك ؟ لِيَنْصرفْ ! أَلن أَجدَ غيره ؟

آنيسيا : والمال المسلّف ؟

(تتقدّم آنيوتكا إلى الباب ، تُصغي وتنصرف) .

المشهد — ٥ —

« آنيسيا ، بطرس ، آكولينا » .

بطرس ، مقطّباً حاجبيه : المال ! إن كان الأمرُ هكذا ، فسوف يعوّضني عنه بالعمل ، في هذا الصيف .

آنيسيا : نعم ، أنت مرتاح جداً لطرده . سيقلُّ مقدارُ الخبز المأكول ! وعلي أن أكدح طوال أيام الشتاء ، كالحصان العجوز المسكين . البنتُ ليست نشطةً في العمل ، وأنت تظلُّ متمدّداً على الموقد ، أنا أعرفكَ ؛ كفاك كلاماً !

بطرس : لا حاجة إلى اللعْلعة بلسانك قبل أن تعرفي ما الموضوع .

آنيسيا : الاصطبلُ مليءٌ بالماشية . فأنتَ لم تبع البقرة ، واحتفظت بالخراف للشتاء . ولا نكاد نجد الوقتَ الكافي لإعداد الماء والعلف ، وتريد فوق ذلك أن تَصْرف الخادم ! حسناً ! وأنا أيضاً ، لا أريد أن أعمل فلاّحةً ، وسأتمدّد مثلك على الموقد ، وليذهبْ ذلك كله إلى الشيطان ! افعلْ ما تشاء !

بطرس ، لآكولينا : اذهبي وأحضري العلف ، مالكِ ! حان الوقتُ .

آكولينا : العلف ؟ طيّب !

(ترتدي قفطانها وتأخذ حبلاً) .

آنيسيا : لا أريدُ بعد الآن أن أشتغل لك ، كفاني شغلاً ! لا أريد . اشتغلْ أنت نفسك !

بطرس : كفى ! ماذا أكلتِ اليوم ؟ أنت كالخروف المسعور !

آنيسيا : أنتِ وحدك مسعورٌ ! لا يأتينا منك لا العملُ ولا الفرح ! أنتَ تلتهم حياتي ! آه ! أيها الكلبُ العجوز الراجف !

بطرس ، يبصق احتقاراً ويرتدي ثيابه : سامَحني الله ! سأذهبُ لأرى ما الأمر .

(ينصرف).

آنيسيا : أيها الشيطان العَفِن !

المشهد — ٦ —

« آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا : لماذا تشتمين والدي ؟

آنيسيا : انصرفي ، يا حمقاء ، واخرسي !

آكولينا ، متقدمةً نحو الباب : أعرفُ لماذا تَشْتمينه ! أنت نفسلك حمقاء ! كلبة ! أنا لا أخافك !

آنيسيا : ماذا تريدين ؟ (تنهض وتبحث عن شيء تضرب به آكولينا) . حذارِ ، سأضربكِ بالمذراة !

آكولينا ، فاتحةً الباب : كلبة ! شيطانة ! أنتِ شيطانة ! كلبة ! كلبة ! شيْطانة !

(تخرج)

المشهد — ٧ —

« آنيسيا ، وحدها » .

آنيسيا ، مشغولة البال : آه ! قال : تعاليْ إلى عرسي ! » ماذا يدبِّر ؟ سيزوّجونه ! حذارِ ، يا نيكيتا ! إن كانت هذه أفكاركَ ،

فسوف أتعهّد . . . لا أستطيع أن أحيا بدونه، لن أدعه يذهب .

المشهد — ٨ —

« آنيسيا ، نيكيتا » .

نيكيتا ، يدخل بحذر ، يتطلّع إلى جميع الجهات ، وحين يرى آنيسيا وحدها ، يدنو منها على عجل ويقول بصوت خافت : يا صديقتي ، الأمورُ ليست على ما يُرام ! جاء والدي وهو يريد أن يأخذني معه . لقد أمرني بالعودة إلى البيت . قال لي : « سنزوّجكَ حتماً وستعود إلى البيت » .

آنيسيا : حسناً ! تزوّجْ ! ماذا يهمّني من ذلك ، أنا ؟

نيكيتا : آه ! صحيح ! أنا أسعى لتدارك الأمور وهي تحثّني على الزواج ! (غامزاً بعينيه) ولمَ ذاك ؟ هل نسيتِ ؟

آنيسيا : نعم ، تزوّجْ ! فهذا لا يخصّني .

نيكيتا : لماذا تشاكسين ؟ ما هذا ؟ إنها لا تريد أن ألاطفها ! مابكِ ؟

آنيسيا : ما بي أنك تريد التخلّي عني ، وإذا كنتَ تريد التخلّي عني فأنا لم أعدْ بحاجة إليك ، هذه هي القصةُ كلها .

نيكيتا : مهلاً ، آنيسيا ؟ أأنساكِ ؟ أبداً ، لا ! لن أتخلّى عنكِ ، قطعاً ، وانظري كيف أفكرّ : حتى عندما يزوّجونني فسأعودُ لألقاكِ ، بشرط ألا يحتجزوني في المنزل .

آنيسيا : وهل أحتاجُ إليك عندما تتزوّج ؟

نيكيتا : لكنْ ، ما الحيلة ، يا صديقتي ! لا سبيل ، مع ذلك ، للإفلات من مشيئة الأب .

آنيسيا : تُلقي كلَّ شيء على عاتق أبيك ، وكلُّ الأفكار مناك . أنت تُحضِّر ذلك كله منذ زمن طويل مع حبيبتك القذرة « مارنكا » . هي التي خدعتْك . وهي لم تأتِ لوجه الله حين جاءت تحوم حول البيت ، في هذه الأيام الأخيرة .

نيكيتا : مارنكا ؟ أأنا بحاجة إليها ؟ هناك عددٌ لابأس به مثلها يُلاحقْنني !

آنيسيا : لمَ جاء أبوكَ إذن ؟ أنت وضعْتَ هذه الفكرةَ في رأسه ، كنتَ تخدعني .

(تبكي)

نيكيتا : آنيسيا ، أتؤمنين بالله ، نعم أم لا ؟ لم يخطر ببالي مثل هذا ، حتى ولا في الحلم . قطعاً ، لم أكُن أعلم شيئاً من ذلك . العجوز هو الذي يتحملُ مسؤوليةَ ذلك كله .

آنيسيا : إن كنتَ لا تريد ، فلا يمكن جرّكَ بالرَّسَن .

نيكيتا : هكذا أفكرّ . لا سبيل إلى مقاومة الوالد . لكن هذه ليست مشيئتي .

آنيسيا : قاومْ ، هذا كل ما في الأمر .

نيكيتا : أعرفُ واحداً أخذ يقاوم هكذا ، فداعبوا ظهره بعصيّ البلدية . هذا بسيط جداً لكنني لا أشتهيه . هذا يُدغدغ ، على ما يبدو .

آنيسيا : كفى دعابةً ! اسمعْ ، يا نيكيتا ، إذا أخذْتَ مارنكا فلا أدري ما الذي سأفعله بنفسي . . . سأقتل نفسي ! لقد ارتكبتُ إثماً ، وخالفتُ القانون . . . ولا أستطيع العودة عن ذلك . وإذا ما ذهبتَ فسوف أتدبّر أمري بحيث . . .

نيكيتا : ولمَ أذهبُ ؟ لو كنتُ أريدُ الذهاب لذهبتُ منذ زمن بعيد . البارحة بالذات ، عرضَ علي ايفان سيميونيتش عروضه . . . يُريدني حوذياً . . . فلم أقبلْ . وأيةُ حياة مع ذلك ! كلُ الناس يريدونني ، وأنا أعلم ذلك جيداً ؛ آه ! لو لم تكوني تحبيّنني لاختلف الأمرُ !

آنيسيا : تذكّرْ ذلك جيداً ! سيموتُ العجوز بين لحظة وأخرى ؛ وسنسوّي وضعنا . سنتزوّجُ وتصبح أنت السيد !

نيكيتا : لمَ التفكيرُ في أشياء بعيدة ؟ وماذا يهمّني من ذلك ؟ إني أعمل كما أعمل لنفسي . رب العمل يُحبنّي ،وربةُ العمل أيضاً ، وإذا كانت النساءُ يركضْن ورائي فلا يدَ لي في ذلك ، الأمر بسيطٌ جداً . . .

آنيسيا : ستحبّنُي ؟

نيكيتا ، يقبّلها : هكذا ! من كل قلبي ودائماً مثل . . .

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا ، تدخل وترسم علامة الصليب طويلاً أمام الصورة المقدّسة ، نيكيتا وآنيسيا يفترقان بغتةً : لم أر شيئاً ! لم أسمعْ شيئاً !

داعبتَ امرأةً صغيرةً . حسناً ! العُجول ، يا إلهي ،
تلعب هكذا في المرعى . . . ولمَ لا ؟ هذا هو الشباب !
وأنتَ ، يابني ، المعلمُ يناديكَ من الفناء .

نيكيتا : أنا ، جئتُ بحثاً عن الفأس .

ماتريونا : أَعْلمُ ، أعلم ، يا عزيزي ، ما الفأسُ التي تطلبها .
إنها فأسٌ توجد ، على الأغاب ، قرب النساء .

نيكيتا ، ينحني ليتناول فأساً : طيب ، يا أمي ، الأمر جدٌّ إذن !
تريدين أن تزوّجيني ؟ أَعتقدُ أنك مخطئة . وقبل كل
شيء فأنا غيرُ حريص على ذلك .

ماتريونا : لمَ نزوّجكَ ، يا عزيزي ؟ عشْ كما كنتَ تعيش من
قبل ! هذا كله من تخيّلاتِ العجوز . اذهبْ ، يا صغيري ،
سندبّر أمورَنا بدونك .

نيكيتا : الامر مضحك مع ذلك . فتارة تريدون تزويجي ،وتارة
أخرى لا تريدون . قطعاً ، إني لا أفهم شيئاً من ذلك .

المشهد — ١٠ —

« آنيسيا ، ماتريونا »

آنيسيا : خالة ماتريونا ، هل تريدون حقاً أن تزوّجوه ؟

ماتريونا : وبأيّ شيء نزوّجه ، يا فراولتي الصغيرة ؟ كل هذا كلامٌ
في الهواء ، من عجوزي . تَزْوِيـُجه ، تزويجـُه ، ليس
أمراً بمقدوره . تعلمين أن الخيل لا تعاف الشوفان . إن كنّا
بخير فلماذا نبحثُ عن الأفضل ؟ هذه هي حالتنا . ألستُ
أرى إلى أين وصلتْ الأمورُ ؟

آنيسيا : حسناً ! خالة ماتريونا ، ليس لي أن أخبّىء نفسي عنك . أنتِ تعرفين كل شيء . لقد أثمتُ وأحببتُ ابنَك .

ماتريونا : آه ! يا له من شيء جديد ! وكأن الخالة ماتريونا لم تكن تعلمه ! أيه ! الخالة ماتريونا ، يابنتي ، امرأةٌ ماكرة ، سيّدة الماكرات ! الخالة ماتريونا ، يا فراولتي ، ترى على عُمْق مترٍ تحت الأرض . أعرفُ كلّ شيء ، يا فراولتي ! أعرفُ لماذا تحتاج النساءُ إلى المسحوق المنوّم . وقد جئتُ بذلك معي (تفك طرفاً من شالها وتخرج منه كيساً من المسحوق) . ما يلزم ، أراه بوضوح ، وما لا يلزم ، لا أريد أن أعرفه ! الخالة ماتريونا كانت شابةً هي أيضاً ! ذلك انه لا بد ، مع عجوزي الأحمق ، من تدبير الأمور لنعيش . أعرفُ السبع والسبعين طريقةً ! إني أرى ، يا فراولتي ، أن عجوزكِ قد وضع قدماً في القبر . علامَ هو قادر ؟ اضربيه ضربةً بالمذراة لا تَسِلْ منه قطرةُ دم . وفي الربيع ، على أبعد مدى ، سندفنه . لا بدّ لك حينئذ من أحدٍ في البيت . . .وابني . . . ألن يكون رجلاً نافعاً ؟ ليس أسوأ من الآخرين ، فما فائدتي من منع ابني عقد صفقةٍ رابحة ؟ أأنا عدوّةُ ، ابني ؟

آنيسيا : بشرط أن يظلّ معنا ؟

ماتريونا : سيظلّ ، يا عصفورتي . تلك حماقات . تعرفين عجوزي . ليس له عقلٌ راجح ، لكن إذا دخلت الفكرةُ رأسه لم يُخرجْها منه سوى الشيطان بذاته .

آنيسيا : من أين جاء إذن هذا المشروع ؟

ماتريونا : أنت تعرفين ابننا ، يا فراولتي الصغيرة . تعرفين كيف يحبُّ النساء . ولا خلاف في أنه جذّاب الشخصية . . وكان ، كما تعلمين ، مستخدماً ، في السكة الحديدية ، وكانت هناك صبيّة ، يتيمة ، طاهية ، بدأت تلاحقُه .

آنيسيا : مارنكا ؟

ماتريونا : نعم ، هي ! عسى أن يحطّم الشلل عظامَها ! لا أستطيع أن أقول لك إن كان بينهما أو لم يكنْ بينهما شيء ، غير أن عجوزنا عَالمٌ بالأمر . أجاءت هي تثرثر أم أن الناس تحدّثوا عن ذلك ؟ . . .

آنيسيا : أهي جريئةٌ ، العاهرة !

ماتريونا : وإذا بالعجوز يتحمّس ! ذلك الغبيّ ! « سنزوّجه ، سنزوّجه ! للتكفير عن الإثم ! لِنعدْ به إلى البيت ، ولنزوّجْه ! » هكذا قال . وقلتُ كل ما بوسعي أن أقوله . فلم يُفد قولي شيئاً . عند ذاك قلت في نفسي : حسنا ! سأَقْلبُ لك مشروعَك » . تعامين ، يا فراولتي الصغيرة ، أن هؤلاء الأغبياء ، يجب أن نوافقهم دائماً على ما يقولون ، وعندما نَنْتقل من القول إلى الفعل ، نَفْعل ما نشاء . في وقت قصير ، تستطيع المرأة أن تُقلّب في رأسها سبعاً وسبعين فكرةً . كيف تريدين أن يَفْهمونا ؟ قلتُ له حسناً ، يا صديقي ، هذه صفقة ممتازة ، لكن لا بدّ من

التفكير فيها . لنذهب إلى الولد ! وسنطلب مشورة بطرس اغناتيتش ، وسنرى ما يقوله . وها نحن قد جئْنا !

آنيسيا : آه ! ما العمل الآن ، خالة ماتريونا ؟ وإذا ألزمه أبوه بذلك إلزاماً .

ماتريونا : الإلزام ؟ سندسّه تحت ذنب الكلب . لا تخافي . لن تتمّ القضية ! بعد قليل ، عندما نلتقي بعجوزك ، سأنخل كل ما يقوله نَخْلاً حتى لا يبقى منه شيء ، وإذا كنتُ جئتُ مع الأب فلكي أُنقذ المظاهرَ . وكيفَ إذن ؟ ابني يعوم في السعادة ، وهو مُقْبلٌ على سعادة أكبر ، ثم أزوّجه بعاهرة. لستُ غبيّة إلى هذا الحد ! .

آنيسيا : مارنكا جاءت تلاحقه إلى هنا . أتصدّقينني ، يا خالة ماتريونا ؟ عندما قيل لي : إنكم ستزوّجونه ، كان ذلك كأن سكّيناً غُرستْ في صدري . ظننتُ أنه يحبّها .

ماتريونا : آه ! عجباً ، يا فراولتي ، لا بدّ أن يكون مجنوناً حتى يحبّ قذرةً لا مأوى لها ولا مقرّ . نيكيتا شابٌ له تفكيره ! ويعرف مَنْ التي يجب أن يحبّها . وهكذا ، فبالنسبة إليك ، يا فراولتي ، لا تخشَيْ شيئاً ، لن نجيء به إلى البيت أبداً ، ولن نزوّجه أبداً . تعطوننا بعض الروبلات وسيبقى .

آنيسيا : يبدو لي أن ذهاب نيكيتا سيكون موتاً لي !

ماتريونا : حُبُّ الشباب ! لا شك في ذلك ، أنت امرأةٌ في شَرْخ الشباب وتعيشين مع هذا الأخرق ! . . .

آنيسيا : صدّقيني ، يا خالة ماتريونا ! كم يُقْرفني ، كم يُقْرفني ، هذا الكلب الحقير ! لم أعدْ أستطيع النظر إليه في وجهه !

ماتريونا : ليس هذا غريباً ! تعالي ، انظري . (تهمس وتتطاع إلى جميع الجهات) . ذهبتُ إلى صديق لي من أجل المسحوق . فأعطاني عقاراً لغايتين . انظري إليه . قال لي : « هذا مسحوق منوّم . أَعْطية كيساً صغيراً منه وسوف ينام نوماً ثقيلا حتى يمكن أن ترقصي على بطنه » وأضاف : « وهذا عقارٌ إن أَعْطيته إياه في الشراب لا يترك أيّة رائحة ، لكن له قوةٌ كبيرة ، وهو يُعطىَ على سبع مرات ، في كل مرة قبضة صغيرة . قال : تُعطيه إياه على سبع مرات ، وسوف تنالُ حريّتها .

آنيسيا : آوه ! ما هذا المسحوق ؟

ماتريونا : لا يترك أيَّ أثر . أَخذَ روبلاً منّي . قال لي : إنه لا يستطيع أن يبيعه بسعر أرخص ، لأن هذه المساحيق صعبةُ التركيب . دفعتُ الثمن من مالي ، يا فراولتي . إذا لم ترغبي فيه أَخذْتُه إلى ميخايلوفنا .

آنيسيا : أوه ! لكن ربما نَتَجَ عن ذلك شرٌ ؟ . . .

ماتريونا : أيّ شر ، يا فراولتي ؟ الشرّ لو كان رَجلُك قوياً ، لكنْ لم يبق فيه سوى النَفَس ، ولا يستطيع أن يعيش . كثيراتٌ يفعلْن ذلك .

آنيسيا : آه ! يا رأسي المسكين ! أخشى كثيراً ، يا ماتريونا ، أن يُصيبنا سوءٌ . اوه ! لا ! لا !

ماتريونا : إذن سأعيد المسحوق معي .

آنيسيا : قلت إذن : يجب تذويبه في الماء مثل غيره من المساحيق ؟

ماتريونا : في الشاي ، أفضل . قال لي « لا يبقى منه أيُّ أثر ، وليس له رائحةٌ أو أي شيء آخر » . الذي باعني إياه رجلٌ ذكيٌّ .

آنيسيا ، تأخذ المسحوق : اوه ! يا رأسي المسكين ! أكنتُ أجازفُ وأُقدمُ على هذه الأشياء ، لو لا حياة الأشغال الشاقة التي أَعيشُها .

ماتريونا : لا تَنْسي الروبل ! وعدتُ العجوز بأن آتيه به .. إنه يجهد نفسه هو أيضاً .

آنيسيا : بلا ريب .

(تذهب نحو صوانها وتخفي فيه المسحوق) .

ماتريونا : خبّئيه جيداً ، يا فراولتي ، حتّى لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً . وإذ ما حدث شيءٌ – حَفِظَنا الله من ذلك – فقولي : هذا للحشرات . . . (تأخذ الروبل) . لأنه يَصْلحُ أيضاً للحشرات ! . . .

(تتوقّف عن الكلام) .

المشهد – ١١ –

« آنيسيا ، ماتريونا ، بطرس وآكيم » .

« يدخل آكيم ويرسم علامة الصليب وهو ينظر إلى الأيقونات المقدّسة » .

بطرس ، يدخل ويجلس : قاتَ ، إذن ، يا عم آكيم . . .

آكيم : أفضل ، يا اغناتيتش . . . لا بدّ من ذلك ، هذ أفضل ! حتى لا يجرّ علينا السوءَ ، بخلاعاته ! أود . . . أن أسلّم هذ الولد . . . العملَ ، وأنتَ ، إذا كنت ترى غير ذلك ... فسنحاول محاولة أخرى . . . أفضل !

بطرس : طيّب ، طيّب ! اجلسْ ولنتحدّثْ (آكيم يجلس). إذنْ أنتَ تريد أن تزوّجه ؟

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج ، يا بطرس اغناتيتش ؛ أنتَ تعرف الضائقة التي نحن فيها ؛ كيف تريد منا أن نتزوج ونحن نتعذّبُ لنعيش بالتَقْتيّر ؟ كيف تريد منا أن نزوّجه؟

بطرس : يا عذراء ! افعلوا أفضل ما يناسبكم .

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج . كما قلتُ لك . والرجال ليسوا مثل توت العليق ، إنهم لا يَسْقطون إذا زاد نضجُهم .

بطرس : إذا كانت المسألة مسألة زواج فهو شيء حسنٌ .

آكيم : نودّ ذلك . . . نعم . . . لأني لقيتُ عملاً صغيراً . . . في المدينة . . . نعم . . . مرُبحاً .

ماتريونا : تُسمّيه عملاً ! تنظيف المراحيض ! كم تقيّأتُ ، كم تقيّأت ، في هذه الأيام الأخيرة ، عند عودته .

آكيم : في البداية ، نعم . . . كأنها . . . تزخم الأنف . . . لكنْ عندما نتعوّد . . . مثل ثفل العنب . . . ثم إن ذلك مربح

أيضاً . أما الرائحة ، نعم . . . فليس لنا أن نغتاظ منها ...
نحنُ المساكين . . ثم . . بامكاننا تغيير ثيابنا . . . إذن ،
أنت ترى ، أننا نود لو يكون نيكيتا في البيت . . . يشتغل
في البيت شغْلَ البيت ، وأنا . . . أكسب عيشي في
المدينة . . .

بطرس : تريد أن تحتفظ بابنك في البيت . . . أفهمُ هذا ، لكن المال
المسلّف ، في هذه الحالة ؟ . . .

آكيم : صحيح ، صحيح ، يا اغناتيتش ! . . . كلامُك حقّ . . .
مَنْ أجّرَ نفسه فقد باعَها ! ليبقَ إلى آخر المدة . . .
بمقدار المال فقط ، لكن بما أنه سيتزوج ، امنحْه عدة
أيام . . . إن لاءماك هذا .

بطرس : هذا ممكن !

ماتريونا : المشكلة أننا غير متّفقيْن . وسأفتح نفسي أمامك ، يا
بطرس اغناتيتش ، كما أفتحها أمام الله . . اقضِ بيني
وبين رجلي . إنه يكررّ دائماً : « الزواج ! الزواج » .
اسألْه : بِمَنْ ؟ . . . ليت الخطيبة كانت لائقةً . . .
أأنا عدوةُ ابني ؟ لكنّ في البنت عيباً . . .

آكيم : هذا ، أنتِ محطئةٌ فيه . . . مخطئةٌ ، فهمتِ ، في إهانة
هذه البنت ! مخطئة . . . لأنها . . . هذه البنت . . . هذه
البنت نفسها لحقتْها الإهانةُ من ابنك ! هناك إهانة . . .
فهمت . . . هذه البنت . . . نعم !

بطرس : وما هذه الإهانة ؟

آكيم : وقع ذلك ، أتفهم ، . . مع ابني نيكيتا . . . مع نيكيتا ، نعم !

ماتريونا : كُفَّ عن الكلام ! لساني أكثر طلاقةً ، دعْني أتكلّم . كان ولدنا ، كما تعلم ، يشتغل قديماً في السكة الحديدية ، وهناك تعلّقتْ به هذه البنتُ التي لا تَسْوَى شيئاً ، كما تعلم . . . اسمها مارنكا ، وكانت طاهيةً لفرقة عمالها . هذه البنتُ تصرّح الآن أن ابننا نيكيتا قد خدعها . . . كما تقول .

بطرس : هذا عملٌ غير صالح .

ماتريونا : ذلك أنها بنتٌ غيرُ مستقيمة . إنها تتسكّع دائماً . . . مومسٌ حقيقية .

آكيم : هذه عادتكِ ، يا عجوز ! ليس الأمر كذلك . . . ليس كذلك أبداً . . . ليس كذلك ! .

ماتريونا : هذا كل ما تعرفُه من كلام ، يا نسري ! كذلك ، كذلك ! ما « كذلك » ؟ لا يعرف نفسه ما « كذلك » ! . لا تسألْني أنا ، يا بطرس اغناتيتش ، واسأل الناسَ عن أخبار هذه البنت . سيقول لك الناسُ الشيءَ نفسه . متسكّعةٌ قذرة .

بطرس ، لآكيم : طيّب ! يا عم آكيم ، إذا كان الأمرُ كذلك ، فلا داعي لتزويجه . ليست الكنةُ حذاءً . ننزعُهُ متى شئنا .

آكيم ، مغضباً جداً: العجوز ، تتكلّم على البنت كذباً . . . نعم . . . كذباً . . . ! لأن البنت ، نعم . . . طيّبة . . . طيبة جداً ، البنت ! أنا أشفقُ عليها . . . نعم . . . أشفق عليها . . . تلك البنت !

ماتريونا : يا له من مَبَرَّةٍ للإحسان ، يُحسن إلى الآخرين ويترك أهْلَه يموتون جميعاً ! يَشْفق على البنت ولا يشفق على ابنه . طيّب ! علّقْها في عنقك وتجوّلْ بها . دعْنا ! كفاك هَذْرا بهذه الحماقات !

آكيم : لا ، ليست حماقات !

ماتريونا : لا تقاطعْني ! دعْني أتكلّم .

آكيم ، مقاطعاً : لا ليست حماقات . أنتِ تحوّلين كل شيء على حسب هواكِ ، إن كان بصدد البنت أو بصددك . . . لكن الله ، أرأيتِ ، الله . . . سيحوّل كل شيء على حسب مشيئته . . . وسيكون أمرُ هذه . . . كذلك . . .

ماتريونا : ليس في الكلام معك سوى إتْعاب اللسان .

آكيم : بنتٌ شغّيلة . . . بنتٌ طيّبة . . . لنفسها ولمن حولها . . . نعم إنها تلائمنا ، مع فقرنا . . . ولن يكلّف العرسُ غاليا . . . لكن أكثر ما يؤثّر فيّ هو الإهانةُ التي لحقتْ بهذه البنت ، نعم . . . يتيمةٌ ، هذه البنتُ ! والإهانة موجودة !

ماتريونا : هي حرةٌ في أن تقول . . .

آنيسيا : عم آكيم ، إذا كنتَ مستعداً لسماع النساء فَسَيْروين لك ما تشاء من الحماقات .

آكيم : والرب ؟ الرب الرحيم ؟ أليست مخاوقاً بشرياً ، هذه الفتاة ؟ هي مخاوقة في نظر الرب الرحيم . ! أليس هذا صحيحاً ؟

ماتريونا : ها قد انطلق مرة أخرى !

بطرس : عمّ آكيم ، يجب ألاّ تصدّق دائماً ما تقوله البنات .فابنكم لم يمتْ لِنُحْضره ولنسألْهُ إن كان ذلك صحيحاً . فلن يَحْلف زوراً . ادْعيه . (تنهض آنيسيا) . قولي له إن والده يطلبه .

المشهد — ١٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا آنيسيا » .

ماتريونا : رأيُك صائب ، يا صديقي . ليوضحْ لنا الأمرَ الشابُ بنفسه . لأننا لانستطيع ، في هذه الأيام ، أن نزوّج ابننا بالقوّة ، ولا بد من أخذ رأيه أيضاً . لن يرضى أبداً بالزواج بها ، وبقبول العار . . . رأيي أن يبقى عندك يخدم سيّده ، بل لا حاجة بنا إلى أخْذه في الصيف ، إذ نستطيع أن نستأجر رجلاً . أعطنا ورقةً بعشرة روبلات واحتفظْ به .

بطرس : سنتحدّثُ عن ذلك فيما بعد ، يجب أن نسير في الأمور بالترتيب . ننتهي من شيء قبل أن نبدأ بالآخر .

آكيم : أنا قلتُ كل هذا . . . لأن هذا يوافقني . . . نحن نحاول دائماً أن نرتّب الأمور لأنفسنا على أفضل وجه . . . أما

الربُ ، نعم . . . فنحن ننساه . . . نفكّر في ما هو أفضل...
ونَبْغي جرّ كل شيء إلى مصلحتنا ، فنخطىء بحق أنفسنا ...
نفكرّ فيما هو أفضل . . . وبدون الرب الرحيم ، ينتجُ
عن ذلك الأسوأُ .

بطرس : نعم ، لا ريب ، الرب ،لا يجب أن ننساه .

آكيم : ينتج الأسوأ . . . بينما لو سرتم بحسب القوانين وبحسب
تعاليم الرب لملأ ذلك قلوبكم بالفرح ، نعم . . . هذا
يجذبكم إليه ! . . . هكذا فكرّتُ ! . . . أُزوّجُ الولدَ
لحمايته من الخطيئة . فيبقى هو في البيت ، أما أنا . . .
فسأشتغل في المدينة . . . العمل لطيف ومفيدٌ أيضاً .
هذا أفضل ، بحسب تعاليم الرب ! لأنها يتيمةٌ . وهكذا
مثلاً ، ففي الصيف الماضي أخذوا خشباً من عند الوكيل ...
ظنّوا أنهم يَخْدعونه بهذه الطريقة . . . والواقع أنهم
خدَعوه ، لكن الرب الرحيم . . . لم يخدعوه . . .
وحينئذ ! . . .

المشهد — ١٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وانيوتكا » .

نيكيتا : هل طلبتموني ؟

(يجلس ويتناول تبغه من جيبه) .

بطرس ، برفقٍ وبشيء من اللوم : مالكَ ! ألا تعرف أصول اللياقة ؟
الأب يريد أن يَسْتفهم منك ، وأنتَ تتسلّى بتبغك وتجلس !
تعال إلى هنا ، قفْ !

(يجلس نيكيتا أمام الطاولة ، ويتكىء بمرفقه عليها ، بعدم اكتراث ، ويبتسم) .

آكيم : هذا إذن ما ينتج . . . ذلك أذنكَ يانيكيتا . . . هناك شكوى ، أتفهم ، شكوى . . .

نيكيتا : وممّن الشكوى ؟

آكيم : الشكوى ؟ من بنتٍ ، من يتيمةٍ . . . أتفهم ، الشكوى ... منها جاءت الشكوى . . . عليك . . . من مارينا نفسها ... نعم !

نيكيتا ، وهو ما يزال يبتسم : هذا مضحك حقاً ! أية شكوى هذه ؟ مَنْ حَمَلَها ؟ أهي نفسها الّتي جاءت بها ؟

آكيم : أنا . . . أسألكَ الآن . . . وأنت . . . يجب أن تجيبني ... ارتبطتَ بفتاة ، نعم . . . هل ارتبطتَ بها ؟

نيكيتا : لا أفهمُ قطعاً ما تسألني عنه .

آكيم : ارتكبتَ حماقات ، أليس كذلك ؟ معها . . . قُلْ ، حماقات ؟

نيكيتا : كانت هناك أشياء كثيرة . عندما نتضايق نلهو أحياناً مع الطاهية . . . نعزف على الأكورديون وهي ترقص .. . ما الحماقات الّتي تريدها غير هذا ؟

بطرس : لا تتهرّبْ من الجواب ، يا نيكيتا ، وجاوبْ كما ينبغي ، عمّا يسألك أبوكَ .

آكيم ، بلهجة مهيبة : نيكيتا ، تستطيع أن تخدع البشر ، لكنك لن تخدع الله . إذن فكّرْ في ذلك جيدا ، يا نيكيتا . . . لا تُقْدم على الكذب . . . هي يتيمة ، أتفهم . . . قد تُسيء إليها . . . يتيمة . . . نعم . . . تكلّمْ ، أفْضلُ لك . . .

نيكيتا : طيّب ! ليس لديّ ما أقوله . . . قطعاً ، قاتُ كلَّ شيء ، إذ ليس عندي شيء . . . (محتدّاً) . تستطيع هي أن تقول كلَّ ما تشاء ، كما لو كنتُ ميتاً . . . ألم تتكلّمْ هي أيضاً عن « فيدكا ميشيكين » ؟ أليس مسموحاً للمرء ، في هذه الأيام ، أن يلهو ؟ هي حرةٌ في أن تروي ما تشاء .

آكيم : أيه ! نيكيتا ! حذارِ ! . . . الكذب ينكشف دائماً . . . هل كان بينكما شيء ، نعم ، أم لا ؟

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : يا لهمْ من مِلْحاحين حقاً ! (بصوت عالٍ) . قلتُ لكَ : إنني لا أعلم شيئاً ، ولم يكن بيني وبينها شيء (غاضباً) وحقّ المسيح ، خذوا ! (يرسم علامة الصليب) . لن أغيرّ كلامي ! لست أعرف شيئاً على الإطلاق ! (صمت . يتابع نيكيتا كلامه وهو يحتدّ شيئاً فشيئاً). هل خطر لكم مثلاً أن تزوّجوني بها ؟ ستكون فضيحةً حقّاً . في هذه الأيام ، ليس لأحد الحقُّ في تزويج الناس بالقوّة . الأمر بسيطٌ جداً ، وأنا أقسمتُ على كل حال . لا أعرف شيئاً على الإطلاق .

ماتريونا ، مشيرةً إلى زوجها : انظروا إلى هذا الأبله ! إنه يصدّق كلَّ ما يُقال له . هل في الأمر ما يستحقّ أن يُذِلَّ من

أجله هذا الولدَ المسكين ! الأفضل له أن يتابع حياته عند معلّمه كما كان من قبل ، وسيُعطينا المعلم ، بسبب ضائقتنا ورقةً بعشرة روبلات ، وعندما يحين الوقت . . .

بطرس : ما قولُكَ الآن ، عم آكيم ؟

آكيم ، متمطّقاً بلسانه ، لأبنه : تذكَّرْ ذلك جيداً ، يا نيكيتا ، إن اللمعةَ التي يُثيرها الرجلُ . . . لا تسقط جانباً ، بل على رأسه ! تذكّر ذلك ، لكي لا ينعج . عنه . . . هذا !

نيكيتا : ليس لي أن أتذكّر ذلك ، تذكّرْهُ أنت نفسك .

(يجلس)

انيوتكا : يجب أن أذهب لأروي ذلك لماما .

(تخرج)

المشهد - ١٤ -

« بطرس ، آكيم ، ماتريونا ونيكيتا » .

ماتريونا ، لبطرس : هو ، في كل شيء ، كما رأيتَ ، يا بطرس الخناتيتش ، مشوّش دائماً ! وإذا أدخلَ في رأسه شيئاً فلا سبيل إلى إرجاعه عنه ! كلُّ ما فعلناه هو إزعاجُكَ دون نتيجة . أمّا بالنسبة إلى الولد ، فلْيَبْقَ هنا كما كان من قبل . احتفظ به فهو في خدمتك .

بطرس : وأنتَ ، عم آكيم ، ما قولُكَ ؟

آكيم : أنا ، نعم . . . لستُ أنتزعُ من الولد حرّيته . . . بشرط
أن . . . هذا . . . كنتُ أريدُ ، كما ترى ، نعم . . .

ماتريونا : بمَ تَهذر ؟أنت نفسك لا تَعْرِفُ بم . ليبقَ الولدُ كما
كان من قبل ! وهو نفسُه لا يريد أن يترك عمله . لا حاجةَ
بنا إليه . سنتدبّر أمورنا وحدنا .

بطرس : لكنْ ، يا عم آكيم ، إذا أخذْتَه في الصيف ، فسوف
أستغني عنه في الشتاء . إذا أراد أن يبقى فَلْيَبْقَ السنةَ
بكاملها .

ماتريونا : بالتأكيد ، نعم ، سيلتزم بالسنة كلها . وإذا احتجْنا نحن ،
في الأعمال الصعبة ، إلى عَوْنٍ ، استأجرْنا أحداً . أما
الولدُ فليَبْقَ ، وستُعطينا أنتَ ورقةً بعشرة روبلات . . .

بطرس : لسنة تامة أيضاً ، إذن ؟

آكيم ، متنهّداً : إذا كان الأمرُ كذلكَ . . . نعم ، حينئذٍ . . .
أترى . . . وهو كذلك .

ماتريونا : نعم ، لسنة كاملة ، بدءاً من سبت القديس دميتري(١) .
أما الأجرة ، فلن تجور عليْنا فيها : وأما ورقة العشرة ،
فهاتِها الآن . ساعدْنا !

(تنهض وتنحني أمام بطرس) .

---

(١) القديس دميتري : يقع هذا العيد في ٢٦ تشرين الأول .

المشهد — ١٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، آنيسيا وآنوتكا . آنيسيا تجلس على حدة »

بطرس : هيا ! الأمورُ على ما يرام ، وبما أنها سُوِّيتْ هكذا ، فلنذهبْ إلى النزل ولنشربْ كأساً ! هيا ، عم آكيم ، إلى كأسٍ من ماء الحياة !

آكيم : لن أتناول شيئاً . . . .

بطرس : تتناول الشاي ، إذن .

آكيم : الشاي . . . نعم . . . فأنا أُحبه .

بطرس : والمرأتان ستشربان شاياً أيضاً . نيكيتا ، أنتَ ، أدْخل الخراف واجمع القشّ .

نيكيتا : طيب

(يذهب الجميع ، ما عدا نيكيتا . الظلام يهبط) .

المشهد — ١٦ —

نيكيتا ، وحده ، مشعلاً سيجارةً : يا لهم من مِلْحاحين ! « قُلْ لنا ماذا تَفْعل مع البنات ! » إذا كان لا بدّ من حكاية كل شيء ، فإن تنتهي الحكاية ! كلّهم مجمعون على القول : « تزوّجْ ! » إن كان ينبغي الزواج بهنّ جميعاً ، فكم مرأةٍ ستتزوج ! لا داعي للزواج ، فأنا أعيشِ أفضل مما يعيش المتزوّج ! غيري يغار من المتزوج . . . هذا مضحك مع ذلك . . . كأنهم دفعوني إلى حَلْف اليمين دفعاً عندما رسمتُ علامة الصليب أمام الأيقونة المقدّسة . . . وبذلك

قطعتُ عليهم الطريق . . . يُقال : إن اليمين الكاذبة شيء خطير . . . يا للحماقة ! . . . ليست شيئاً . . . كلام فارغ ، لا غير !

المشهد – ١٧ –

« نيكيتا ، آكولينا »

آكولينا ، تدخل وتضع حبْلَتها على المقعد ، وتخلع قفطانها وتذهب إلى غرفة المهملات : كان يجب أن تُشعل الضوء . . .

نيكيتا : لكي انظر إليكِ ؟ إني أراك جيدا بدون الضوء .

آكولينا : أتريد أن تسكت !

المشهد – ١٨ –

« آكولينا ، نيكيتا ، آنيوتكا »

آنيوتكا ، تدخل على عجل ، بصوت خافت لنيكيتا : نيكيتا ، أسرعْ ، هناك مَنْ تسأل عنك . . . حقاً !

نيكيتا : مَنْ ؟

آنيوتكا : « مارينا » السكة الحديدية ، هي في الشارع ، في الزاوية .

نيكيتا : غير صحيح .

انيوتكا : اوه ! عسى أن أموت . . .

نيكيتا : وماذا تريدُ إذن ؟

انيوتكا : ترجوك أن تخرج . قالت : « ليس عندي سوى كلمة واحدة أريد أن أقولها له » . لكنها سألتْني إن كان صحيحاً أنك ستذهب من عندنا فأجبتُها أنا : لا . وقلتُ لها : أبوه أراد أن يأخذه ، ويزوّجه ، لكنه رفض ، وسيبقى أيضاً سنةً أخرى . فقالت لي حينئذٍ : « أرسليه إليّ ، بجاه الله ! فعندي كلمةٌ سأقولها له . وهي تنتظر منذ وقت طويل . اذهبْ إليها إذن !

نيكيتا : لتغربْ من وجهي ! ولماذا أذهب ؟

انيوتكا : قالت إن لم يأتِ فسوف أَدخلُ البيت ! عسى أن أموت إن لم تكن قالت : « سأدخل البيت ! » .

نيكيتا : لا تخافي ، ستنصرفُ عندما تتعب من الانتظار . . .

انيوتكا : قالت : وهل سيزوّجونه بآكولينا ؟ »

آكولينا ، تتقدّم لتأخذ مغزلها : مَنْ الذي سيزوّجونه بآكولينا ؟

انيوتكا : نيكيتا .

آكولينا : ليس الأمر سهلاً إلى هذا الحد ! مَنْ الذي قال هذا ؟

نيكيتا : يا عذراء ! يبْدو أن هذا يُقال . (ينظر إليها ويبتسم) ما رأيك ، يا آكولينا ، أترضين بي ؟

آكولينا : بك ؟ قبلُ ، ربّما ؛ أما الآن فلا .

نيكيتا : ولمَ لا الآن ؟

آكولينا : لأنك لن تحبني .

نيكيتا : ولمَ لا ؟

آكولينا : لن يُسْمَحَ لك بذلك .

نيكيتا : ومَنْ الذي لن يسمح لي ؟

آكولينا : خالتي . إنها تجدّف دائماً ، وهي تراقبُك طوال الوقت...

نيكيتا ، ضاحكاً : أرأيتم ! إنها تلاحظ بدقة .

آكولينا : أنا ! ليس لي ما ألاحظه ، لكنّي لستُ عمياء . لقد أوسعتْ أبي شتماً اليوم العجوزُ العنيدة .

(تذهب إلى غرفة المهملات) .

آنيوتكا : نيكيتا ، انظرْ ! (تنظرُ إلى النافذة) . ها هي قد جاءت ! عسى أن أموت إن لم تكن هي ، سأنصرف .

(تخرج)

المشهد — ١٩ —

« نيكيتا ، آكولينا ؛ في المكتب ، مارينا » .

مارينا : ما الذي تَفْعلُه بي ، يا نيكيتا ؟

نيكيتا : ما الذي أفعلُه ؟ إني لا أفعل شيئاً .

مارينا : تريد أن تتنكّر لي ؟

نيكيتا ، يقف ، مغضباً : تأتين إلى هنا ؟ لا مثيلَ لهذ العمل !

مارينا : آه ! نيكيتا !

نيكيتا : انتنّ مضحكاتٌ ، حقاً ! ماذا جئتِ تفعلين هنا ؟

مارينا : نيكيتا !

نيكيتا : نعم ، أنا نيكيتا ! ماذا تريدين ؟ انصرفي ، قلتُ لكِ !

مارينا : نعم ، أرى أنك تريد أن تتخلّى عني . . تريد أن تنساني . .

نيكيتا : وما الذي عليّ أن أتذكّره ؟ هي نفسها لا تعرف ما هو ؟ كنتِ في الشارع ، وأرسلتِ آنيوتكا . . . فلمْ أذهبْ ... أنت ترَين إذن أنني لستُ بحاجةٍ إليك ، بكل بساطة . حسناً ! انصرفي إذن !

مارينا : لستَ بحاجة ! الآن لم تعد بحاجة إلي ! ظننتُ أنك ستحبّني ، والآن ، لم تعد بحاجة إليّ ، بعد أن قضَيتَ عليّ !

نيكيتا : كل هذا ، كلامٌ لا يقدّم ولا يؤخّر ، حماقات ! أنتِ التي جئتِ وأخبرتِ أبي ؟ انصرفي ، انصرفي !

مارينا : أنت تعلم جيداً أني لم أحبّ غيرك . ولن أغضب سواء تزوجتَني أم لم تتزوجني . . . لكنْ بما أنني لم أُخطىء معك ، لمَ لم تعدْ تَحبّني ؟ لماذا ؟

نيكيتا : ينبغي ألا نتكلّم كلاماً لا جدوى منه ! انصرفي ! اوه ! الغبّيات ، كلهن مجنونات !

مارينا : ما يؤلمُني . . . لا أن تكون قد خدعتَني حين وعدْتني بالزواج ، بل لأنك لم تعدْ تحبّني . . . وليس هذا فقط ... بل لأنك فضّلْتَ علي أخرى ، وأنا أعرف مَنْ هي ! ...

نيكيتا ، يتقدّم نحو وهو بادي الغضب : لا داعي لكثرة الكلام

معكنّ ، أنتن النساء ، فأنتنّ لا تُذْعِنَّ للحق أبداً .
قلتُ لكِ انصرفي ، وإلا انتهت الأمور نهاية سيئة !

ماريتا : نهاية سيئة ؟ لعلك تريد أن تَضْربني ؟ حسناً ! اضربْني !
لمَ تُديرُ وجهَك ؟ أيه ! نيكيتا !

نيكيتا : قطعاً ، ليس هذا لائقاً . . . قد يأتي أحدٌ . ثمّ ما فائدةُ
الكلام ؟

ماريتا : انتهى الأمرُ ، إذن ؟ ولم يبقَ شيءٌ ! تأمرُني أن أنسى ؟
حسناً ! تذكّر ، يانيكيتا ! كنتُ أحافظ على شرفي كما
أحافظ على بؤبؤ عيني ، فقضيتَ عليّ من أجل لا شيء ،
وخدعتني ، ولم ترأفْ بيتيمة . . . (تبكي) . تنكّرتَ
لي وقتلتني ، ومع ذلك فلستُ حاقدةً عليك . ليحاسبْك
الله ! إذا وجدتَ خيراً مني فانسَني ، وإذا وجدت أسوأ
فتذكّرْني ! وسوف تتذكّرني ، يانيكيتا ! وداعاً ، بما أن
الأمر كذلك ! آه ! كم كنتُ أحبّك ! وداعاً ، لآخر
مرة !

(تريد أن تقبّله وتمسك رأسه بيديها) .

نيكيتا ، متخلّصاً منها : كفى ثرثرةً ! إذا كنتِ لا تريدين أن
تنصرفي ، فأنا سأنصرف . وابقي هنا .

ماريتا ، تُرسل صرخة : وحش ! (على عتبه الباب) لن يمنحك
الله السعادة !

(تخرج وهي تبكي) .

المشهد — ٢٠ —

« نيكيتا ، آكولينا » .

آكولينا ، خارجة من غرفة المهملات : يا لك من كاب ، نيكيتا !

نيكيتا : لماذا ؟

آكولينا : كم بكت !

(تبكي)

نيكيتا : وماذا يهمك من ذلك ؟

آكولينا : ماذا يهمني ! أهنتها ، وسوف تهينني كذلك أيضاً ، أيها الكاب !

(تعود إلى المكتب) .

المشهد — ٢١ —

« نيكيتا ، وحده » .

نيكيتا ، **بعد صمت** : يا لها من جذابة ! أحب النساء كما أحب السكر ، لكن ما أكثر الخطايا معهن ، آه ! . . . لا نهاية لها ! . .

ستار

الفصل الثاني

يُمثّل المسرحُ الشارعَ وبيت بطرس الخشبي . إلى اليسار ، البيت الخشبي وله مصطبة ودرج في الوسط. إلى اليمين باب العربات وزاوية من الفناء . في هذه الزاوية ، آنيسيا تَنْفُشُ القنب . بين الفصل الأول والفصل الثاني ستة أشهر .

المشهد - ١ -

« آنيسيا ، وحدها »

آنيسيا ، تتوقف وتصغي : هناك شيء آخر يطنّ ؟ لا بد أنه نزل عن الموقد .

المشهد - ٢ -

« آنيسيا ، آكولينا »

« تدخل آكولينا حاملة سطلين معلقين بقضيب خشبي » .

آنيسيا : هو ينادي . اذهبي وانظري ماذا يريد . ها هو ذا يزعق .

آكولينا : وأنتِ ؟

آنيسيا : قلتُ لكِ : اذهبي !

« تدخل آكولينا البيت »

المشهد – ٣ –

« آنيسيا وحدها »

أنهكني . . . لا يريد أن يقول أين وضع ماله . أمس بالذات ، كان في الرواق ، لعله خبأه فيه ؛ أما اليوم فلا أعرف أين . . . ومن حسن الحظ أنه لم يجرؤ على الانفصال عنه وأن المال ما يزال في البيت . آه ! ليتني أجده ! أمس كان المال معه ، واليوم لا أعرف أين هو ! . . آه ! لقد أرهقني .

المشهد – ٤ –

« آنيسيا ، آكولينا » .

« آكولينا تخرج من البيت الخشبي وهي تربط أطراف شالها »

آنيسيا : إلى أين تذهبين :

آكولينا : إلى أين أذهب ؟ يريد أن أذهب لأحضر العمة مارفا . قال لي : « اذهبي وأحضري أختي ، سأموت ! عندي لها كلمة ! » .

آنيسيا ، **بينها وبين نفسها** : يرسلها لتحضر أخته ! اوه ! يا رأسي . اوه ! ينوي أن يسلمها ماله . ما العمل ؟ (لآكولينا) . لا تخرجي ! إلى أين تذهبين ؟

آكولينا : أحضر العمة .

آنيسيا : قلت لك : لا تذهبي إليها . سأذهب بنفسي . الأصح

أن تذهبي إلى النهر لتنظيف الغسيل ، وإلاّ فلن يتسنّى لك أن تنتهي قبل الليل .

آكولينا : لكنه أمَرني بذلك . . .

آنيسيا : اذهبي إلى حيث أرسلتُكِ . أكررّ عليكِ أنني سأذهب بنفسي لإحضار مارفا . لاتنسي أن تأخذي أن القمصان المنشّفة على السياج .

آكولينا : القمصان ؟ أنتِ لن تذهبي إليها وهو قد أمر بذلك .

آنيسيا : قلتُ لكِ : إنني سأذهب . أين آنيوتكا ؟

آكولينا : آنيوتكا ؟ إنها تحرس العجول .

آنيسيا : أرسليها إلي . فلن تَخرج العجول .

(آكولينا تلمّ الغسيل وتخرج)

المشهد — ٥ —

« آنيسيا ، وحدها » .

إن لم أذهبْ إليها فسوف يغضب ؛ وإن ذهبتُ سوف يُسلّمها المال . وستضيع جهودي سدىً . لا أدري ماذا أفعل . سيتفجرّ رأسي !

(تتابع عملها) .

المشهد — ٦ —

« آنيسيا ، ماتريونا »

« تدخل ماتريونا ومعها قضيب ، تحمل سقطاً صغيراً » .

ماتريونا : كان الله في عونك ، يا فراولتي !

(تلتفت آنيسيا ، وترمي بشغلها ، وتصفق بيديها فرحاً)

آنيسيا : ما كنتُ انتظر مجيئكِ ، يا خالة ! الرب هو الذي أرسلكِ في الوقت المناسب !

ماتريونا : ولمَ ذاك ؟

آنيسيا : طار صوابي . . . يا للمصيبة !

ماتريونا : ما بك ؟ ما يزال حياً على ما يُقال ؟

آنيسيا : آه ! اسكتي ، إنه لا يحيا ولا يموت !

ماتريونا : والمال؟ ألم يسلمه الى أحد ؟

آنيسيا : قبل قليل ، بعثَ يُحضر أخته مارفا لا بد أن يكون ذلك بصدد المال .

ماتريونا : بالطبع . ألا يكون قد سلّمه الى أحد ؟

آنيسيا : لا ، لا يوجد أحد . . أنا أراقبه كالعقاب . . .

ماتريونا : وأين المالُ إذن ؟

آنيسيا : لا يقول أين . ولم أفلح في معرفة ذلك . إنه يغيّر مخابئه دائماً . أنا متضايقة بسبب آكولينا . . . هي غبية ، لكنها ترصدُني ، أيضاً ، وتقوم بالحراسة ! يا لرأسي المسكين ! أنا منهكة !

ماتريونا : إيه ! يا فراولتي ، سيَسْحبُ المالَ من تحت أنفكِ ، ثم تبكين عليه بقيّة عمرك . سيطردونك . . . دون أن تحصلي على شيء . وتكونين قد قَضَيْتِ حياتك ، يا

عزيزتي ، تكدّين حول هذا الشحيح ، حتى إذا صرتِ أرملةً وجب عليكِ أن تتسوّلي .

آنيسيا : اسكتي ، يا خالة ! قلبي يتمزّق . لا أدري كيف أعمل . بل لا أدري مَنْ أستشير . حدّثتُ نيكيتا عن ذلك ، لكنه لا يجسر على التدخل في هذه القضية . قال لي أمس فقط : إن المال تحت الأرض .

ماتريونا : حسناً ! وهل فتّشتِ عنه ؟

آنيسيا : غير ممكن . فهو دائماً هنا . وعلى حَسْب ما استطعتُ أن أرى ، إنه يحمل المال مرةً معه ، ومرةً أخرى يُخبئه .

ماتريونا : تذكّري جيداً ، يا بنتي ، أنكِ إذا أخطأتِ الهدف هذه المرة ، فلا سبيل إلى إصلاح الخطأ طوال حياتك . (بصوت منخفض) . هل أعطيتهِ شاياً ثقيلا ؟

آنيسيا : أوه !

(تريد أن تتكلم ، لكنها تسكت عندما ترى جارتها) .

المشهد — ٧ —

« المرأتان ، غرّابة مرّتْ أمام البيتَ الخشبي وسمعت صراخاً » .

العرّابة ، لآنيسيا: آنيسيا ! يا آنيسيا ! أليس رَجلُكِ هو الذي ينادي ؟

آنيسيا : إنه يسعل دائماً هكذا ، فكأنه يصرخ . حالتهُ سيئة

العرابة ، تتقدم نحو ماتريونا : صباح الخير ، أيتها الجدّة العزيزة ، من أين جئتِ ؟ .

ماتريونا : من منزلي ، يا عزيزتي . جئتُ أستخبرُ عن ابني . وقد حملتُ إليه قمصاناً . تعلمين ، الناس يفكّرون كثيراً في أبنائهم .

العرابة : **طبيعي . (لآنيسيا)** : أردتُ ، يا اشبينتي ، أن أغسل الأغطية . لكنني أعتقد أن الأوان لم يحن بعد . فلم يبدأ أحدٌ .

آنيسيا : ألمَ العجلة ؟

ماتريونا : هل اعترفَ ؟

آنيسيا : نعم ، جاء الكاهن أمس .

العرابة ، لماتريونا : وأنا أيضاً ، ألقيتُ عليه نظرة خاطفة أمس . لا أدري كيف يعيش . فكم نحلَ جسمُه ! أمس ، كان يُحتضر حقا . . . فوضعناه تحت الأيقونة المقدّسة ، وبكيناه ، وتهيّأنا لغسله . . .

آنيسيا : ثم عاش ! نهض وأخذ يتجوّل .

ماتريونا : هل مُسِحَ المسحة الأخيرة ؟

آنيسيا : نُصِحْنا بذلك . إذ ظلّ حياً فسوف نرسلُ غداً مَنْ يُحضِرَ الكاهن .

العرّابة : لا شك أن ذلك مزعجٌ لكِ ، يا صغيرتي آنيسيا . صَدَقَ قولُهم : المريضُ حقاً ليس من يلزم السرير بل الذي حول السرير .

آنيسيا : يجب أن ينتهي ذلك ، على كل حال ، بشكل أو بآخر .

العرابة : بالتأكيد ! فها هو ذا يحتضر منذ سنة ! إنه يُقيِّد يديك :

ماتريونا : وليس مبهجاً أيضاً أن تصبح المرأة أرملةً . هذا حسن عندما تكون شابة ، أما عندما تكبر فهي لا تجد مَنْ يَرْثي لها . ليست الشيخوخةُ فرحاً . انظرا إليَّ مثلاً : لستُ كبيرة وأنا منهكةٌ . لستُ أحسُّ بساقيّ . أين ابني ؟

آنيسيا : إنه يحرث . ادخلي ، سنسخّن السماور . وستستعيدين قواك بفنجان من الشاي .

ماتريونا ، جالسةً : حقاً ، يا عزيزتي ، إني متعبة . أما المسحة الأخيرة فهي ضرورية حتماً . يُقال إنها نافعة للنَفْس .

آنيسيا : نعم ، سنُرسل غداً . . .

ماتريونا : الأمور أفضل هكذا . وعندنا عرسٌ ، يابنتي .

العرابة : وكيف ؟ في الربيع ؟

ماتريونا : صدق المثلُ : « عندما يتزوج الفقير ، يَقْصُرُ ليلُه » . سيمون ماتفتيش سيتزوج مارنيا .

آنيسيا : وجدتْ سعادَتَها على كل حال .

العرابة : أعتقدُ أنه أرمل . وتزوّجها من أجل أولاده .

ماتريونا : له أربعة . أية فتاةٍ شريفةٍ ، ولو قليلاً ، تقبل بذلك ؟ تزوّجتْه ، وهي مسرورة . ياعذراء ! كانوا يشربون الخمر ويبدو أن في المسألة شُبهة . . . كانت الكأس مثقوبةً . . .

العرابة : نعم ، في الواقع ، كان الناس يتحدّثون عن ذلك ! والزوج أهو في بحبوحة .

ماتريونا : هم يعيشون عيشةً مقبولةً حتى الآن .

العرابة : قليلاتٌ الفتياتُ اللواتي يقبلن الأولاد ؛ عندنا مثلاً ميشيل ، هو فلاحٌ ، يا أمي . . .

صوتُ فلاح : ايه ! مافرا ، أين انقلعْتِ ؟ أرجعي البقرة !

(تنصرف الجارة) .

المشهد – ٨ –

« آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا : تتكلّم بلهجة ثابتة ، أثناء انصراف الجارة : لقد زوّجوها ، يابنتي . وهي الآن بعيدةٌ عن الخطيئة ، على الأقل ، ولن تساور الشكوكُ زوجي الغبي حول نيكيتا (ثم تقول فجأةً ، وبصوت خافت) . ها هي ذي انصرفتْ ! قولي لي ! هل سَقَيْتِهِ الشاي ؟

آنيسيا : لا تذكّريني بذلك . الأفضل أن يموت وحده . إنه لا يموت مع ذلك ، وكل ما فعلتهُ أني أثْقلتُ ضميري ، بخطيئة . اوه ! يا لرأسي ! لمَ أعطيتني هذه المساحيق ؟

ماتريونا : هذه المساحيق ، يابنتي ، منوّمةٌ ، فلماذا لا تعطينه منها ؟ لا ضرر في ذلك .

آنيسيا : لا أتكلّم عن التي تنوّم ، بل عن الأخرى ، البيضاء . . .

ماتريونا : والبيضاء ، يا فراولتي ، مساحيق طبيّة .

آنيسيا ، متنهّدة : أعلم، لكنني خائفة مع ذلك . اوه! لو تعلمين كم أَجْهدَني . . .

ماتريونا : وهل وضعتِ له كثيراً منها ؟

آنيسيا : اعطيتهُ مرّتين ؟

ماتريونا : ألم تلاحظي شيئاً ؟

آنيسيا : غمستُ فيها طرف لساني . فأحسستُ بمرارةٍ خفيفة . أما هو فأخذها في الشاي وقال : « حتى الشايَ عفنْتهُ ! فقلتُ له أنا : « كل شيء مر في فم المرضى » أوه ! يا خالتي ! كم شعرتُ بالضيق !

ماتريونا: لا تفكّري في ذلك ! فعندما نفكّر في ذلك ، يزدادُ ضيقنا !

آنيسيا : كان الأفضل ألا تُعطيني إياها وألاّ تدفعيني إلى الخطيئة . عندما أتذكّر ذلك يتفتّتُ قلبي . لمَ أعطيتني إياها ؟

ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ، مهلاً . حفظَكِ الله ، يا فراولتي ! لم تُلْقين التبعة كلها عليّ؟ لاتجعلي من افكارك افكاراً لي . إذا ما حدث شيءٌ أياً كان ، فسأغسل يديّ منه . وسأقول : إني لا أعرف شيئاً على الإطلاق . سأقبّل الصليب وسأَحْلفُ أني لم أر المساحيقَ المذكورة ، بل لم أسمعْ بها . فكّري في ذلك جيداً ، يابنتي ! كنّا نتحدّثُ عناك مؤخّراً : « كم تتألّم ، المسكينة ! بنت الزوج غبيّة ، والرجلُ

عَفِنٌ ، لَزِقَةٌ حقيقية ! ما الشيءُ الحسن الذي يطلع من مثل هذه الحياة ! »

آنيسيا : أما أنا فلن أتراجع ! فليس في هذه الحياة التي أحياها ما يستوجب التورط في مثل هذه المغامرة فقط ، بل ما يستوجب أن أشنق نفسي أو أخنقها ! وهل هذه حياةٌ ؟

ماتريونا : ممتاز ! ليس لديك وقتٌ تضيعينه الآن ! يجب أن تعثري على المال بطريقة أو بأخرى ويجب أن تسقيه شاياً .

آنيسيا : أوه ! يا لرأسي المسكين ! لا أدري ما أفعل . أُحسُّ بالضيق . آه ! ليته يموتُ من ذاته ! لأني أخاف أن أُثقل ضميري .

ماتريونا ، بخبث : لماذا لا يقول أين المال ؟ أيبتغي أن يحمله معه حتى لا يستفيد منه الآخرون ؟ أَعَدْلٌ هذا ؟ حفظنا اللهُ ! الكثير من المال سيضيع وسيفقدهُ الجميع ! أليس هذا خطيئةً ! ماذا يفعل إذن !

آنيسيا : لم أعدْ أعرفُ شيئاً أنا نفسي . نَفَدَتْ قواي !

ماتريونا : ما الذي لا تعرفينه ! المسألة واضحة ! إن أخطأتِ الهدفَ هذه المرة ، ندمتِ على ذلك طوال حياتك . سيسلّم المال إلى أخته ، وستظلّين على الأرض .

آنيسيا : لقد أرسل يُحضرها . يجب أن أذهب إليها .

ماتريونا : انتظري قبل أن تذهبي . سخّني السماور ، قبل كل شيء ؛

سَنسقيه شاياً ، وسنبحث عن المال معاً . ربما أفْلحْنا في العثور عليه .

آنيسيا : وإن وقع لنا سوءٌ ؟

ماتريونا : وماذا تنوين أن تفعلي إذن ؟ لا يمكنك أن تظلي مكتوفة اليدين . أتقنعين بالنظر إلى المال دون أن تمسّيه . تصرّفي !

آنيسيا : سأذهب إذن لأغلي السماور .

ماتريونا : اذهبي ، يا فراولتي ، وافعلي ما يجبُ فعلُه حتى لا تأسفي على شيء . (تذهب آنيسيا . تناديها ماتريونا) . وإياك أن تقولي شيئاً عن ذلك كله لنيكيتا . تعرفين كم هو بسيط . فعسى ألا يعلم شيئاً عن موضوع المساحيق ، لأني لا أدري ما الذي يُقْدم عليه لو عَرفَ . إنه حسّاسٌ جداً ، ولم يكن يجرؤ على ذبح دجاجة . لا تخبريه . فإن يفهم شيئاً . . .

(تتوقّف ،رتعبةً وهي ترى بطرس يظهر على العتبة) .

المشهد — ٩ —

« **المرأتان ، بطرس** » .

بطرس ، يتشبّث بإطار الباب ، وبصوت ضعيف : ألا سبيلَ إليكِ ، اوه ! آنيسيا ، مَنْ هنا ؟

(يسقط على مقعد) .

آنيسيا ، خارجةً من ركنها : لمَ خرجتَ ؟ كان من الأفضل لك أن تظل حيث كنتَ .

بطرس : هل ذهبت البنتُ لإحضار مارفا ؟ . . . . إني أتألّم . . . .
اوه ! وإذا جاء الموت ! . . .

آنيسيا : لا وقتَ عند البنت . أرسلتُها إلى النهر . انتظرْ قليلاً .
إذا ما انتهيتُ ذهبتُ بنفسي .

بطرس : أرسلي آنيوتكا ! . . . أين هي ! اوه ! إني أتألّم ! اوه !
هذه هي منيّتي ! . . .

آنيسيا : أرسلتُ مَنْ يُحضرها .

بطرس : أوه ! وأين هي ؟

آنيسيا : أين هي ؟ ليُحطّم الشالُ عظامها !

بطرس : اوه ! تلاشتْ قواي ! . . . واحترقت أحشائي . . .
كأنني أُثْقَبُ بمخرز ! لمَ تتركونني وحدي ، كالكلب؟ . . .
ولستُ أجد مَنْ يَسْقيني . . . اوه ! ... أرسلي آنيوتكا . . .

آنيسيا : ها هي ذي ! آنيوتكا ، اذهبي إلى أبيك .

المشهد — ١٠ —

« **الأشخاص أنفسهم ، انيوتكا تدخل على عجل ، تذهب آنيسيا إلى الركن** » .

بطرس : اذهبي . . . اوه ! . . . أحضري . . . العمة مارفا . . .
قولي لها . . . أبي يدعوك . . . لِتأْتِ . . . أنا بحاجة
إليها . . .

آنيوتكا : حسناً ! . . .

بطرس : انتظري ! . . . قولي لها : أن تستعجل . . . قولي لها : إنني أموت . . . اوه ! . . .

آنيوتكا : سآخذ شالي وسأركض إليها !

(تخرج راكضة) .

المشهد – ١١ –

« بطرس ، آنيسيا ، ماتريونا » .

ماتريونا ، غامزةً بعينها : هيا ! يابنتي ! لا تنسي شغلَكِ : إذهبي إلى البيت وابحثي في كل مكان . . . افعلي كما تفعل الكلاب عندما تفلّي نفسها من البراغيث . نقّبي في كل مكان ، وأنا سأفتش البيتَ بعد قليل .

آنيسيا : أحسُّ معاكِ بشجاعةٍ أكبر . (تتقدم نحو مطاع الدرج ، لبطرس) هل أغلي السماور ؟ الخالة ماتريونا جاءت لترى ابنها ، فتناولا الشاي معا أنتَ وهي .

بطرس : حسناً ! افعلي ! . . .

(تدخل آنيسيا البيت الخشبي) .

المشهد – ١٢ –

« ، بطرس، ماتريونا ، ماتريونا تتقدّم نحو مطلع الدرج »

بطرس : طاب يومُكِ !

ماتريونا : طاب يومُكَ ، يا وليَّ نعمتي ! طاب يومك ، يا عزيزي !

أرى أنك ما تزال مريضاً . كم يرثي لك عجوزي . قال لي : « اذهبي واستخبري عنه » . وهو يسلّم عاياكَ .

(تنحني مرة أخرى) .

بطرس : أنا أموت . . .

ماتريونا : نعم ، فعندما أنظر إلياك ، يتّضح لي أن المرض لا يَهيم في أواسط الغابات ، بل بين الناس . لقد نحلْتَ ، نحلْتَ حقاً ، يا عزيزي ! والمرضُ لا يُزيّن صاحبَه . يا عذراء !

بطرس : موتي قد حان . . .

ماتريونا : هذه مشيئة الرب ، يابطرس اغناتيتش ! لقد مُنحتَ الأسرارَ ، بعون الله ، وستُمْسَحُ المسحة الأخيرة . . . وامرأتك ، لحسن الحظ ، ذكيّةٌ . . . ستُدفَن وستُقام لك وليمة الموتى ، كل ذلك بشكل لائق ، وسيدير البيتَ ابني ، في هذه الأثناء .

بطرس : لكنْ مَنْ سيأمُر ؟ . . . فزوجتي لا تعرفُ الجِدَّ ... إنها مشغولةٌ بالحماقات . . . ذلك أني أعرفُ كل شيء ، أنا . . . أعرف كل شيء . . . البنتُ بسيطةٌ قليلاً . . . وهي شابةٌ أيضاً . . . أدرتُ بيتي . . . شيئاً فشيئاً . . . ولن يكون هناك مَنْ يُديره . . . هذا يؤلمني !

(يبكي)

ماتريونا : إن كان ذلك بسبب المال ، فأنت تستطيع أن تتصرّف ...

بطرس ، لآنيسيا التي في البيت الخشبي : وآنيوتكا ! هل ذَهبتْ ؟

ماتريونا ، مخاطبة نفسها : ما يزال يتذكّر .

آنيسيا ، من داخل البيت الخشبي : ستذهب في الحال . ادخلْ إلى البيت . سأساعدك .

بطرس : دعيني هنا . . . لآخر مرة . . . الهواءُ ثقيلٌ في الداخل . . . إني أتألم . . . اوه ! أحرْقَ لي ذلك قلبي . . . أودّ لو أموت . . .

ماتريونا : إذا لم يَسْتلّ اللهُ الروحَ فهي لا تخرجُ من ذاتها . الحياةُ والموت بيد الله ، يا بطرس اغناتيتش ، ولا نستطيع أن نتنبّأ بموتنا . فقد نشفى . وهكذا كان عندنا فلاح يُحتضر ...

بطرس : لا ! أحسّ أنني سأموتُ اليوم . . . أُحسّ بذلك !

(يستند إلى الجدار ويغمض عينيه) .

المشهد — ١٣ —

« بطرس ، ماتريونا ، آنيسيا » .

آنيسيا : ماذا ؟ أتدخل أم لا تدخل ؟ طال انتظاري لك ، يا بطرس ! إيه ! بطرس !

ماتريونا : تنسحب قليلا ، وتنادي آنيسيا باصبعها : وجدْتِ ؟

آنيسيا ، نازلةً الدرج ، لماتريونا : لاشيء !

ماتريونا : هل فتّشتِ جيداً ؟ تحت الأرض الخشبية ؟

آنيسيا : لم أجدْه هناك أيضاً . لعله في مخزن الغلال . لقد صعد إليه أمس .

ماتريونا : فتّشي ، فتشي في كل مكان ! . . . في جميع الزوايا ...
أظنّه سيموت اليوم . . . وحده . أظافره زرقاء ولونه
غدا كلون الأرض . هل السماور جاهز ؟

آنيسيا : سيَغْلي .

المشهد – ١٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، يصل نيكيتا من الجانب ، وعلى حصان إن أمكن ، يقترب من باب العربات » .

نيكيتا : لأمه ، طاب يومُكِ ، يا أمي . هل الجميعُ بخيرٍ في البيت ؟

ماتريونا : نعم ، الحمدُ لله !

نيكيتا : والمعلمُ ، كيف حاله ؟

ماتريونا : تكلّمْ بصوت خافت ، ها هو ذا !

(تشير إلى مطلع الدرج) .

نيكيتا : حسناً ! ليَبْقَ ! ماذا يهمّني من ذلك ؟

بطرس ، يفتح عينيه : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ، تعال إلى هنا !

(يقترب نيكيتا ، وتتحدّث آنيسيا هي وماتريونا بصوت خافت) .

لم عدتَ مبكّراً ؟

نيكيتا : انتهيتُ من الحراثة .

بطرس : هل حرثتَ الأرضَ التي وراء الجسر ؟

نيكيتا : هذه بعيدة جداً الآن على الذاهب إليها .

بطرس : بعيدة ! نعم ، من هنا ، هي أبعد ، بالفعل . يجب أن تذهب إليها الآن خصّيصاً . بما أنك كنتَ فيها . . .

(آنيسيا تصغي ولا تُظهر نفسَها) .

ماتريونا ، تتقدّم : آه ! يا بني ، لماذا لم تعدْ مخاصاً لمعلّمك ! المعلم عاجزٌ . وهو يثقُ بك ، فيجب أن تخدمه كما تخدم أباك . ابذلْ جهدك كله ، اخدمْه أحسنَ خدمة ! هذا ما قلتُ لك أن تفعله .

بطرس : طيب ! اذهبْ وأخرج البطاطا من القبو . . . والنساءُ ، اوه ! . . . سيفْرزنها . . .

آنيسيا ، لنفسها : انتظرْ قليلا قبل أن أذهب . يُريد أيضاً أن يُرسل الناسَ جميعاً . . . ذلك لأن المال معه الآن . . . يريد أن يخبّئه .

بطرس : إذا جاء موعدُ زرعها تكون قد تعفّنت . اوه ! . . . لم أعدْ أحتمل ! . . .

(ينهض)

ماتريونا ، تصعد الدرجَ على عجل وتسند بطرس : أتريد أن أساعدك على الدخول .

بطرس : نعم ! (يقف) . نيكيتا !

نيكيتا : بخشونة : ماذا تريد أيضاً ؟

بطرس : لن أراك بعد الآن . . . سأموتُ اليوم . . . سامحْني ،
بجاه الله ، سامحني إن كنتُ قد أسأتُ إليك في يوم ما ،
بالقول . . . أو بالفعل . . . وقد أسأتُ بهما ! سامحْني !

نيكيتا : ليس لي أن أسامحك . نحن جميعاً خطاة .

ماتريونا : آه ! يا بني ، اصغ جيّدا إلى ما يقوله لك !

بطرس : سامحْني ، بجاه الله !

(يبكي)

نيكيتا ، بانفعال شديد: سامحكَ الله ، يا عم بطرس ! ليس لي أن
أحقد عليك ، فأنتَ لم تُسيءْ إليّ . سامحْني ، أنتَ .
فاعلي مُذْنبٌ بحقّك .

(يبكي . يخرج بطرس وهو ينتحب . تسنده ماتريونا) .

المشهد– ١٥ –

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! إنه لم يتكلّم لوجه الله . لا شك
أن في رأسه شيئاً . (تتقدّم نحو نيكيتا) . ولمَ قلتَ إن
المال تحت الأرض الخشبية ؟ لم أجِدْه فيها

نيكيتا ، باكياً ، بعد استراحة : لم يُسيءْ إليّ ، على العكس ، لم
يفعل معي سوى الخير . وأنا ، انظري إلى ما فعلتهُ !

آنيسيا : كفى ! أين المال ؟

نيكيتا ، مغضباً : ما أدْراني ، أنا ؟ فتّشي عنه .

آنيسيا : ماذا جرى لك حتّى صرتَ حسّاساً إلى هذا الحدّ ؟

نيكيتا : رقّ قلبي له . كيف أخذ يبكي !

آنيسيا : من حقّك أن يرقّ قلبك له ، وقد عاملك دائماً كما يُعامَلْ الكلبُ ! قبل قليل ، كان يأمرُ بطردك من البيت . لي أنا يجب أن يرقّ قلبُكَ .

نيكيتا : ولمَ لكِ أنتِ ؟

آنيسيا : سيموتُ ومالُه مخبوءٌ .

نيكيتا : لا تخافي . فلن يُخبِّئه .

آنيسيا : اوه ! يا صغيري نيكيتا ! لقد أرسل مَنْ يُحضر أخته . هو يريد أن يسلّمها إياه . يا لمصيبتنا ! كيف سنعيش إن أعطاها المال ؟ سيطردوننا . اعمل جهدك . قالتَ البارحة إنه ذهب إلى مخزن الغلال .

نيكيتا : نعم ، رأيتُه يخرج منه ، لكنني لا أعلم أين يكون قد وضعه .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! هل ينبغي أن أذهب إلى المخزن لأرى !

(نيكيتا ينصرف) .

المشهد — ١٦ —

ماتريونا : تخرج من البيت الخشبي ، تنزل مطلع الدرج وتُكلّم آنيسيا بصوت منخفض : لا تَبْحثي بعد الآن ، المالُ معه ! جَسَسْتُه أنا . المالُ معلّق في عنقه بحبل صغيرة .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين !

ماتريونا : وإذا لم تضعي يدك عليه فوراً فلن تجديه إلا على جناح النسر . ستأتي أختـُه ، وحينئذ ، السلامُ على المال !

آنيسيا : صحيح ! ستأتي وسيسلـّمها إياه . . . ما العمل إذن ؟ .

ماتريونا : ما العمل ؟ انظري ، السماور أخـَذ يَغْلي . اصنعي شاياً وصبّي له ! (بصوت خفيض) . وأفرغي كلّ ما في الورقة ... ثم اسقيه إياه . . . فاذا شرب فنجاناً فتـّشي ... ولا تـَخْشي شيئاً . . . لن يـَرْوي ذلك لأحد !

آنيسيا : أنا خائفة !

ماتريونا : لا تنطقي بالحماقات ! أسرعي . وأنا سأنتظر الأختَ إن كان لا بدّ من ذلك . وقبل كل شيء فتـّحي عينيك ! وانتزعي المال واحمليه إلى هنا . سيخبـّئه نيكيتا .

آنيسيا : آه ! يا رأسي ! لا أدري أين أبدأ :

ماتريونا : لا تفكرّي ! افعلي ما أقوله لكِ ! نيكيتا !

نيكيتا : ماذا ؟

ماتريونا : انتظرْ هنا ، على المقعد ، تحسباً لما قد نحتاج إليه . . .

نيكيتا ، بحركة تضجـّر : اوه ! من هؤلاء النساء ! انهن يخترعن دائماً أشياء جديدة ، سيـُفـْقدنني رشدي . آه ! دعيني وشأني ، الأفضل أن أذهب لأُخرج البطاطا من القبو .

ماتريونا : توقفه من ذراعه : قلتُ لك ، انتظرْ .

المشهد – ١٧ –

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا» .

آنيسيا : هل رأيتِها ؟

آنيوتكا : كانت في بستان ابنتها . وستأتي .

آنيسيا : ستأتي . . ماذا سَنفعل ؟

ماتريونا، الآنيسيا : معكِ وقتٌ ، افعلي ما أقوله لك .

آنيسيا : لا أعلم . . . لم أعدْ أعلمُ شيئاً . . . تشرّشتْ أفكاري ... آنيوتكا ، يابنتي العزيزة ، اذهبي وانظري إلى العجول ! . . . لا بد أنها فلتتْ . . . أوه ! لستُ أجسر على ذلك !...

ماتريونا : اذهبي ! أراهنُ أن السماور فار .

آنيسيا ، ذاهبةً : آه ! يا لرأسي المسكين !

(تخرج)

المشهد – ١٨ –

« ماتريونا ، نيكيتا » .

ماتريونا ، تتقدّم نحو ابنها : هكذا يابني ! (تجلس قربه على المقعد) . يجب أن نفكّر في قضيّتك وألا نتصرف بلا تروٍ .

نيكيتا : وأية قضيّة هذه ؟

ماتريونا : أن نُحسن تدبير حياتك في هذه الدنيا .

نيكيتا : تدبير حياتي ! كل الناس يعيشون ، وسأعيش كما يعيش سائرُ الناس .

ماتريونا : أظنّ العجوز سيموت اليوم .

نيكيتا : إنْ مات فليذْهبْ إلى السماء ! ماذا يهمّني من ذلك ؟

ماتريونا ، لا ترفعُ نظرها عن مطلع الدرج وهي تتكلّم : آه ! يابني ، الأحياءُ يجب أن يفكّروا في شؤون هذه الدنيا . وهم بحاجة إلى كثير من الذكاء . فبسبب أفكارك السخيفة أراني مضطرّة لأتدخّل في كل شيء ، ولأرهق نفسي وأنا أهتمّ بك . تذكّرْ ذلك جيداً ولا تَنْسه فيما بعد .

نيكيتا : وبمَ اهتممتِ ، أخبريني ؟

ماتريونا : بم اهتممتُ ؟ بمصيرِك ، بمستقبلك . إن لم نفكّر في ذلك مسبقاً فلن نصلَ إلى شيء . تَعْرِفُ ايفان موسيتش ، أليس كذلك ؟ أنا على علاقة حسنة به . وقد دخلتُ عليه مؤخّراً لأمر من أموري . . . جلستُ وأخذنا نتبادل شتّى الأحاديث ، وأثناء ذلك سألتُه : « كيف يمكننا ، يا ايفان موسيتش أن ندبّر قضيّةً من هذا النوع ؟ لنفترض أن لدينا رجلاً أرملاً وأنه تزوج امرأةثانية بعد موت الأولى ، وليس له من الأولى مثلاً سوى بنت ، ومن الثانية سوى بنت . ولنفرض أنه مات ، فهل يحق لأرملته أن تُدخل إلى البيت زوجاً ثانياً ؟ » فقال لي : « نعم ، هذا ممكنٌ . لكن لا بد لذلك من البراعة . وبالمال يمكن تدبير هذه القضية ، أما بدون المال فيجب ألا تفكّري فيها » .

نيكيتا ، ضاحكا : بلا ريب ! ما عليكِ إلا أن تُعطي المال . كلُّ الناس محتاجون إلى المال .

ماتريونا : إذن ، يا عزيزي ، حدّثتُه عن كل شيء . فقال لي : « أولاً : يجب أن يُسجّل ابنُك في هذه الناحية . ولا بدّ لذلك من المال . . . ليَسْقيَ الكبار ... حينئذ يوقّعون . يجب أن تفعلي كل شيء بذكاء » . خذْ ، انظرْ (تأخذ ورقةً من شالها) . هذه هي الورقة التي عملها لي . اقرأْها ، أنتَ عالمٌ ، أنتَ !

(يقرأ نيكيتا بصوت خفيض وماتريونا تصغي) .

نيكيتا : هذه ورقة كسائر الأوراق . هي شهادة تسجيل . وهي لا تحتاج إلى كل هذا الذكاء .

ماتريونا : واسمعْ إلى ما قاله ايفان موسيتش أيضاً . « ولتحرصْ يا خالة ، ألا يفلت المالُ منها » . فاذا لم تضع يدها عليه ضاع الزوجُ منها . المالُ عصبُ كل شيء . فانتبهْ ، يابني ، لأن اللحظة المناسبة قد حانت .

نيكيتا : ماذا يهمّني من ذلك ؟ المال لها . ولتُدبّرْ أمْرها !

ماتريونا : ايه ! يابني ، كيف تفكّر ! أتحسنُ المرأة تدبيرَ أمرها ؟ حتى لو أخذت المال فهي لا تُحسن التصرّفَ به . المرأة ، معروفة ! أما أنت فرجل ، وتستطيع أن تخبّئه . وأنت أقدر على تدبير أمورك إذا ما حدث شيء .

نيكيتا : مشاريعكن ، أنتن النساءُ ، غير معقولةٍ على الإطلاق .

ماتريونا : ولمَ ، غير معقولة ؟ ضَعْ يدك على المال تملك المرأة ، فاذا خطر لها أن تجنح كانت لديك الوسيلةُ لكبحها !

نيكيتا : دعيني وشأني ، سأنصرف !

المشهد — ١٩ —

« نيكيتا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

« تخرج آنيسيا على عجل من البيت الخشبي وهي شاحبة » .

آنيسيا ، لماتريونا : حتماً ، كان المال معه ! وها هو ذا !

(تشير إلى ما تحت مئزرها) .

ماتريونا : أعطي نيكيتا هذا المال وسيخبئه ! خذهُ وخبّئه ، يا نيكيتا ، في مكانٍ ما ..

نيكيتا : حسناً ! هاتيه !

آنيسيا : آه ! يا رأسي ! أهذا أنا حقاً ؟ . . .

(تمضي نحو باب العربات) .

ماتريونا ، توقفها من ذراعها : إلى أين تذهبين ؟ سيُلاحَظُ غيابكِ . وستأتي أختُه . . . أعطيه إياه . . . إنه يعلم . . . اوه ! يا للمجنونة !

آنيسيا ، مترددة : أوه ! يا رأسي !

نيكيتا : هاتيه ، إن شئتِ ! سأخبّئه في مكانٍ ما .

آنيسيا : وأين ستُخبئه ؟

نيكيتا : لعلّكِ تخافين ؟

(يضحك)

المشهد — ٢٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا ، راجعةً مع الغسيل » .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين !«تسلّمه المال» . حافظْ عليه، يا نيكيتا !

نيكيتا : ممّ تخافين ؟ سأخبّئه في مخبأ آمن بحيث لا أعثر عليه أنا نفسي .

(يخرج)

المشهد — ٢١ —

« ماتريونا ، آنيسيا ، آكولينا » .

آنيسيا : مرتعبةً اوه ! ليته . . .

ماتريونا : وهل مات ؟

آنيسيا : أعتقد أنه مات . نزعت الكيسَ من عنقه ، ولم يُحسّ بشيء . . .

ماتريونا : هيّا ، اذهبي إلى البيت الخشبي . ها هي ذي آكولينا .

آنيسيا : أنا التي ارتكبت الإثم . . . وإذا استولى على المال ؟

ماتريونا : كفى ! ادخلي البيت . ها إن « مرفا » جاءت .

آنيسيا : وثقْتُ به ! . . . سنرى .

(ترجع إلى البيت) .

المشهد — ٢٢ —

« مارفا ، آكولينا ، ماتريونا » .

« تدخل مارفا من جهة ، وآكولينا من الأخرى » .

مارفا ، لآكولينا: كنتُ سآتي في وقت أبكر ، لكني كنت عند ابنتي . ما الخبر ؟ أيريد العجوز أن يموت ؟

آكولينا ، تضع غسيلها : لا أدري . أنا آتيةٌ من النهر .

مارفا ، مشيرة إلى ماتريونا : مَنْ هذه المرأةُ ؟

ماتريونا : أنا مِنْ زويفو ! أم نيكيتا ، من زويفو ، يا عزيزتي ! طاب يومكِ ! كم ستَتيمَ ، كم ستَتيمَ أخوك ! لقد خرج هو نفسه وقال : أحضروا لي أختي لأن . . . لأن ...» اوه ! أيكون قد مات ؟ . . .

المشهد — ٢٣ —

« الأشخاصُ أنفسهم وآنيسيا التي تخرج راكضةً من البيت الخشبي . تضم أعمدة مطلع الدرج وهي تزعق » .

آنيسيا : اوه ! اوه ! ... لماذا تركتَني ... وحيدةً ... أرملةً ... تعسةً ... إلى الأبد ... إلى الأبد ... لقد أغْمض عينيه ... عينيه الصافيتين . . .

المشهد — ٢٤ —

« الأشخاص أنفسهم . العرّابة . العرّابة وماتريونا تسندان آنيسيا

من تحت ذراعيها . تدخل آكوليتا ومارفا إلى البيت الخشبي . يُهرَعُ الجيران » .

صوت : يجب دعوةُ العجائز لغسل الميت .

ماتريونا ، مشمّرةً كميّها : هل في القدر ماءٌ ! آه ! ما زال في السماور ماء . سأشرع في العمل .

ستار

الفصل الثالث

« يُمثّل المسرحُ بيتَ بطرس الخشبي أثناء الشتاء . بين الفصلين الثاني والثالث تصرّمتْ تسعة شهور . آنيسيا في ثياب البيت ، تنسج أمام نول . آنيوتكا مستلقية على الموقد . ميتر تيش عامل ريفيّ عجوز » .

المشهد — ١ —

« آنيسيا . آنيوتكا ، ميتر تيش » .

ميتريتش ، يدخل ببطء ، ويخلع معطفه المصنوع من جلد الحمل :
آه ، يا إلهي ! ألم يعد المعلمُ بعدُ ؟

آنيسيا : كيف ؟

ميتر تيش : ألم يعد نيكيتا بعدُ من المدينة ؟

آنيسيا : لا .

ميتريتش : لعله يَمْجُنُ هناك . آه ! إلهي !

آنيسيا : هل انتهيتَ من درس القمح ؟

ميتر تيش : طبعاً ! ورتّبتُ القشّ . لستُ أحبُ أن أفعل الأشياء إلى نصفها اوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا !(يحك جسأتيه بيديه) . ينبغي ، مع ذلك ، أن يكون قد عاد .

آنيسيا : لا حاجة به إلى العجلة . فمعه مال . . . وهو يتسلّى مع البنت

ميتريتش : يا عذراء ! إن كان معه مالٌ، فلماذا لا يتسلّى ؟ ولماذا ذهبت آكولينا إلى المدينة ؟

آنيسيا : اسألها هي لماذا حملها الشيطان إلى المدينة ؟

ميتريتش : يا عذراء ! فمع النقود ، في المدينة ، نحصل على كل شيء . يا إلهي !

آنيوتكا : ماما ، أنا سمعته . . . بأذنيّ ، يقول لها : « سأشتري لك شالاً تختارينه أنت بنفسك » . وقد لبستْ أحسن ثيابها . ارتدت قميصها الفضفاض المخملي وشالاً فرنسياً .

آنيسيا : الحقّ مع من قال : إن حياء البنات لا يتجاوز عتبة الباب . فما أن تجتازه حتى تنساه اوه ! الوقحة ! . . .

ميتريتش : باه ! الحياء ، وما نفْعُه ؟ إذا توفّر المالُ لنا تسلّينا . اوه ! إلهي ! ألم تأت ساعةُ العشاء ؟ (آنيسيا تلزمُ الصمت). سأتدفّأ ريثما يحين الوقتُ . (يتسلّق إلى المدفأة) . اوه ! يا إلهي ! يا عذراء ! يا قديس نيكولا !

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . العرّابة » .

العرّابة ، داخلةً: ورَجلُك ؟ يبدو أنه لم يعد بعدُ ؟

آنيسيا : لا .

العرّابة : آن له أن يعود . لعله توقّف في النزل ؟ قالت لي أختي فيولكا : إن أمامه الكثيرَ من العربات ؟

آنيسيا : آنيوتكا ! أيه ! آنيوتكا !

آنيوتكا : ماذا ؟

آنيسيا : اذهبي وانظري في النزل . انظري إن كان نيكيتا قد توقّف ، لأنه سكران .

آنيوتكا ، تقفز إلى أذن الموقد ، وتضع شالا : أنا ذاهبة إلى هناك .

العرّابة : وهل أخذ معه آكولينا ؟

آنيسيا : لولاها لما ذهب إلى المدينة . هي سبب كل هذه المشاكل . قال : عليّ أن أتسلّم مالاً من المصرف » . هي التي تعقّد كل شيء .

العرابة ، هازّةً رأسها : بديهي .

آنيوتكا ، على العربة : إذا كان هناك ، فماذا أقول له ؟

آنيسيا : انظري فقط إن كانَ هناك .

(تخرج)

المشهد — ٣ —

« آنيسيا ، ميترتيش ، العرّابة . صمت طويل » .

ميترتيش : متأوّهاً ، اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف !

العرابة ، جافلةً : اوه ! كم خوّفني ! مَنْ هذا ؟

آنيسيا : هذا ميتريتيش ، عاملُنا .

العرابة : اوه ! كم أرْعبني ! يقال إن آكولينا تُطْلَبُ للزواج ؟

آنيسيا ، تترك نَوْلَها وتجلس أمام الطاولة : نعم ، ناسٌ من ديبديوفو تقدّموا للطلب ، لكن يبدو أنهم علموا هناك أيضاً بشيء ما . تقدّموا بالطلب ثم لزموا الصمت . وماتت القضيّةُ . مَنْ يَرْضَى بها ؟

العرابة : وآل ليزوتوف من زويفو ؟

آنيسيا : هؤلاء أرسلوا أيضاً . . . ولم تنجح القضيةُ . بل إنه أبى استقبالَهم .

العرابة : لا بدّ مع ذلك من تزويجها .

آنيسيا : آه ! نعم ! لا بدّ من ذلك حقاً ! عيلَ صبري ، يا اشبينتي ، لكيْ اخرجَها ، لكنْ لاحظّ لي ! لا هو ولا هي يريدان ذلك . لم يَشْبعْ بعد من حسنائه ، فهمتِ !

العرابة : اوه ! يا للخطيئة ! لا يُصَدّق هذا ! وهو زوج خالتها مع ذلك ؟

آنيسيا : ايه ! خُدِعْتُ ، يا اشبينتي . . . وببراعة . لا جدالَ في ذلك . كنتُ غبيةً إذْ لمْ أرَ . . . عندما تزوجتُ ، لم أكتشفْ شيئاً ، وكانا مع ذلك متفاهميْن .

العرابة : يا لها من قصة !

آنيسيا : وما بدأتُ أرى بوضوح إلا فيما بعد . كانا يُخفْيان مما

يفعلانه عني ! آه ! يا اشبينتي ! لو تعلمين كم آلمني ذلك ! لو لم أكن أحبه !

العرّابة : هذا بديهي !

آنيسيا : اوه ! كم كان مؤلماً لي أن أرى نفسي مُهانة ً !

العرابة : ويبدو أنه بدأ يصبح سريعَ الضرب .

آنيسيا : لا تسألي ! لم يكن ، فيما مضى ، شريراً عندما يسكر . وكان يسرف في الشرب قديماً ، لكني كنتُ أوافقه ؛ أما الآن فما أن يسكر حتى يهجم عليّ ليسحقني تحت قدميه . وفي آخر مرة أنشبَ يديه في شعري وقد تعذّبتُ كثيراً حتى خلصتهُ منه . وأما البنتُ فهي أخبث من حيّة ! قلّما تنتج الأرضُ مثل هذه النذالة !

العرابة : إيه ! يا اشبينتي ، أنت بائسة ؛ أرى ذلك بوضوح . الوضعُ لا شكّ ، مؤلمٌ لك . آويتِ في بيتك صعلوكاً ، وهو يُسيء معاملتكِ اليوم . لمَ لا تُمسكين بزمامه ؟

آنيسيا : آه ! يا عزيزتي ، ماذا تريدين أن أفعل بقلبي ؟ كان المرحوم زوجي أقسى ، ومع ذلك كنتُ أحمله على تغيير رأيه بسهولة . أما الآن فلم أعد قادرةً على ذلك . يكفي أن أراه ليخمد غضبي كله . لا أشعر أمامه بأية شجاعة . أنا أمامه كالدجاجة المبلولة .

العرّابة : ايه ! لقد سحروك . يُقال إن ماتريونا هي التي تُلقي أذى السحر . هي التي سحرتكِ .

آنيسيا : هذا ما خَطَر لي . كثيراً ما أحقد عليه .. ويُخيّل إليّ أني سأمزّقُه . وما ان يظهر حتّى تتلاشى شجاعتي !

العرابة : من الواضح أنك مسحورة . من السهل اكتشاف ذلك . فعندما أنظر إليكِ أجدُ أنك لم تعودي أنتِ نفسك .

آنيسيا : ساقاي لا تطاوعانني ، وانظري إلى هذه البهيمة آكوليا . تلك المتبذّلة الشعثاء ، انظري إلى التغيرّ الذي طرأ عليها الآن ! لقد كساها أحسنَ لباس ، فسمنتْ ، وملأتْ رأسها بالأوهام . إنها تقول : « أنا ربة البيت ، البيت لي ، وكان والدي ينوي تزويجي به » . وكم هي خبيثة ، يا ربي ! إذا غضبتْ أصبحتْ قادرة على هدْم كل شيء .

العرّابة : ما أغربَ حياتكِ ! وتصوّري أن الكثيرات يَغَرْنَ منك ! يقلن إنكم أغنياء ، لكن الذهب ، فيما أرى ، لا يمنع الدموع من أن تسيل .

آنيسيا : هناك حقاً ما يستوجب الغَيْرة ! لقد ذهبت تلك الثروة هباءً ! لا يُصدَّق إلى أي حدّ يبذر .

العرّابة : ولمَ تركتهِ يفعل ذلك ؟ المالُ مالُكِ .

آنيسيا : آه ! ليتني تنبّأت بذلك ! لقد ارتكبتُ حماقةً كبيرة .

العرّابة : أنا ، لو كنتُ مكانك لاشتكيتُ إلى كبير القرية . المال مالُكِ . فكيف يجرؤ على إنفاقه ؟ مثل هذه الأخلاق غير جائزة .

آنيسيا : في مثل هذه الأيام ، كل شيء جائز .

العرّابة : أوه ! كم أنت متهاونة !

آنيسيا : نعم ، أنا متهاونة ، يا عزيزتي ، تماماً . دارَ رأسي ! ولم أعد أعرف شيئاً . اوه ! يا رأسي المسكين !

العرابة : هذا شخصٌ آتٍ .

(تصغي ، ينفتح الباب ، ويدخل آكيم) .

المشهد — ٤ —

« المرأتان ، آكيم » .

آكيم ، يرسم علامة الصليب أمام الأيقونة المقدسة ، ينظّف حذاءه ويخلع معطفه : السلامُ لهذا البيت ! هل أنتم بخير ؟ طاب يومُكِ ، يابنتي !

آنيسيا : طاب يومُكَ ، يا أبي ، هل جئتَ من بيتك ؟

آكيم : خَطَرَ ببالي ، نعم . . . أن أصل إلى بيت ابني . . . لم أخرج مبكّراً ... تغدّيتُ ... ثم مضيتُ . . . الطقسُ ثلجيٌّ ... والمشيُ صعبٌ فيه ... ولذلك تأخرتُ . . . وهل ابني هنا ؟

آنيسيا : لا ، هو في المدينة .

آكيم ، يجلس على مقعد : ذلك لأن عندي قضيّة صغيرة ... وقد حدّثتُه عنها مؤخّراً ... نعم قضيّةٌ صغيرة ... حدّثتُه عن ضائقتي ... فالحصان لم يعد يقوى على الوقوف ،

الحصان ... إذن يجب أن نتدبّر أمرنا ... لنحصل على جواد آخر . من أجل هذا جئتُ .

آنيسيا : نعم ، حدّثني نيكيتا عن ذلك . سيصل قريباً ، وستحدّثه عن ذلك . (تتّجه إلى الموقد) . تعال إلى العشاء ، ريثما يصل . ميتّريتش ! يا ميتّريتش ! تعال إلى العشاء !

ميتّريتش : اوه ! يا ربي ! يا قديس نيكولا الرؤوف !

آنيسيا : تعال إلى العشاء .

العرابة : سأنصرف . إلى اللقاء .

(تخرج)

المشهد — ٥ —

« آكيم ، آنيسيا ، ميتّريتش » .

ميتريتش ، نازلاً من الموقد : نمتُ دون انتباه . اوه ! يا إلهي ! يا قديس نيكولا ! طاب يومُك ، عم آكيم .

آكيم : ايه ! ميتّريتش ! ... أنتَ إذن ؟ ... إذن أنتَ ... هكذا ...

ميتريتش : نعم ! أنا عاملٌ عند نيكيتا ، عند ابنك .

آكيم : ايه ! إذن ... أنتَ . . . هكذا ... عامل ... عند ابننا ، ايه !

ميتريتش : كنت مستخدماً ، في الآونة الأخيرة ، عند تاجرٍ في المدينة . لكنني أنفقتُ كل ما جمعتُه على الشراب ، وها

أنا ذا أعود إلى القرية . وبما أني لم أعرف أين أستقر ، اشتغلتُ أجيراً . (يتثاءب) اوه ! يا إلهي !

آكيم : هل نيكيتا ... إذن ... نعم ... هو إذن مشغولٌ جداً ؟ ... هل له أشغال خارج البيت حتى استأجر . . . عاملاً ... هكذا . . . عاملاً ؟

آنيسيا : أية أشغال تريد أن يكون له . كان وحده كافياً للعمل ، من قبل . أما الآن فان في رأسه شيئاً آخر . ولذلك أستأجر عاملاً .

ميتريتش : ما الضررُ من ذلك إن كان يملك فلوساً ؟

آكيم : هو مخطىءٌ في هذا ... في هذا هو مخطىءٌ ... هو مخطىء إنه يترك أعماله كثيراً . . . .

آنيسيا : يتركها كثيراً حتى إنني . . . يا إلهي .

آكيم : يفكر المرءُ فيما هو أفضل . . . وينتج ما هو أسوأ ... في الغنى . . . يفسُدُ الإنسانُ . . . في الغنى . . .

ميتريتش : حتى الكلاب المرفّهة تغدو مسعورة ، فكيف لا نَفْسدُ نحن ؟ خُذْني أنا مثلاً لقد عربدتُ وأنا في البحبوحة ، ولم أصحُ من سكري طوال ثلاثة أسابيع . شربت حتى آخر فلوسي . فلمّا لم يَبْقَ معي شيء توقّفتُ . والآن أقسمتُ . . . لا ردّ اللهُ الخمرةَ !

آكيم : وعجوزك أين هي ؟

ميتّريتش : العجوز ؟ إنها في عملها ، هي في المدينة . . . تطوف الحانات ، وتتبختر بعينها المقاوعة وعينها الأخرى السوداء من الضرب ، وفمها الأَلْوَق . وهي لا تصحو من سكرها ، حفظَها الله ! .

آكيم : اوه ! اوه ! ما هذا ؟ . . .

ميتريتش : وأين تريد أن تعمل امرأةُ جندي ! هي في عملها ! ....

(صمت)

آكيم ، لآينسيا : هل حمل معه نيكيتا . . . كذلك . . . شيئاً إلى المدينة ؟ هل ذهب ليبيع شيئاً ؟

آنيسيا ، واضعةً الصحون والملاعق ومقدّمةً طعام العشاء : لا ، ذهب فارغاً . ذهب ليسحب مالاً من المصرف .

آكيم : اتريدون ... كذلك . . . أن تضعوا مالكم . . . في موضع آخر ؟

آنيسيا : لا ، نحن لا نامسه . لن يسحب سوى عشرين أو ثلاثين روبلاً نحتاج إليها . لا بد من الذهاب لسحبها .

آكيم : لسحبها ... ولمَ ذاك ... الذهاب لسحب المال ... نسحب منه اليوم ... ونسحب منه غداً ... وننتهي بسحبه كله .

آنيسيا : لا ، هذا منفصل . رأس المال يظل كاملاً .

آكيم : كاملاً ؟ ... وكيف ذلك ... كيف يظلّ كاملاً . تأخذين منه ويظلّ كاملاً ؟ صبّي الطحين في المعجن أو ضَعيه في

مخزن المؤن ... وخذي منه ... هل يَظل ّ كاملاً ؟ غير صحيح ، لا ! هم يخدعون الناس . . . أوضحي ذلك ، وإلاّ خدعوكم . كاملاً ! . . . تأخذين منه باستمرار وتريدين أن يظلّ كاملاً .

آنيسيا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . ايفان موسيتش هو الذي نصحنا بذلك . قال لنا : « ضعوا مالكم في المصرف . سيكون المالُ في مأمن وتنالون الفوائد » .

ميتريتش ، الذي انتهى من عشائه : الحقُّ معه . كنتُ أشتغلُ عند التاجر . الأمور تجري هكذا عندهم . يضع المرءُ ماله ولا يبقى عليه إلا أن يتمدّد على الموقد . المال يأتي وحده .

آكيم : سخيفٌ ... ما تقوله ... كيف تأخذ ... أنت تأخذ وهم ... ممّن يأخذون ؟

آنيسيا : هم يعطونك مال المصرف .

ميتريتش : المرأةُ لا تعرفُ حقيقةَ الأشياء . خُذْ ، سأشرح لك ذلك كله . افهمْ جيداً . أنتَ ، مثلاً ، معاك مالٌ ، وأنا ، من جهتي ، ليس عندي ، في الربيع ، ما أَبْذرُ به أو ما أدْفعُ به الضرائب . حينئذ آتي إليك وأقول لك : « آكيم ، اقرضْني عشرة روبلات ، وأنا سأعيدُها إليك عندما أنتهي من أشغالي ، وسأحصد لك قطعة من الأرض ، لقاء الخدمة التي أدّيتَها لي » . وأنت تعلم أن لديّ ما يكفل الدَيْن ، كالحصان ... أو البقرة ... فتقول لي : « أعطني

لقاء الخدمة روبلين أو ثلاثة » . فأقبل لأن الحبل في عنقي . وفي الخريف التالي أبيع محصولي وأحمل إليك المال . وتبتز مني ثلاثة روبلات . هذه منفصلة .

آكيم : لكن ... لكن ... هكذا ... الفلاحون الذين يفعلون ذلك ... لا يتصرفون تصرفاً عادلاً ... ذلك أنهم نسوا الله ... غير صحيح . . . لا .

ميتريتش : انتظرْ ، سترى . افهمْ جيدا محاكمتي ... إذن أنت فعلتَ ما قلتُه قبل قليل . جرّدتَني من نقودي . لكن آنيسيا ، من جهة أخرى ، تملك مالاً حراً ، ولا تدري ماذا تفعلُ به . . . إنها امرأة . . . ولا تدري كيف تضعه . حينئذ تأتي لتلقاكَ ولتقول لك : « ألا تستطيعُ أن تستثمرَ مالي ؟ » فتجيب : « بلى ، هذا ممكن ».. وتنتظر أنت . فأعودُ في الصيف وأقول لك : « اقرضْني أيضاً عشرة روبلات ، وسأكون شاكراً » . عند ذاك تفحص حالتي ، فإذا لم أكن مُفلساً وإذا كان ممكناً أن تبتزّ مني شيئاً ، تُعطيني مال آنيسيا ، وإذا كنتُ ، على العكس ، لا أملك فجلةً ، ولا ما أسدُّ به الرمق ، تُغلق بابك في وجهي ، قائلاً لي : « ليكن اللهُ معك ! » وتبحث عن غيري لتُعطيه مالك ومال آنيسيا ، وهذا بدوره ستَسلخُه . هذا هو المصرف . وهو يسير سيراً نشطاً ، كما قلت لك . الأمر سهلٌ جداً .

آكيم ، محتداً : نعم ، كيف ؟ . . . كذلك . . . لكن هذا . . . عار ؟

هناك فلاحون يفعلون ذلك . . . لكن هؤلاء الفلاحين يعلمون جيداً أنهم يرتكبون إثماً ... ليس هذا بحسب القانون ... نعم . هذا عارٌ . فكيف يحقّ للناس المتعلّمين . . .

ميتريتش : هذه الصفقة بالنسبة إليهم ، يا عزيزي ، جدُّ مفرحة . افهمْ جيداً . عندما يَعْجزُ رجلٌ غبي أو امرأةٌ عن استغلال المال ، يحملانه إلى المصرف ، وهم — حفظهم الله — يضعون هذا المال في جيوبهم ويَسْلخون به الشعب . هذا سهل .

آكيم متنهداً : ايه ! أرى أننا بائسون بلا مال . . . لكننا أشدّ بؤساً مع المال . . . كيف ، اللهُ أمرنا بالعمل . . . وأنتَ تضع مالك في المصرف . . . وتنام ... المال يُطعمكَ دون أن تُشغّل أصابعَك العشر ... هذا عارٌ ... ليس هذا بحسب القانون !

ميترتيش : القانون ! لا يكترثُ أحدٌ له الآن ! إنهم يَسْلخون الناسَ حقيقةً ، هذا كل ما في الأمر !

آكيم ، متنهداً : اوه ! ما أسوأ هذا الزمن ! فقد رأيتُ أخيراً ... في المدينة مراحيض ... أيّة اختراعات ! ملمّعة متقنة الصنع كالمنزل ، ينفقون المال هدراً . . . أما الله فقد نسوه . . . نسوه ، نسوه . . . نسيناه . . . الله ! (لآنيسيا) . شكراً ، يا عزيزتي ، شبعتُ ، وأنا مسرورٌ .

(ينهض عن المائدة ، يصعد ميتريتش إلى الموقد) .

آنيسيا ، ترفع الطعام عن المائدة وتأكل : على الأقل كان أبوه يوبّخه ! وأنا أخجلُ من أن أحدّثه عنه .

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : لا شيء .

المشهد — ٦ —

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا » .

آكيم : آه ! يا صغيرتي ! أنتِ تحركين دائماً ! بَرَدْتِ ، أليس كذلك ؟

آنيوتكا : اوه ! نعم ، كثيراً ! طاب يومُك ، يا جدي .

آنيسيا : ماذا ؟ هل هو هناك ؟

آنيوتكا : لا . لكن أدريان الذي رجعَ من المدينة قال إنه رآهما في نزل ، وأن أبي كان ثملاً حتى الموت » .

آنيسيا : أتريدين أن تأكلي ، خذي !

آنيوتكا ، مقتربة من المدفأة : آه ! أيّ برد هذا ! تيبّستْ يداي .

(ينزع آكيم حذاءه ، آنيسيا تغسل الأواني) .

آنيسيا : يا أبي العزيز !

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : ومارينا ؟ هل تحيا حياة سعيدة ؟

آكيم : لابأس بحياتها . هي امرأة لطيفة ... وذكية ... وديعة ...

إنها تعيش ... وتبذل جهدها ... لابأس بتلك المرأة اللطيفة . . . متقنة عملها ، نشطة ثم هي كذلك ... متواضعة ... لابأس بها ، تلك المرأة اللطيفة .

آنيسيا : يُقال إن شخصاً من قريتكم ، قريبٌ لزوج مارينا ، ينوي أن يطلب آكولينا ؟ هل سمعتَ بهذا ؟

آكيم : من آل ميرونوف ! نعم . . . النساءُ تحدّثن عن ذلك ... لكنْ ... لا أعلم ... النساءُ كنّ يتحدّثنَ عن ذلك ... ذاكرتي ليست قوية ... على الإطلاق ... أما آل ميرونوف ... فهم فلاحون كذلك ... لابأس ...

آنيسيا : كم سأكون مسرورة في تزويجها بأسرع وقت !

آكيم : لماذا ؟

آنيوتكا ، تصيخ السمع : ها هو قد وصل .

آنيسيا : ماذا ؟

(تتابع غسل الملاعق دون أن تلتفت) .

المشهد — ٧ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا » .

نيكيتا : آنيسيا ! ايه ! يا امرأة ! مَنْ الداخلُ ؟

(آنيسيا تنظر إليه وتلوي رأسها بصمت) .

نيكيتا ، بقسوة : مَنْ الداخل ؟ هل نَسيتِ ؟

آنيسيا : كفى تبجحاً هكذا ! ادخلْ !

نيكيتا : بقسوة أكبر ، مَنْ الداخل ؟

آنيسيا ، تتقدّم وتمسكه بيده : حسناً ! هو الزوج ! هلاّ دخلتَ !

نيكيتا ، مقاوماً : آه ! فهمتِ ! الزوج ! وما اسمُه ، الزوج ؟ تكلّمي بدقّة .

آنيسيا : طيّب ! نيكيتا .

نيكيتا : آه ! ... يا جاهلة . قولي اسمَ أبي .

آنيسيا : حسناً ! آكيميتش .

نيكيتا ، على عتبة الباب : آه ! ... واسم العائلة ؟ ما هو ؟

آنيسيا ، تضحك وتشدّه من يده : تشيليكين . اوه ! كم هو سكرانٍ !

نيكيتا : آه ! ... (يتمسّكُ باطار الباب) . وقولي لي بأية قدم يدخل تشيليكين بيته الخشبي ؟

آنيسيا : كفى ! ستبرّد الغرفة .

نيكيتا : لا ، قولي لي بأية قدم يدخل . هذا إجباري .

آنيسيا ، بينها وبين نفسها : سوف يضايقني الآن . (بصوت عالٍ) حسناً ! باليسرى . هلاّ دخلتَ الآن .

نيكيتا : آه !

آنيسيا : انظر مَنْ يَنْتظرِكَ في البيت .

نيكيتا : أبي ! وماذا في ذلك ! أنا لا أحتقر أبي بل أستطيع أن

أُبدي له احترامي ! طاب يومُك ، يا أبي العزيز ! (ينحني ويمدّ يده إلى آكيم).. احترامات .

آكيم ، دون أن يجيب : الخمر ... هذا ما تفعله ... العار ...

نيكيتا : الخمر ؟ ... كم شربتُ ؟ قطعاً ، لقد أخطأتُ ، شربتُ مع صديقٍ لي ... على صحّته .

آنيسيا : امضِ إلى النوم .

نيكيتا : يا امرأة ، أين أنا ؟

المشهد — ٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا » .

آكولينا ، بثياب الأحد ، تتقدّم نحو نيكيتا ومعها سفط : لمَ رمَيْتَ كلَّ شيء إلى اليمين وإلى اليسار . أين الخيط ؟

نيكيتا : الخيط ؟ ايه ! ميتريتش ، أين أنت ؟ أنت نائم ؟ اذهبْ وفكّ الحصان .

آكيم ، ينظر إلى ابنه دون أن يرى آكولينا : ما هذا ؟ العجوز ... متعبٌ . . . لأنه درس القمح . . . أما هو فقد سكر ... ثم يرسلُه ليفكّ الحصان ... يا للعار !

ميتريتش ، ينزل عن الموقد ، ويحتذي جزمته المصنوعة من اللبد : أيها الرب الرحيم ! وأين الحصان ؟ في الفناء ؟ لا ريب أنه أنهكه . ليخنقْه الطاعون ! كم شرب ... لم يبق موضعٌ للشراب ! يا إلهي ! يا قديس نيكولا !

(يرتدي معطفه ويخرج) .

نيكيتا ، جالساً : سامحني ، يا أبي العزيز . لقد شربتُ ، هذا صحيح . وماذا في ذلك . الدجاجات يشربْن كثيراً ، أليس هذا صحيحاً ؟ سامحني إذن . لن يشعر ميتريتش بالإهانة ، وسيفك الجواد .

آنيسيا : هل ينبغي حقاً تسخين السماور .

نيكيتا : نعم ، فعندي أبي هنا . سأتحدّث معه وسنتناول الشاي . (لآكولينا) . هل حملتِ المشتريات كلها ؟

آكولينا : المشتريات ؟ أخذتُ أغراضي . والباقي في الزلاجة . عجباً ، هذا ليس لي .

(ترمي بسفط على الطاولة وتنظّم الباقي في الصوان . تنظر إليها آنيوتكا . آكيم لا ينظر إلى ابنه . يضعُ حذاءه ولفافتيه قرب المدفأة لتنشف) .

آنيسيا ، خارجةً بالسماور : الصوان ملآن ! وما يزال يرى من الواجب أن يشتري .

المشهد — ٩ —

« آكيم ، آكولينا ، آنيوتكا ، نيكيتا » .

نيكيتا ، متظاهراً بأنه صحا من سكره : لا تغضبْ ، يا والدي العزيز . أنت تظنّ أنني سكران . في حقيقة الأمر ، إن عقلي لا يفارقني أبداً . وأنا أعرفُ المثلَ : « اشربْ لكنْ لا تفقدْ رشدك » . استطيعُ أن أحدّثك ، يا أبي ، في هذه اللحظة بالذات . . . لم أنسَ شيئا . حدثتَني عن المال ....

حصانُك لا يَقْوى على الوقوف ، أتذكّر ذلك جيداً .
هذا ممكن ! ... كل ذلك يتوقّف عليّ . لو كان المبلغ
ضخما لرجوتك أن تنتظر ، لكن بالنسبة إلى ما تطلبه فأنا
أستطيع كل شيء . . . خُذْ !

آكيم ، يتابع تصفيف لفافيته : ايه ! يا صغيري ، ليس هذا وقتُ
الحديث . . . كما ترى .

نيكيتا : لمَ تقول لي هذا ؟ تَقْصد أنه لا يجوز أن تجادل سكّيراً ؟
لستُ سكران . لا تَرْتَبْ في ذلك ... سنشرب الشاي .
وبالنسبة إليّ فأنا قادر على كل شيء ، في حقيقة الأمر ،
قادر على تدبير كل شيء . . .

آكيم ، هازا رأسه : ايه ! إيه ! إيه ! ايه !

نيكيتا : المال ! ها هو ذا .. (يبحث في جيبه ، ويسحب من
محفظة مدعوكة رزمةً من الأوراق المالية ، يختار من بينها
ورقةً بعشرة روبلات) . امسكْ ! هذا للحصان . خُذْ
للحصان . لستُ ممّنْ ينسون أهلهم . هذا إجباري !
أنت أبي ، ولا أستطيع أن أتركك . خذْ ! أمسك !
الأمرُ بسيط . لستُ بخيلاً ! (يتقدّم نحو أبيه وينوي
أن يدسّ الورقة بيده . لا يأخذها آكيم . يمسك نيكيتا أباه
من ذراعه) . قلتُ لك ، خُذْ ، فلستُ آسفُ عليها عندما
أعطيكَ إياها .

آكيم : لا أستطيع ... أن آخذها ... ولا أريد ... أن أكلّمكَ . . .
لأنك ... نعم ... لا تملك عقلكَ .

نيكيتا : لن أرخيكَ ! خُذْ !

(يدسُّ الورقة في يده) .

المشهد — ١٠ —

« الأشخاصُ أنفسهم ، آنيسيا »

آنيسيا ، تدخل وتقف : خُذْها إذن ، وإلاّ فإن يُرخيكَ .

كيم ، يأخذ الورقة وهو يهزّ رأسه : اوه ! الخمر ! لا يعود الإنسانُ إنساناً . . .

نيكيتا : حسناً ! الأمور أفضلُ هكذا . إن أعدْتَها فذلك حسن ، وإن لم تُعدْها ، فبحفْظ الله ! كذلك أنا ! (يشاهد آكولينا) . آكولينا ، أري الهدايا .

آكولينا : ماذا ؟

نيكيتا : أري الهدايا .

آكولينا : لا داعي لذلك ، لقد لففْتها .

نيكيتا : أريهمْ إياها ، قلتُ لكِ . ستُسَرُّ آنيوتكا برؤيتها . دعي آنيوتكا تَرَها . افتحي الشال وأعطيني إياه .

آكيم : يُؤْلمني قلبي من مجرد النظر إليه .

(يصعد إلى الموقد) .

آكولينا ، تُخرج عدة أسفاط من الصندوق وتضعُها على الطاولة : ما الفائدة من مشاهدتهم لها ؟

آنيوتكا : اوه ! ما أجمله ! حلوٌ مثل شال ستيبانيدا !

آكولينا : شال ستيبانيدا ؟ لا مجال للمقارنة (تحدّق وتفحصه) . انظري إلى نوعه . هذا شالٌ فرنسي .

آنيوتكا : والكريتون ؟ ما أجمله ! فستان ماشوتكا شبيهٌ به ، لكنه افتحُ وأرضيته زرقاء .

نيكيتا : آه ! . . .

(تذهب آنيسيا ، وهي بادية الغضب ، إلى غرفة المهملات . ثم تعود منها ومعها أنبوب سماور وغطاء طاولة ، وتتقدّم إلى الطاولة) .

آنيسيا : يا لها من بضائع معروضة !

نيكيتا : انظري إليها .

آنيسيا : ماذا أنظرُ ؟ ألم أرَ ؟ ارفعوا هذا من وجهي !

(ترمي بشال آكولينا أرضاً) .

آكولينا : لمَ ترْمينه ؟ ارمي ما يخصّك .

(تلمّ شالها) .

نيكيتا : حذار ، آنيسيا !

آنيسيا : مم ؟

نيكيتا : أتظنّين أنني نسيتُك ؟ انظري هنا . (يُريها سفطاً ويجلس عليه) . هديّةٌ لك ، لكن يجب أن تستحقّيها . يا امرأة ، أين أنا هنا ؟

آنيسيا : كفى تبجّحاً -! لستُ أخافُكِ . بأي مال عربدت واشتريتَ الهدايا لتلك المدُحدَحة ؟ بمالي .

آكولينا : اود ! بمالكِ ! أردت أن تسرقيه لكنك لم تقدري اطلعي من هذا الباب !

(تدفعها بتوة لتمرّ) .

آنيسيا : لم تدفعينني ؟ أنا التي سَتَدْفعاكِ .

آكولينا : تدفعينني ، أنا ! تعالي لحظة !

(تمشي لملاقاتها) .

نيكيتا : ايه ! اسكتا ! كفى !

(يقف بينهما) .

آكولينا : يا للوقاحة ! أفضلُ لكِ أن تسكتي ، إن كنت تعتقدين أننا لا نعرف شيئاً !

آنيسيا : قولي ، ماذا تعرفين ؟

آكولينا : أعرف شيئاً يخصّكِ .

آنيسيا : أنت عاهرة ! تعاشرين رجلاً متزوّجاً !

آكولينا : وأنت التي موّتتْ زوجها !

آنيسيا : تهجم على أكولينا : أنت تكذبين !

نيكيتا ، يحجزها : آنيسيا ، هل نسيت ؟

آنيسيا : لا آبهُ لتهديداتكِ . ولستُ أخافُكِ .

نيكيتا : اخرجي !

(يدفع آنيسيا بكتفيها إلى الخارج) .

آنيسيا : أين تريد أن أذهب ؟ أنا في بيتي هنا .

نيكيتا : قلتُ لكِ : اخرجي . وإياكِ أن تعودي !

آنيسيا : لن أخرج ! (نيكيتا يدفعها . آنيسيا تبكي وتصرخ وهي تتشبّث بالباب) . كيف ! أُطْرَدُ من بيتي ! ماذا تَفْعل، يا مجرم ؟ آه ! أتظنُّ أنك قادرٌ على فعل ما تشاء دون عقاب !

نيكيتا : هيا ! هيّا !

آنيسيا : سأذهب إلى كبير القرية ، وإلى الدركي !

نيكيتا : قلتُ لكِ : اخرجي !

(يُخرجها)

آنيسيا ، وراء الباب : سأَخنقُ نفسي !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيوتكا ، آكيم » .

نيكيتا : كفى !

آنيوتكا ، باكية : اوه ! يا أمي العزيزة !

نيكيتا : تظنّ أنها تخوّفني ! لماذا تبكين ! لا تخشيْ شيئاً ، ستعود . اذهبي وانظري إلى السماور هل غلا .

(تخرج آنيوتكا) .

المشهد – ١٢ –

« نيكيتا ، آكيم ، آكولينا » .

آكولينا ، تلمّ الأشياء المبعثرة على الطاولة وتطويها : اوه ! النذلة ! تريد أن تخلق المشاكل ! انتظري . سأمزّق لك قميصك . سأمزّقه ، بلا ريب !

نيكيتا : لقد طُرِدتْ ، فماذا تريدين أكثر من ذلك ؟

آكولينا : لطّخت شالي الجديد ! الكلبة ! الحقيقة ، لو لم تخرج لاقتلعتُ عينَيها !

نيكيتا : لا تغضبي ! لماذا تغضبين ؟ . . . فبما أنني لا أحبّها !

آكولينا : تُحبُّها ! أيمكن أن يُحبَّ إنسانٌ مشاكسٌ مثلها ؟ لو كنتَ تخلّيتَ عنها مرة واحدة لما وقع هذا كله . اطردْها بعيداً ! على كل حال ، البيتُ بيتي والمال مالي . يا لها من عشيقة ! عشيقة ، هي ، قاتلة ! هكذا هي ، وستفعل معك مثلما فعلتْ معه !

نيكيتا : لا سبيل إلى سدّ أفواه النساء ! أنتِ تهذرين دون أن تعلمي ماذا تقولين .

آكولينا : بلى ، أعلم ما أقول . لا أريد أن أعيشَ معها ، وسأطردها ! لا ينبغي أن تظلّ معي ! هي ، العشيقة ! بل إنها ليست عشيقة ، وإنما هي بغيّةُ المحكومين بالأشغال الشاقة !

نيكيتا : كفى ! ليس لك شيء تقتسمينه معها . انظري إليّ .

أنا السيد ! وأنا أفعل ما أريد . لم أعد أحبها ، وأنت التي أحبها الآن ، أحب مَن أشاء . هذه هي إرادتي . أما هي فالى الحجز . . . (يرفع قدمه دليلاً على الاحتقار) . آه ! من المؤسف أن الآكورديون . ليس عندنا :

(يغني)

في الفرن فطائر حلوى

وعلى الدرج برغل

ونحن ، نحن نعيش

ونمرح .

وعندما يأتي الموت

سنموت .

في الفرن فطائر حلوى

وعلى الدرج برغل .

المشهد — ١٣ —

« نيكيتا ، آكيم ، ميتريتش » .

« يدخل ميتريتش وينزع حذاءه ومعطفه ويصعد إلى الموقد » .

ميتريتش : يبدو أن المرأتين تشاجرتا أيضاً . لا بد أن تتشاجرا أبداً . يا إلهي ! يانيكولا الرؤوف !

آكيم ، على حافة الموقد ، يأخذ لفافتيه ويلفهما ويحتذي حذاءه : مرّ إلى الداخل ، مُرّ !

ميتريتش ، ماراً : لن تتوصّلا إلى اتفاق على التسمية . يا إلهي !

نيكيتا ، لآكولينا : هاتي الشراب ، سنشرب منه مع الشاي .

المشهد — ١٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، آنيوتكا » .

آنيوتكا ، داخلةً ، لآكولينا : ايه ! سيغلي السماور .

نيكيتا : وأمُكِ ؟ أين هي ؟

آنيوتكا : هي في البهو . تبكي .

نيكيتا : آه ! . . . آه ! . . . ناديها ، قولي لها أن تأتي بالسماور . وأنتِ يا آكولينا ، هاتي الفناجين .

آكولينا : الفناجين ؟ طيّب .

(تحضّر الفناجين) .

نيكيتا ، يأخذ الشراب والبسكويت وسمك الرنكة : هذا لي وهذه الخيوط لامرأتي ، وزيت الكاز في البهو ، والمالُ ، هذا هو . انتظرْ ! (يأخذ الآلة الحاسبة) . يجب أن نتحقق من الحساب : طحين القمح الأبيض . . . ثمانون كوبيكاً ، زيت القنب . . . بيد أبي ، عشرة روبلات ! ... تعال ، يا أبي ، لتناول الشاي !

(صَمْتٌ ، آكيم بجانب الموقد يربط لفافتيه)

المشهد – ١٥ –

« الأشخاص أنفسهم ، آنيسيا ».

آنيسيا ، حاملةً السماور : أين يجب ان أضعه ؟

نيكيتا : ضعيه على الطاولة . ماذا ؟ هل ذهبْتِ لتقابلي كبير القرية ؟ لأننا . . . يجب أن نفكّر قبل أن نتكلّم . كفى خصاماً . اجلسي واشربي (يصبّ لها كأساً صغيرة) . وهذه هي هديّتك .

(يُعطيها السفط الذي كان جالساً عليه . آنيسيا تهزّ رأسها وتأخذه دون أن تقول شيئاً) .

آكيم ، ينزل من الموقد ويضع معطفه ، ويتقدّم نحو الطاولة ويضع عليها ورقة الروبلات العشرة : هذه نقودُكَ ، فخذْها !

نيكيتا ، دون أن يرى الورقة : أراك لبستَ ؟ أين تذهب ؟

آكيم : سأنصرف ، أنا ... كما ترى ... ليحفظْك اللهُ !

(يأخذ قبّعته وزناره) .

نيكيتا : هذا شيء جديد ! لماذا ترجع هكذا ، في الليل ؟

آكيم : لا أستطيع ... أن أبقى ... في بيتك ، لا أستطيع ، كما ترى ... أن أبقى ... وداعاً !

نيكيتا : كيف تذهبُ والشايُ على الطاولة ؟

آكيم ، يلفّ زنّاره حول جسمه : سأرجع ... لأنّ ... الأمور

ليست حسنة ... في بيتك ، ليست حسنة ، نيكيتا ! أنت ، حالتُكَ سيئة ، سيئة ! سأنصرف !

نيكيتا : كفى مشاكل ! اجلسْ ، وتناول الشاي .

آنيسيا : مالكَ ، أيها الأب ؟ سنخجل أمام الناس . مَنْ الذي أساءَ إليك ؟

آكيم : لم يسيءْ إليّ أحدٌ ، لا أحد ! لكنني أرى ... أن ابني يجري إلى هلاكه ... يجري إلى هلاكه . . .

نيكيتا : أي هلاك ؟ هات براهينك !

آكيم : هلاكك ، هلاكك ! أنتَ على طريق هلاكك ! ماذا قلتُ لكَ في الصيف الماضي ؟

نيكيتا : حدثتني عن أشياء كثيرة .

نيكيتا : حدثتُكَ عن اليتيمة التي أسأتَ إليها . . . اليتيمة مارينا ... التي أسأتَ إليها . . .

نيكيتا : اوه ! ما زال يتذكر ! لقد ذهبتْ هذه القضيةُ مع الثلوج القديمة ! قضية منتهية !

آكيم ، محتداً : منتهية ! لا ، يا صديقي ، هي لم تنتهِ ... الخطيئة تستدعي أختَها ، وأنت متورّطٌ ، يانيكيتا ، في الخطيئة ! متورّطٌ في الخطيئة ! أنت متورّطٌ ، غارقٌ . . .

نيكيتا : هيا ! تناول الشاي . . . هذه هي القصة كلها .

آكيم : لا أستطيع . . . أن أتناول الشاي . . . لأن حسّتك ... توجع قلبي . لا أستطيع . . . أن أتناول الشاي معك !

نيكيتا : آه ! ما هذه الثرثرة المكرورة ! هيا اجلسْ إلى الطاولة !

آكيم : أنت عالقٌ في خيوط غنائك كالعالق في خيوط الشباك ،
كالعالق في خيوط الشباك ! يجب أن يكون لك ضمير !

نيكيتا : من أين لك هذه السلطة المطلقة لتأتي إلى بيتي وتُنحي علي
باللائمة ؟ لماذا تزعج نفسك ؟ أأنا صبي حتى تشدّ لي
أذني ؟ لم يعد أحدٌ يستعمل هذه الطرق .

آكيم : صحيح . . . سمعتُ هذا أيضاً . . . أن الناس يَسْحبون
الآباء من لحاهم . . . لكن هذا هو هَلاكُ النفس . . .
هو الهلاك .

نيكيتا ، مغضباً : نحن نعيش مُسْتغنينَ عنك . أنت جئتَ تطْلبُ
معونتنا .

آكيم : مالك ؟ هذا هو مالك . . . سأتسوّل . . . أتري . . .
لكنني لن آخذه !

نيكيتا : كفى أرجوك ، لمَ تغضبُ ؟ (يمسكه بيده) أنت تكدّر
اجتماعنا .

آكيم ، مرسلاً صرخة الغضب : آه ! ... دعْني ! ... لن أبقى ،
أفضّل أن أنام على الطريق . . . على أن أنام وسط قذارتك !
أوه ! سامَحَني الله !

(يخرج)

المشهد — ١٦ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميترتيش » .

نيكيتا : حسناً ! كفى !

المشهد — ١٧ —

« الأشخاص أنفسهم وآكيم » .

آكيم ، فاتحاً الباب : أَفِقْ ، يا نيكيتا ! وفي نفسكَ إنما يجبُ أن تفكّر .

(يخرج)

المشهد — ١٨ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميتريتش » .

آكولينا ، ممسكة بالفناجين : وهل ينبغي أن أصبّ الشاي !

ميتريتش ، يصرخ من على الموقد : آه ! يا ربي ، ارحمني ، أنا الخاطيء !

(الجميع يجفلون مرعوبين) .

نيكيتا ، متهالكاً على المقعد : اوه ! ضجرتُ ، ضجرتُ ! آكولينا ، أين الآكورديون ؟

آكولينا : الآكورديون ؟ الآن تذكرتَه ؟ أعطيْتَهُ للتصليح . سكبتُ لك ، اشربْ .

نيكيتا : لا أريدُ شيئاً ! أطفئوا الأنوار ! اوه ! ما أشدّ ضجري ! آوه ! ما أشد ضجري !

(يبكي)

ستار

الفصل الرابع

إحدى أمسيات الخريف . ضوء القمر . داخل الفناء . في الوسط بهوٌ . إلى اليمين بيتُ الشتاء الخشبي وباب العربات . وإلى اليسار بيت الصيف الخشبي وقبو . تُسْمَعُ أصواتٌ مخمورةٌ تخرج من البيت الخشبي . تخرج الجارةُ من البهو مع عرّابة آنيسيا .

المشهد — ١ —

« العرّابة ، الجارة »

الجارة : ولمَ لم تخرجْ آكولينا ؟

العرّابة : لمَ ؟ هي لا تريد ، وتحتجّ بأنْ لا فراغ لديها . جاء أهلُ الخطيب ليتعرّفوا إليها ، لكنها ظلّتْ مستلقية في البيت الخشبي ولم تطلّ بوجهها ، يا عزيزتي .

الجارة : ولمَ ذاك ؟

العرابة : لعلها قد أصيبتْ بأذى السحر . فهي تحس بالمَغْص في بطنها .

الجارة : أممكنٌ هذا ؟

العرابة : لكن . .

(تهمس إليها بشيء في أذنها) .

الجارة : اوه ! يا لها من خطيئة ! وهل علمَ بذلك أهلُ الخطيب ؟

العرابة : وكيف يعلمون ؟ كلهم سكارى . ثم إن ما يبحثون عنه خاصة هو المهر ؛ ليس بالشيء القليل ما سيُعْطونه لهذه البنت ، يا أمي : معطفان من الفرو ، ستة فساتين ، شال فرنسي ، وكمية من قطع القماش والفضة ، وورقتان من ذوات المئة ، على ما يقال . . .

الجارة : في مثل هذه الظروف ، ليس في تسلّم المال كبيرُ لذّة . يا للعار ! صه ! هذا أبو الخطيب !

(تسكتان وتدخلان البهو) .

المشهد – ٢ –

« أبو الخطيب . يخرج من البهو وبه حازوقة » .

الأب ، وحده : احترقتُ ! ما هذا الحرُّ ! يجب أن أتبرّدَ قليلا ! (يتنفّس بقوة) . الله أدري بما هو كائن ! لكن هناك شيئاً لم يرقْ لي . سنرى ما ستقوله العجوز .

المشهد – ٣ –

« الأب ، ماتريونا »

ماتريونا ، خارجة من البهو : آه ! وأنا التي كانت تبحث عنك في كل مكان ! ها أنت ذا ، يا عزيزي . وبعدُ ! كلُّ شيء على ما يُرام ، بحمد الله . عندما يكون القصدُ تزويجَ أحد الأولاد فلا مجال للمباهاة ، ثم إن هذا ليس من طبعي ، لكن

بما أنك جئتَ بنيّاتٍ حسنة ، فاني آمل ، بعون الله ، أن تعترفوا لنا بالجميل الأبدي ، لأن الخطيبة بنتٌ نادرة . تستطيع أن تبحث في الناحية كلها فلا تجد أختاً لها .

الأب : نعم ، بالتأكيد . لكن يجب مع ذلك التحفّظ بصدد المال .

ماتريونا : بصدد المال ، اطمئنّ . كل ما انتقل إليها من أبويها سيذهب معها . وفي مثل هذه الأيام ، ليس بالشيء القليل ثلاث ورقات من ذوات الخمسين .

الأب : لسنا نقول العكس . الولد هو الولد . رتّبي هذا أحسن ترتيب .

ماتريونا : أنا ، يا عزيزي ، أقول لك الحقيقة الخالصة . بدوني ، ما كنتَ لتعثر على مثل هذه الفتاة . وقد طلبها آل كورميايين للزواج ، لكني عارضتُه ذلك . وبالنسبة إلى المال قلتُ لكَ الحقيقة . فالمرحوم (تقبّلَه اللهُ في ملكوته السماوي) كان يموت وأمَرَ الأرملةَ أن تتزوّج نيكيتا . وأنا أعرفُ كلَّ شيء ، عن طريق ابني . وأمرَ بتسليم المال إلى آكولينا . ولو كان غير نيكيتا لاستغلّ ذلك ، لكن نيكيتا ردّ لها كل شيء . وياله من مبلغٍ !

الأب : الناس يزعمون أنه ترك لها أكثر من ذلك . ابنك نيكيتا ، شابٌ بارع .

ماتريون : ايه ! يا حمامتي البيضاء ، قطعة الخبز في يد الجار تبدو دائماً أكبر . ستُعْطَى ما هو موجود . فاتركْ حساباتك وأنْهِ القضية . يا لها من بنت جميلة كالصورة

الأب : لا أقولُ : لا ، لكننا تساءَلنا ، أنا والعجوز ، لمَ لم تخرج . وإن كان بها عاهة ؟

ماتريونا : هي ؟ لكنك لن تجد مثلها في الناحية كلها . وهي صلبة ، قاسية كالحديد ! وأنتَ تعرفُها ، مالَكَ ؟ أمّا من جهة العمل فاطمئن . هي صماء قليلا ، لا أنكر ، لكن في أحسن التفاح دودةً . وإذا كنتَ تريد أن تعلم لمَ لم تخرج منذلك لأنّ بها أذى السحر ، نعم . وأنا أعرف اليد التي فعلت ذلك ، والتي أحسّتْ بالخطبة فألَقتْ أذى السحر . لكنني شاطرة ، وأنا أعرف الكلمة التي تُبطلُ السحر . وستقوم غداً . فلا تَخشَ شيئاً بالنسبة إليها .

الأب : حسناً ! اتفقْنا إذن .

ماتريونا : لكن لا تتراجعْ عن كلامك ، ولا تَنْسَني .

صوت امرأة ، في البهو : حان وقت العودة ، ايفان .

الأب : أنا ذاهب .

(يخرجان)

المشهد — ٤ —

« آنيسيا ، آنيوتكا »

آنيوتكا ، خارجةً من البهو ومناديةً آنيسيا باصبعها : يا أمي !

آنيسيا : مالَكِ ؟

آنيوتكا : اقتربي مني ، يا أمي ، لكي لا يَسْمعنا أحدٌ .

(تتّجه إلى مخزن الغلال) .

آنيسيا : ماذا ؟ أين آكولينا ؟

آنيوتكا : هي في مخزن الغلال . ليتكِ ترينها ، شيءٌ رهيب . وهي تقول : « ليتني أموت ، لم تَبْقَ فيّ قوةٌ ! سآخذ في الصراخ بكل قواي ، ليتني أموت ! »

آنيسيا : ستصبر . يجب أولاً أن نَصْرِف ضيوفنا .

آنيوتكا : اوه ! كم تتألّم ، يا ماما ! ثم إنها غاضبة ! وهي تقول : « هم يُضيعون وقتهم إذا شاؤوا أن يبيعوني ، لأنني لا أريد أن أتزوج . سأموت ! » اوه ، ماما ، بشرط ألا تموت ! أنا خائفةٌ جداً من ذلك .

آنيسيا : لا تخافي شيئاً ، فلن تموت ! لا تذهبي لرؤيتها . انصرفي !

(تخرج آنيسيا وآنيوتكا) .

المشهد — ٥ —

ميتريتش ، وحده ، يدخل من باب العربات ويأخذ في لمّ القش المتناثر على الأرض : اوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا الرؤوف ! كم شربوا من ماء الحياة ! وأية رائحة تفوح منهم ! الرائحة تصل إلى هنا . . . كلا . . . لن أعود إلى شرب ماء الحياة ! لن أعود ! وانظروا إلى هذا القش الذي بعثروه ! القايل هنا ، والقايل هناك ، هذا يعمل حزمةً في نهاية الأمر . أية رائحة هذه ! كأنّ تحت أنفي كأساً

من ماء الحياة ! آه ! لاردّ الله مله الحيلة ! (يتثاءب) .
حان وقتُ النوم . لا أشتهي للدخول إلى المنزل . الرائحة
تعبقُ في أنفي معطّرةً ، العاهرةُ ! (يسمع هديرٌ العربة التي
تبتعد (ها هم قد سافروا ! اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف !
كلهم يحاولون أن يخدع بعضُهم بعضاً ! حماقاتٌ ، كل
هذا !

المشهد — ٦ —

« ميترتيش نيكيتا » .

نيكيتا ، داخلاً : ميتريتش ، اذهبْ ونَمْ ، سأَلُمُّ القشَّ .

ميتريتش : طيّب ! أطْعم النعاجَ منه . سافَروا ، أليس كذلك ؟

نيكيتا : نعم ، لكن الأمور ليست حسنة ، ولا أدري ماذا أفعل .

ميتريتش : يا لها من قضيّة ! ما أهمية ذلك ؟ هناك بيوت اللقطاء .
وهي تُؤوي اللقطاء مهما يكنْ عددهم ، خُذْ إليها
ماتشاء منهم ، فلن يطالب القائمون عليها منك حساباً ؛
بل ! إنهم يدفعون للأم أجرتها إذا شاءت أن تعمل مرضعاً .
آه ! الأمرُ بسيطٌ جداً اليوم !

نيكيتا : ميترتيش ، أرجوك ألاّ تثرثر كثيراً إذا ما حدث شيءٌ .

ميتريتش : ماذا يهمّني من ذلك ؟ أخْفِ جميع الآثار كما يَحْلو
لكَ . اوه ! رائحةُ ماء الحياة تفوح منك ! سأذهب إلى
النوم . (يمضي متثائباً) . اوه ! يا ربي !

المشهد — ٧ —

نيكيتا ، يصمت طويلا . يجلس على زحافة : يا لها من ورطة !

المشهد — ٨ —

« نيكيتا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، داخلة : نيكيتا ، أين أنتَ ؟

نيكيتا : هنا .

آنيسيا : ماذا تفعل وأنت جالس ؟ ليس لدينا وقت نضيعه . يجب أن تحماه على الفور .

نيكيتا : وماذا سنفعل إذن ؟

آنيسيا : كما قلتُ لكَ . اعمل ْ ما آمركَ به !

نيكيتا : الأفضل أن نضعه في بيوت القطاء .

آنيسيا : حسناً ! احملْه إذا شئت . أنت قويٌّ على ارتكاب القذارات ، لكننا لا نجدك عندما يُراد إصلاحُها .

نيكيتا : وماذا يجب أن نفعل ؟

آنيسيا : كما قلتُ لك . اذهب إلى القبو . واحفرْ حفرة !

نيكيتا : أليس من سبيل إلى تدبير الأمور بشكل آخر ؟

نيسيا ، تقلّده : بشكل آخر ! يبدو أنه لا سبيل إلى شكل آخر . كان يجب أن تفكّر في ذلك قبل الآن . اذهبْ إلى حيث أرسلكَ .

نيكيتا : آه ! يا لها من ورطة ! يا لها من ورطة !

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، آنيسيا ، آنيوتكا » .

آنيوتكا : ماما ! أختي تناديكِ . يبدو أنها جاءت بوليد . عسى أن أموت ! سمعتُه يصرخ .

آنيسيا : ماذا تختلقين ؟ حَطّمَ الشلل عظامَكِ ! هذه قطط صغيرةٌ تموءُ . ادخلي ونامي . وإلا عوقبْتِ .

آنيوتكا : ماما ، يا عزيزتي ، ما أقوله صحيح ،أقسم لكِ .

آنيسيا : رافعةً يدها : سوف أ . . . يجب ألا أراك هنا بعد الآن !

(آنيوتكا تهرب) .

آنيسيا : لنيكيتا : افعلْ ما قلتُه لك ، وإلا فحذارِ !

(تخرج)

المشهد — ١٠ —

(نيكيتا ، وحده ؛ يصمت طويلاً) .

نيكيتا : اوه ! يا لها من ورطة ! ويالهؤلاء النساء ! وياللمصيبة ! هي تقول : « كان يجب أن تفكّر في ذلك قبل الآن » . أكان عندي وقتٌ للتفكير ؟ في الصيف الماضي ، أخذتْ آنيسيا تدور حولي . وأنا لستُ راهباً ! وعندما مات المعلم كفّرتُ عن خطيئتي ، كما كان ينبغي عليّ أن أفعل . ولم يكن لي يدٌ في الأمر . ألا يقعُ هذا كل يوم ؟ ... ثم هناك قصةُ المساحيق . . . أأنا الذي دفَعها إلى أن

تتصرّف كما تصرّفتْ ؟ لو كنتُ أعلم ذلك لقتلْتُها ، الكلبة ! لقتلتُها ، بالتأكيد ! جعلتْني شريكاً في كل قذاراتها ، الوسخَة ُ ! كم اشمأزّتْ منها نفسي منذ ذلك الوقت . . وعندما حدثتْني أمي عن ذلك قرِفْتُ منها إلى حدّ لم أعد أستطيع معه رؤيتها . كيف يمكن أن أعيش معها ؟ حينئذٍ بدأت مشاكلُنا . ثم أخذت البنتُ تُلاحقني . ماذا يهمّني من ذلك ؟ لو لم أكن أنا لكان غيري . وهذه هي النتيجة . وليست الغلطة أيضاً غلطتي . اوه ! من هذه الورطة ! (يظل متفكّراً ، بعض الوقت) . وكم هنّ جريئاتٌ ، اولئك النساء ! ما الذي لم يتصوّرْنَهُ ؟ لكنني لن أرْتضي ذلك !

المشهد – ١١ –

« نيكيتا وماتريونا » .

« ماتريونا تخرج على عجل ومعها مصباح وبيدها رفشٌ » .

ماتريونا : ها أنت مثل دجاجة على بيضها ! ماذا قالت لك زوجتُك ؟ دبّرْ قضيتَك !

نيكيتا : ماذا ستفعلان ؟

ماتريونا : هذا يخصّنا . . . افعل ما يخصّك .

نيكيتا : آه ! بَرَمْتُما لي رأسي !

ماتريونا : أتنوي أن تتراجع ؟ ما ان يُطالَبُ منك العملُ حتى تتراجع !

نيكيتا : يا لها من ورطة ! هذا كائن بشري .

ماتريونا : كائن بشري حاو ! لا يكاد يتنفّس . ثم ماذا تريد أن نفعل به ؟ حاول أن تحمله إلى بيت اللقطاء ، فسيموت مع ذلك ، وسيحدث الناس عما جرى ، وسيتنادرّون بالحادثة في أرجاء القرية ، ثم ستظلّ البنتُ على صدورنا .

نيكيتا : وكيف نستطيع أن نفعل ذلك ؟

ماتريونا : ألا نستطيع تدبير مثل هذه القضية في منزلنا ؟ سنعمل بحيث لا يبقى أيُّ أثر ! افعلْ فقط ما أقوله لك ، لأننا ، نحن النساء ، لا نستطيع أن نفعل ذلك وحدنا . خذ الرفشَ الصغير وانزلْ واشتغلْ . سأضيءُ لك .

نيكيتا : فيمَ أشتغل ؟

ماتريونا ، بصوت خافت : احفرْ حفرةً صغيرة . ثم نَحمله إليك وسنرتّبُ كل شيء ، هناك . ها هم ينادونني ! هيّا ، اذهبْ ، يجب أن أسرع إليهم .

نيكيتا : لكن . . هل مات ؟

ماتريونا : بالتأكيد . لكن يجب أن تسرع . لم ينم الناسُ كلهم بعد . قد يرون وقد يسمعون . . . هؤلاء الأوغاد يريدون أن يعرفوا كل شيء . لقد مرّ الدركيُّ هذا المساء . خذْ إذن (تناوله الرفشَ) . انزل إلى القبو . . . وهناك ، في الزاوية ، احفر حفرة صغيرة . . . الأرض طريّةٌ هناك . . . وبعد ذلك ، سَوِّ الأرض جيّداً . لن تتحدّث الأرضُ ... . امضِ ، ياعزيزي ، امضِ !

نيكيتا : برمتُما لي رأسي ! آه ! دعيني ، سأتصرف ! افعلا وحدكما ما تشاءان .

المشهد – ١٢ –

« ماتريونا ، نيكيتا ، آنيسيا » .

آنيسيا : شاقةً الباب ، ماذا ؟ هل حفر الحفرةَ ؟

ماتريونا : لماذا انصرفتِ ؟ أين دسستِهِ ؟

آنيسيا : غطيّتُه بغطاء سمياك . لن يسمعه أحد . وهل حفر الحفرةَ ؟

ماتريونا : هو لا يريد .

آنيسيا ، واثبةً ، ثائرة : لا يريد ؟ يريد ، من دون شك ، أن تأكله حشراتُ السجن ؟ سأروي كل شيء للدركي . لا أبالي إن انتهيتُ من مرة ؛ سأحكي كل شيء !

نيكيتا ، منذهلاً : ماذا ستحكين ؟

آنيسيا : ماذا ؟ كل شيء ! مَنْ أخذ المال ؟ أنتَ . (نيكيتا يلزم الصمتَ) والسم ، من دسّه ؟ أنا ، لكنك كنتَ تعلم ذلك ، كنتَ تعلم ذلك ، كنتَ تعلم ذلك ! كنتَ شريكي .

ماتريونا : كفى ! لا تتشاكس ، نيكيتا . ماذا بقي علينا أن نفعله ؟ أن تبذل شيئاً من الجهد . امضِ ، يا عزيزي !

آنيسيا : يا لله من رجل رقيق ! لا يريدُ ! كفاني ما لقيتُه من سوء

معاملتك ! كنتَ السيّدَ زمناً طويلاً ، والآن جاء دوري !
امضِ ، قلتُ لكَ . . . وإلاّ . . . خُذْ ، دونَكَ الرفشَ !
امضِ !

نيكيتا : لا داعي لهذا الصراخ (يتناول الرفش دون أن يتحرك) .
إنْ لم أشأْ فلن أذهب !

آنيسيا : لن تذهب ! (تبدأ بالصراخ) . النجدةَ ! ايه !

ماتريونا ، تسدّ فمها : مهلاً ! أأنتِ مجنونةٌ ؟ سيذهب اذهبْ يابني ،
اذهبْ ، يا عزيزي !

آنيسيا : إن لم يذهب صرختُ مستنجدةً !

نيكيتا : كفى ! آه ! يا لهؤلاء الناس ! هيا ، أسرعا ! يجب أن
ننتهيَ من ذلك بأسرع وقت .

(يذهب إلى القبو) .

ماتريونا : هذا هو الصحيح ، يا عزيزي ، أنت تسلّيت ، وعليك
أن تمحو الآثار .

آنيسيا ، منفعلةً : طالما ازدراني هو وعاهرته ! وهكذا ، لن أكون
وحدي ، هو سيكون قاتلاً أيضاً ! سيعلم ما ذلك !

ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ! ها هي ذي تثور ! لا تغضبي ، يابنتي ،
رويدَكِ ، رويدَك ! لنَعمْلْ جهدنا . ابحثي عن آكولينا .
أما هو فسيشرع في العمل .

(يهبط نيكيتا إلى القبو . تتبعه بمصباحها حتّى مدخل القبو) .

آنيسيا : وسأعمل على خنق شخصه الكريه ! (منفعلة) . تعبتُ من تحريك عظام بطرس في قبره ! ليعلَمْ أيضاً ماذا يَعْني ذلك ! لن أراعي نفسي ، اؤكّد لك أني لن أراعي نفسي !

نيكيتا : في القبو اضيئي لي .

آنيسيا : ابقي معه . وإلاّ فقد ينصرفُ، الجبانُ . وأنا سآتي به .

ماتريونا : لا تنسَيْ أن تعمّديه ! وإلا عمّدته أنا . أمعك صليب ؟

آنيسيا : سأعثرُ على صليب . وأعرف كيف يتمّ ذلك .

(تنصرف)

المشهد – ١٣ –

« ماتريونا وحدها ، ونيكيتا في القبو » .

ماتريونا : اوه ! كيف استشاطتْ غضباً ! صحيح أن في الأمر ما يُغضبُ ، لكننا سنُنْهي هذه القضية ونُزيل آثارها ، بفضل الله . وسيكون سهلاً بعد ذلك أن نتخلّص من البنت . وسيستطيع ابني أن يعيش قرير العين . والبيتُ ، بحمد الله ، حسنُ التجهيز ، ولن ينسوني . ماذا كان بوسعهم أن يفعلوا بدون ماتريونا ! ما كانوا ليحسنوا التخلص من المأزق ! (تنحني نحو القبو) . هل الحفرةُ جاهزة ، يابني ؟

نيكيتا ، مخرجاً رأسه من القبو : وماذا تفعلين ؟ هاتيه ! مالكِ تتراخين ؟ إذا بدأْنا شيئاً فيجب أن نُنهيه .

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا تتجه نحو البهو لملاقاة آنيسيا التي تخرج ومعها المولد ملفوفاً بلفافات » .

ماتريونا : هل عمّدته ؟

آنيسيا : طبعاً . تعبتُ في انتزاعه منها . لم تكن تريد أن تُرخيه .

(تمدّ الوليد إلى نيكيتا) .

نيكيتا ، يرفض أخذه : أنزليه بنفسك .

آنيسيا : خذْ ! قلتُ لك : أمسكْ .

(ترمي عليه الوليد) .

نيكيتا ، آخذاً الوليد ، إنه حي ! يا أمي العزيزة ، إنه يتحرّك ! إنه يحيا ! ماذا أفعل به ؟

آنيسيا ، تنتزع الوليد وترميه في القبو : اخنقْهُ بسرعة ، فإن يعيش ! (تدفع نيكيتا إلى القبو) . هذا عملُكَ ، فأنهِهِ !

ماتريونا ، تجلس على أول درجة : قلبُه رقيق ! يصعبُ ذلك عليه ، المسكين ! لا بد من ذلك ، وهذه غلطتُه ، أيضاً !

(آنيسيا تظل واقفة وتنظر إلى القبو . تظل ماتريونا جالسةً على الدرج ، تلقي بين الحين والحين بنظراتها عليها وتفكّر) . . .

آه ! كم هو خائف ! يا عذراء ! مع أن ذلك قاسٍ فلا سبيل إلى غير ذلك . يا للعجب . كم من الناس يتمنّون أن يكون لهم أولاد ! فلا يرزقهم الله . ولا يأتيهم إلا الذين

يولدون أمواتاً . خذي زوجة الكاهن مثلا . . . وفي أحيان أخرى ، يولد الأطفال أقوياء عند من لا يحتاج إليهم . (تنظر إلى القبو) .. لا بد أنه انتهى . (لآنيسيا) ماذا ؟

آنيسيا ، ناظرة في القبو : وضعه تحت لوح من الخشب . . . وجلس على اللوح . . . أعتقد أنه انتهى .

ماتريونا : اوه ! اوه ! نتمنى ألا نقع في الإثم ، لكن كيف يمكن أن نتصرف بطريقة أخرى ؟

نيكيتا ، خارجاً من القبو ، مرتجفاً بكل جسمه : إنه ما يزال حياً ! لا أستطيع . . . إنه حي !

آنيسيا : وإذا كان حياً فإلى أين تذهب ؟

(تريد أن توقفه)

نيكيتا ، يرتمي عليها : اذهبي وإلا قتلتك !

(يمسكها من ذراعها ، فتتخلص ؛ يتبعها بالرفش . تقي ماتريونا بنفسها في وجهه وتوقفه . تهرب آنيسيا إلى مطلع الدرج . تحاول ماتريونا أن تنتزع الرفش من نيكيتا) .

نيكيتا ، لأمه : سأقتلك أنت أيضاً ، انصرفي ! (ماتريونا تهرب إلى مطلع الدرج قرب آنيسيا . نيكيتا يقف) . سأقتلكم ، سأقتلكم جميعاً .

ماتريونا : هذا من الخوف الذي أصابه . لا أهمية لذلك . سيزول عنه .

نيكيتا : ماذا فعلْنَ بي ؟ ماذا فعلْنَ بي ؟ كيف كان يَصْأى ! وكيف كان يُطَقْطِقُ تحتي ! ماذا فعلن بي ؟ إنه حي ! إنه ما يزال حياً (يصيخ السمع) . إنه يَصْأى . هاهو ذا . يَصْأى !

(يركض إلى القبو) .

ماتريونا ، لآنيسيا : عاد إلى القبو . . . أظنُّ أنه سيدفنه . نيكيتا يجب أن تأخذ المصباح .

نيكيتا ، دون أن يجيب ، مصيخاً السمعَ أبداً : لا نَسْمَع . . . لقد حلمتُ (يخطو بضع خطوات ثم يقف مرة أخرى) . كيف كانت عظامُه تطقطق ! . . . ماذا فعلنَ بي ؟ (يصيخ السمعَ) . ما يزال يَصْأى ! نعم ، إنه يَصْأى ! يا أمي ! اوه ! ! يا أمي !

(يتقدّم نحو ماتريونا)

ماتريونا : ما بكَ ، يا صغيري !

نيكيتا : يا أمي العزيزة ، لم أعدْ أقوى على الاحتمال ! يا أمي العزيزة ، ارحميني !

ماتريونا : اوه ! أيّ خوفٍ أصابك ، يا عزيزي ! اذهبْ واشربْ قليلاً من الخمر لتعودَ إليكَ قواك !

نيكيتا : اوه ! يا أمي العزيزة ، جاء دوري الآن ! أنا منُهك !

ماذا فعلتنّ بي ؟ كيف كانت عظامُه تُطقطقُ ! وكيف أخذيَصْأي ! اوه ! يا أمي ، ماذا فعلتنّ بي ؟

(يجلس على الزحافة) .

ماتريونا : اذهب ، يا عزيزي ، واشرب جرعةً ! صحيحٌ ، في الظلمة نحسّ بالضيق ، لكن انتظرْ حتى يدخل النورُ . . . سيمرُّ يومٌ ... ثم يومٌ آخر ، ثم تكفّ عن التفكير في ذلك . انتظرْ قليلا ، سنزوّج البنتَ وستنتهي القضيّة . اذهبْ واشربْ جرعةً ، اذهبْ ! سأرتّب كل شيء في القبو .

نيكيتا ، ينتفض : وهل بقي خمرٌ ؟ سأحاول أن أنسى وأنا أشربُ !

(يخرج ، آنيسيا التي لم تفارق مطلع الدرج ، تتنحّى لتدعه يمرّ ، دون أن تقول كلمة) .

المشهد — ١٥ —

« ماتريونا ، آنيسيا » .

ماتريونا : اذهبي ، اذهبي ، يا فراولتي ! سأشرع في العمل . . . سأنزل وأدفنه . أين رمى بالرفش ؟ (تأخذ الرفش وتهبط إلى القبو حيث تتوارى نصفياً) . آنيسيا ، تعالي إلى هنا ، أضيئي لي !

آنيسيا : وهو ، مالَهُ ؟

ماتريونا : هزّه الخوف ... أنتِ عاملتِه بخشونة شديدة . دعيه ،

سيثوبُ إلى رشده ، حفظَه الله ! سأقوم بالعمل وحدي .
ضعي المصباحَ هنا كي أرى بوضوح ...

(تختفي ماتريونا في القبو) .

آنيسيا ، تلتفت إلى الباب الذي خرج منه نيكيتا : لقد لهوتَ ! وانتهى اللهوُ الآن ! كنتَ متعجرفاً ، انتظرْ ، ستعلم ما معنى ذلك! سوف تكفكف من غرورك .

المشهد – ١٦ –

« ماتريونا نيكيتا » .

نيكيتا ، واثباً نحو القبو : أمي العزيزة ، يا أمي العزيزة !

ماتريونا ، مُخرجةً رأسها من القبو : ما باكَ يا صغيري ؟

نيكيتا ، مصيخاً : لا تدفنيه ! إنه حي ! ألا تسمعين ! إنه حي !
ها هو ذا يَصْأَى ! ها هو ذا ... ها هو ذا ... بوضوح !

ماتريونا : وكيف يمكنه أن يَصْأى ، لقد رققْتَهُ كالفطيرة . وسحقْتَ رأسه الصغير .

نيكيتا : وما هذا إذن ؟ (يسدّ أذنيه) . إنه يَصْأى أبداً . فقدتُ حياتي ! فقدتها ! ماذا فعلْنَ بي ؟ وإلى أين أفرّ ؟

(يتهالك على درج القبو) .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« مَرْجٌ . في المقدمة مكان خال يُقام عليه الكدسُ ؛ إلى اليسار البيدر ؛ إلى اليمين مخزن الغلال . أبواب مخزن الغلال مفتوحة ومغطاة بالقش . في الصدر فناءٌ . تُسمع الأُغنياتُ والجلاجل . فتاتان تسلكان الدرب المحاذي للمخزن والذي يؤدي إلى البيت الخشبي » .

المشهد — ١ —

بنتان وميترتيش نائماً على القش

البنت الأولى : أنتِ تَرَيْن أننا أحسنّا صنعاً بالمرور من هنا . بل إن حذاءينا لم يتلوّثا بالطين ، بينما لو مررْنا بالقرية ... أيّ وحل ! (تقفان وتنشفان اقدامهما بالقش . تنظر الفتاة الأولى إلى الداخل وتشاهد شيئاً) . عجباً ! ما هذا ؟

البنت الثانية : هذا ميترتيش ، عامِلهم . كم هو سكران !

البنت الأولى : كنتُ أظنّ أنه لا يشرب .

البنت الثانية : نعم ، ما دامت الكأسُ بعيدة عنه .

البنت الأولى : انظري ! جاء يطلب القشّ ، وما يزال حبله بيده ، فنام !

البنت الثانية : تصيخ السمعَ : ما يزالون يغنّون مدائح العرس وكأن العريسين لم يُباركا بعد . يُقال إن آكولينا لم تَبْكِ .

البنت الأولى : ماما تقول : إنها لا تتزوّج برضاها . وأن زوج خالتها هدّدها ، ولولا ذلك لما قبِلتْ أبداً . وتعامين جيدا ما كان يُقال عنها .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، مارينا تنضم إلى الفتاتين » .

مارينا : طاب يومكما ، يابنتيّ .

البنتان : طاب يومك ، يا خالة .

مارينا : أأنتما ذاهبتان إلى العرس ، يا عزيزتيّ ؟

البنت الأولى : العرسُ انتهى . ما جئنا إلا للتفرّج .

مارينا : نادي لي زوجي ، « سيميون » الذي من زويفو . أنتما تعرفانه ، فيما أظنّ ؟

البنت الأولى : بالتأكيد ! وأظن أنه قريبُ العريس .

مارينا : نعم ، العريس ابن أخي زوجي .

البنت الثانية : ولمَ لا تذهبين أنتِ نفسك إلى هناك ؟ كيف لا تذهبين إلى العرس ؟ . .

مارينا : لا أشتهي ذلك ، يا بنتي ، وليس الوقت مناسباً أيضاً . يجب أن نسافر ، ولم نأت إلى هنا من أجل العرس ، وإنما

نحن ذاهبان إلى المدينة لنبيع الشوفان . وتوقّفنا هنا لنطعم الجياد ، فادَعَوْا زوجي .

البنت الأولى : وأين توقّفتما ؟ عند فيدوريتش ؟

مارينا : نعم ، عنده . سأنتظر هنا ، وأنتِ ، نادي لي زوجي . أخرجيه ، يا صديقتي ، وقولي له : « إن زوجتاك مارينا تريد منك أن تأتي ، وأن الجياد تُرْبَطُ » .

البنت الأولى : طيّب ، بما أنكِ لن تذهبي بنفسك إلى هناك .

(تسلك الفتاتان الدرب . تُسمع الأغنياتَ والجلاجل) .

المشهد — ٣ —

مارينا ، وحدها : أأذهب إلى هناك . لمَ لا ؟ لكنني لا أشتهي ذلك . لم أرَه منذ اليوم الذي تنكّر لي فيه . مضى عامٌ على ذلك . أودّ ، مع ذلك ، أن أعلم كيف يعيش مع آنيسيا . الناسُ يزعمون أنْ لا اتفاق بينهما . فهي امرأة قاسية ، مشاكسة ، لا بدّ أنه تذكّرني غيرَ مرة ؛ كان يتوق إلى هذه الحياة الميسورة ، وتركني للحياة الصعبة . ليَحْفَظْهُ الله ! لستُ حاقدةً عليه ، لكنْ ، كم آلمني ذلك ! وقد هدأ كلُّ شيء الآن ، ونسيتُ كل شيء . ومع ذلك فأودّ لو أراه . (تنظر من جهة الفناء وتبصر نيكيتا) . اوه ! لماذا جاء ؟ لعل البنتين أخبرتاه ؟ . . . فترك مدعوّيه هكذا ! . . . يجب أن أنصرف .

المشهد — ٤ —

« مارينا ، نيكيتا » .

« يدخل ، خافض الرأس ، مهمهماً بين أسنانه » .

مارينا : اوه ! كم هو متجّهمٌ !

نيكيتا ، يعرف مارينا : مارينا ، يا صديقتي العزيزة ، يا صغيرتي مارينا ، ماذا تفعلين هنا ؟

مارينا : جئتُ أبحثُ عن زوجي .

نيكيتا : ولمَ لمْ تأتي إلى العرس ؟ كنتِ ستتفرّجين ، وكنتِ ستهزئين مني .

مارينا : ولمَ أهزأُ منك . جئتُ أبحث عن زوجي .

نيكيتا : آه ! ياصغيرتي مارينا !

(ينوى تقبيلها)

مارينا ، تتراجع بادية الغضب : إياكَ وهذه الأساليب ، يا نيكيتا ! مضى ما مضى . جئتُ ابحث عن زوجي . أهو عندكم ؟

نيكيتا : إذن يجب ألا نتذكّر الماضي ؟ وأنتِ لا تريدين ذلك ؟

مارينا : لا مجالَ لتذكّره . ما مضى فاتَ .

نيكيتا : ولا نستطيع إرجاعه ؟

مارينا : لا ،لانستطيع . لمَ خرجتَ ؟ ما أعجبك من رب منزلٍ ترك عرسَه .

نيكيتا ، جالساً على القش : لمَ خرجتُ ؟ آه ! لو كنتِ تعلمين ! أنا حزين . مارينا ! اوه ! كم أنا حزين . اودّ لو أني لا أرى شيئاً . قمتُ عن الطاولة وذهبتُ لكي لا أرى أحداً .

مارينا : مقتربةً منه : ما بكَ إذن ؟

نيكيتا : ما بي ! . . . أنني آكل وأشرب وأنام ، ولا أستطيع أن أنسى أبداً . آه ! ما أتعسَني ! ما أتعسني ! وما أتعسني ، يا مارينا ، لأني وحدي ، ولأني لا أجد من يُقاسمني عذابي .

مارينا : لا يمكنُنا أن نُمضي حياتنا ، يا نيكيتا ، دون مشقّات . لقد بكيتُ كثيراً أنا ، ثم زال كل شيء .

نيكيتا : تتحدثين عن تلك القصة القديمة . . . عمّا مضى . آه ! يا صديقتي ، أنتِ أغرقتِ حزنَكِ في الدموع ، بينما أنا يخنقني الألمُ !

مارينا : مابِكَ إذن ؟

نيكيتا : ما بي أن الحياة تثير اشمئزازي ، وأنني أشمئزّ من نفسي ! اوه ! مارينا ، لمْ تستطيعي أن تحتفظي بي ، فأضَعْتِني وأضعْتِ نفسك في آن واحد ! أهذه حياةٌ ؟

مارينا ، مستندة إلى مخزن الغلال ، محاولةً حَبْسَ نحيبها : أنا ، لا أشكو من حياتي ، يانيكيتا . أتمنّى مثلَها لكل الناس . لا أشكو أبداً . قلتُ لزوجي ، فيما مضى ، كلّ شيء ، فغفَرَ لي . وهو لا يلومُني على شيء . لستُ مستاءةً

من حظي ، فزوجي وديعٌ . وهو لطيفٌ معي وأنا أُلبس أولاده ، وأغسلُ لهم ، وهو ممتنٌ لي على ذلك ولمَ أشكو ؟ الله أراد لي ذلك . وحياتُكَ ؟ أنتَ غنيٌّ . . .

نيكيتا : حياتي ؟ لا أريد أن أعكرّ العرس ، ولولا ذلك لأخذتُ حبلاً ، هذا (يتناول حبلاً عن القش) . ولألقيتُه فوق هذا الجسر ، ثم لعملت أنشوطةً محكمةً ، ولصعدتُ على العارضة ولَلَففتُ الحبل على عنقي . هذه هي حياتي !

مارينا : مهلاً ! حفظكَ الله !

نيكيتا : تظنيّن أنني أمزح ، تظنين أنني سكران ، لم تعد الخمرُ تُسكرني ، الآن ! أكلتني الغمُّ ! حتى لم يبق شيءٌ يشدّني ! آه ! مارينا ! كلُّ وقتي الحلو كان معك ! . أتذكرين ليالينا عندما كنتُ في السكة الحديدية ؟

مارينا : لا تَنْكَأْ جرحاً قديماً . قبلتُ بالقانون وأنتَ أيضاً . وغُفِرَ لي ذنبي . لا تُنقّبْ في الماضي .

نيكيتا : لكنْ ماذا أفعلُ بقلبي ؟ وإلى أين أذهب ؟

مارينا : ما تفعلُ به ؟ لكَ امرأة فلا تَشْتَه نساءَ الآخرين . حافظْ عليها . كنتَ تحب آنيسيا ، حسناً ! أحبّها !

نيكيتا : آه ! مَنْ آنيسيا هذه ! إني أكرهُها كما أكره عشبةً سامةً ! لقطتْني بساقيّ كما تلتقطنا خيوط النباتات المائية !

ماريننا : لكنها امرأتك . . . على كل حال لا فائدة من متابعة الحديث ، عُدْ إلى ضيوفك وأرسلْ لي زوجي .

نيكيتا : آه ! لو كنتِ تعلمين كلّ شيء ! . . . لكن ما جدوى ذلك ؟

المشهد — ٥ —

« نيكيتا ، مارينا ، زوجها وآنيوتكا » .

زوج مارينا ، خارجاً من البيت الخشبي ، سكران وشديد الاحمرار : مارينا ! يا امرأتي ! أين أنتِ ؟

نيكيتا : هذا زوجُكِ يناديك ، اذهبي إليه !

مارينا : وأنتَ ؟

نيكيتا : أنا باقٍ هنا !

(يضطجع على القش) .

زوج مارينا : وأين هي ؟

آنيوتكا : هي هناك ، يا عم ، قرب المخزن .

زوج مارينا : وماذا تفعلين هنا؟ تعالي إلى العرس . أصحاب الدار يرجونك أن تشرّفيهم . ستسافر العروسُ بعد قليل ، وسنُسافر نحن .

مارينا ، تلاقي زوجها : لا أشتهي ذلك .

زوج مارينا : قلتُ لكِ : تعالي ، تتناولين كأساً صغيرة ، وتُهنئين

- هذا القذر « بيتروفكا » ! سيستاء أصحابُ الدار إن لم تذهبي ، ومعنا الوقتُ الكافي !

(يقبّلها ويخرج معها وهو يترنّح) .

المشهد — ٦ —

«نيكيتا ، آنيوتكا » .

نيكيتا ، يجلس : أنا أشدّ حزناً الآن ، بعد أن رأيتُها ! لم أسعدْ حقاً إلا معها . ومن أجل لا شيء ، لا شيء على الإطلاق ، أضعتُ نفسي ،وحطّمتُ حياتي ! (يعود إلى الاضطجاع) . إلى أين أذهب ! آه ! ليت الأرض تنفتح تحتي !

آنيوتكا ، ترى نيكيتا ، وتسرع إليه : يا أبي ، يا أبي العزيز ! إنهم يبحثون عنك . الجميع ، حتى الاشبين ، باركوهما ، نعم ، عسى أن أموت ، باركوهما ! غضبوا لغياباك .

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : إلى أين أذهب ؟

آنيوتكا : ماذا ؟ ماذا تقول ؟

نيكيتا : لا أقول شيئاً . ماذا تريدين مني ؟

آنيوتكا : يا أبي ، هيّا ! (يسكت نيكيتا ، تشدّه آنيوتكا من يده). اذهب وباركهما ، يا أبي . لقد غضبوا حقاً ! وأخذوا يجدّفون !

نيكيتا ، ساحباً يده : دعيني !

آنيوتكا : مالكَ !

نيكيتا ، يهدّدها برسن الحصان : انصرفي ! أقول لك ! وإلا ضربتك . . .

آنيوتكا : سأرسل أمي ، إذن !

المشهد — ٧ —

نيكيتا ، وحده ، ناهضاً : كيف أذهب ؟ وكيف يمكن أن أمسك بالأيقونة المقدّسة(١) ؟ كيف أستطيع أن أنظر إليها في وجهها ! (يعود إلى الاضطجاع) . اوه ! لو أن هوة انفتحت أمامي لرميت نفسي فيها . . . لن يراني بعدها أحدٌ ولن أرى أحداً ! (ينهض مرة أخرى) . اوه ! لا ، لن أذهب ! ليبتعدوا عني ، لن أذهب ! (ينزع جزمته ويأخذ الحبل ويعمل أنشوطة ويلفّه حول عنقه) . سيكون الأمرُ هكذا .

المشهد — ٨ —

« نيكيتا ، ماتريونا »

« نيكيتا يرى أمه ، فيرفع الحبل من رقبته ويعود إلى الاضطجاع » .

ماتريونا ، لاهثة : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ! لا يُجيب ؟ نيكيتا ، العلك سكران ؟ اذهبْ ، يا نيكيتا ، اذهبْ ، يا فراولتي ، الجميع ينتظرونك .

نيكيتا : آه ! ماذا فعلتنّ بي ؟ لم أعدْ إنساناً .

---

(١) أمسك بالايقونة المقدسة : ليبارك العروسين باعتباره رئيس العائلة .

ماتريونا : ما باكَ ! هيا ، يا صديقي ، اذهبْ وباركْ بصورة لائقة ، ثم انصرفْ . الناسُ ينتظرونك .

نيكيتا : وكيف أستطيع مباركتها ؟

ماتريونا : بكل بساطة . ألا تعرفُ كيف تتمّ المباركة ؟

نيكيتا : أعرف ، أعرف ! لكنْ كيف أبارك بعدما فعلتُه بها .

ماتريونا : ما فعلتَه ؟ القصة القديمة ! لا أحد يعرفها ! ولا هرّ يتوهمّها . وقد تزوّجت البنتُ برضاها التام .

نيكيتا : نعم ، لكن كيف تزوّجت ؟

ماتريونا : لا شك أننا أجبْرناها قليلا ، لكنها كانت موافقة مع هذا .

وماذا تريد أن نفعل ؟ كان يجب أن تفكّر في ذلك من قبل . أما الآن فلا مجال للتراجع . أما أهل العريس فلم نغشّهم ؛ رأوا البنت مرتين ، ثم إن مالها معها . سوّي إذن كلَّ شيء .

نيكيتا : والقبو ، ألم يمرّ ببالك ؟

ماتريونا : القبو ؟ وما في القبو ؟ في القبو ملفوفٌ وبطاطا وفطور . لمَ التذكير بالماضي ؟

نيكيتا : أودّ ألا أتذكره ، فلا أستطيع . ما ان أتذكّر الماضي حتى اسمعه ، اسمعه أبداً ! اوه ! ماذا فعلتنّ بي ؟

ماتريونا : هيا ، اقبلْ مني ولا تتدلّلْ .

نيكيتا ، ينكفىء ويغطّي وجهه بيديه : اوه ! شكراً ، لا تعذّبيني ! لم أعدْ أحتملُ !

ماتريونا : لا بدّ من ذلك . أخذ الناس يثرثرون . وها إن الأب ينصرف ، ويأبى أن يعود . إنه لا يجرؤ أن يبارك ! سيحمل ذلك الناسَ على التفكير . فما ان يروك خائفاً حتى يبدؤوا بالتخمين . امشِ ورأسُكَ مرفوعٌ فينحني لك الناسُ جميعاً . إذا هربتَ من الذئب ، وقعتَ على الدبّ . لاتُمكّنْ أحداً من نفسك . لا تَخفْ ، يا فتاي ! وإلا ساءت الأمور .

نيكيتا : آه ! لقد فتلتُنّ لي رأسي .

ماتريونا : كفى ! هيّا ! اذهبْ وباركْ ، بصورة لائقة ، ثم ينتهي كل شيء .

نيكيتا ، محافظاً على وضعه : لا أستطيع .

ماتريونا ، بينها وبين نفسها : ماذا جرى له ؟ كان يبدو حتى الآن وكأنه نسيَ كل شيء ، وها إن ذلك يعود إليه . لا بد أنه مسحور . (بصوت عالٍ) . نيكيتا ! انهضْ ! انظرْ ، ها قد جاءت آنيسيا ، تاركةً ضيوفها .

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، في ثياب الأحد ، محمرّة ، وثملة قليلاً : كل شيء يجري على أحسن ما يرام ، يا أمي ... على أحسن ما يرام ، وبشكل لائق جداً . وما أعظمَ سرورَ الناس ... وهو ، أين هو ؟

ماتريونا ، هو هنا ، يافراولتي ، هنا . نلم على القش ولا يريد أن يذهب .

نيكيتا ، ناظراً إلى زوجته : وها هي ذي أيضاً ثملة ! أنظرُ إليها فأتقزّز . هل يمكن العيشُ معها ؟ (يعود إلى الاضطجاع على بطنه) . سأقتلُها ذات يوم ! وسيكون ذلك أسوأ !

آنيسيا : آه ! ها هو ذا مضطجع على القش ! (تضحك) . هل دارت الخمرةُ برأسكَ ؟ اودّ لو أنام معك هنا ، لكنْ لا وقتَ لديّ . هيّا ، سآخذك . آه ! كيف يسيرُ كلُّ شيء سيراً حسناً في البيت . مُمْتِعٌ أن ترى ذلك ! فهناك آكورديون . والنساء يعزفْنَ . . . اوه ! ما أحسن ذلك ! كلهم سكارى ! لائقٌ جداً ، حلوٌ جداً . .

نيكيتا : ما الحلو ؟

آنيسيا : العرسُ ! عرس بهيجٌ جداً . كل الناس قالوا : مثل هذا العرس ، نادرٌ ! كل شيء يجري بشكل لائق ، حسن ! هيّا ! لنذهبْ معاً ! . . . أنا شربتُ ، لكني أستطيع أن آخذك .

(تمسك به من يده) .

نيكيتا ، ساحباً يده باشمئزاز : اذهبي وحدكِ ! سأتبعكِ .

آنيسيا : اقبلْ مني ولا تتدلّلْ . . . كل مصائبنا انتهت . . . المنافسةُ صُفِّيَتْ ، ولم يبقَ علينا الآن إلا أن نحيا ونبتهج ... سُوِّي كل شيء بشكل مناسب ، وبحسب القانون . . .

أنا جدّ مسرورة ! لا أقدر على التعبير ! . . . كأني أتزوّج مرة ثانية ! آه ! كل الناس كانوا راضين أعظم الرضا ! الجميع شكرونا ! والمدعوون جميعاً من الناس المحترمين : ايفان موستيش ، السيد الدركي . الجميع هنّئوا العروسين .

نيكيتا : ابقي إذنْ معهم ! لمَ جئتِ ؟

آنيسيا : يجب أن أعود ، هذا صحيح ! ليس هذا مناسباً . . . أصحاب الدار ينصرفون ويتركون مدعوّيهم ... وجميع مدعوّينا أناس محترمون جدا !

نيكيتا ، ينهض وينفّض القشّ العالق بثيابه : اذهبي ، وسأذهب في الحال !

ماتريونا : يبدو أن طائر الليل أحسن غناءً من طائر النهار ! لم يُصغ إلي ولحق بامرأته على الفور .

(ماتريونا وآنيسيا تتجهان إلى البيت الخشبي) .

ماتريونا ، ملتفتة : هل أنتَ آتٍ ؟

نيكيتا : سأذهب إلى هناك في الحال . اذهبا ، سألحق بكما . سأذهب . . . وسأبارك . (تقف المرأتان) . اذهبا ! سألحق بكما ، اذهبا !

(تذهب المرأتان . يتبعهما نيكيتا بعينيه ، متفكّراً) .

المشهد — ١٠ —

« نيكيتا وحده ، ثم ميتريتش » .

نيكيتا ، يعود إلى الجلوس ، وينزع حذاءه : تستطيعون أن تنتظروني !

آه ! لا ! ستجدونني . . . على الجسر إن لم أكن هنا ...
إذا ما أُحْكِمَتْ الأنشوطةُ ، فاذهبوا ، بعد ذلك ،
وفتّشوا ! من حسن الحظ ، أن الرسنَ ما يزال هنا !
(يظلّ متفكّراً) . كل عذاب غير هذا العذاب ، يمكن
التخلّص منه . . . أما هذا فهو هنا . . . في قلبي ! ...
مثل هذا العذاب لا يُنْتَزَعُ ! (ينظر إلى جانب الفناء) .
وهي تعودُ فوق ذلك ! (مقلّداً آنيسيا) . « آه ! ما أجمل
ذلك ! وكما هو لائق ! سأنام بقربك ! » آه ! يا لكِ من
عاهرة قذرة ! حسناً ! خذي ! قبليني عندما يُنزلونني !
سينتهي كلُّ شيء ، مِنْ مرّةٍ !

(يمسك الحبل فجأةً ويسحبه إليه) .

ميتريليش ، ينهض دون أن يُرخي الحبل ، وهو سكران : لن أعطيك إياه ! لن أعطيه أحداً ! سأحمل القشّ بنفسي . إذا قلتُ : إنني سأحمل القش فسأحملُه . أهذا أنتَ ، نيكيتا ! (يضحك) . آه ! يا للشيطان ! جئتَ تطلب القشّ ؟

نيكيتا : أعطني الحبلَ !

ميتريليش : آه ! لا ، انتظرْ ! الفلاحون ينتظرونني . . . سأَلمُّ ... (ينهض ليلمّ القش ، لكنه يترنّح ويقاوم وينتهي بأن يقع) . هذا ماءُ الحياة الذي هو أقوى ! انتصرَ ماءُ الحياة !

نيكيتا : أعطني الرسنَ .

ميتريليش : قلتُ لكَ لا . . . آه ! نيكيتا ، أنتَ غبي كإوزّة !
(يضحك) أنا أحبّك ! . . . لكنك غبي . . . لستَ
مسروراً . . . لأنني عدتُ إلى الشرب ! آه ! طيب ! لا
أبالي بك ! تظنُّ أنني بحاجةٍ إليك ؟ . . . انظرْ إليّ جيداً !
أنا ضابط صفٍّ ! يا غبي ، ألا تعرف كيف تقول :
ضابط صف في سرية رماة صاحبة الجلالة الامبراطورة ! »
خدمتُ القيصر ووطني بأمانة وشرف . ومَنْ أنا ؟ أتظنّني
محارباً ، لستُ محارباً ، أنا ! أنا أسوأ الرجال ، أنا يتيم ،
أنا خليع ! أقسمتُ ألا أشرب ، وها أنا سكران ! ...
أتظن أنني أخافك ؟ أبداً ، لا . أنا لا أخاف أحداً !
بدأتُ أشرب ! بدأت ! هذا كل ما في الأمر ! . . .
ولن انقطع عن الشرب الآن إلا بعد أسبوعين على الأقل ...
سأدبّر نفسي . . . وسأشرب بكل شيء حتى بصابيي !
وسأشرب حتى بقبّعتي ! سأَرْهنُ أوراقي الشخصية !
لست أخاف أحداً ! . . . جَلَدوني بالسياط في السرّية
كي لا أشرب . . . جلدوني ، جلدوني ! . . . وهم يقولون
لي : « هل ستتابعُ الشرب ؟ » . وكنت أجيب : « نعم ! »
ولمَ الخوف ؟ كذلك أنا ! أنا كما خلقني الله . كنتُ
قد أقسمتُ ألا أشرب ، ولم أكن أشرب ! والآن بدأت
أشرب ، وأنا أشرب . . . لستُ أخافُ أحداً . لستُ
أكذب . لمَ أخافُهم ، هؤلاء الجمال ؟ انظروا ! ها
أنا ذا ! كان الكاهنُ يقول لي : « الشيطان أكبرُ متبجّح
على الأرض ، وحالما تبدأ بالتبجّح تفقدُ طاقتك ، وإذا

ما فقدتَ شجاعتك أمام الناس تسلّطه عليك وحملك إلى حيث يشله » لكنْ بما أنني لا أخاف أحداً ، وأن ضميري نقيّ ، فأنا مطمئن ! ولا أبالي به ! لن يفعل بي شيئاً !

نيكيتا ، راسماً علامة الصليب : وأنا ، ماذا أفعل ؟

(يرخي الحبل) .

ميترلتش : ماذا ؟

نيكيتا ، ينهض : قلتَ إننا لا يجب أن نخاف الناس ؟

ميتريتش : لا يجب أن نخاف هذه الطائفة من الجمال ! انظرْ إليهم وهم يستحمّون . كلّهم مصنوعون من الطينة نفسها : بعضهم أكبر بطناً ، وبعضهم الآخر أصغر بطنا . هذا هو الفرقُ كله . أوَ نخافُ منهم !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا ، ميترتيش ، ماتريونا » .

ماتريونا ، خارجةً من البيت الخشبي : ماذا ، ألا تجيء ؟

نيكيتا : نعم ! هذا أفضل . سأذهب !

(يتّجه إلى البيت الخشبي) .

ستار

اللوحة الثانية

« يتغير المنظر . داخل البيت الخشبي في الفصل الأول . البيت مليء بالناس جلوساً ووقوفاً . في صدر المجلس آكولينا وعريسها . على المائدة

الأيقونات المقدّسة والخبز . بين المدعوّين ، ملوينا ، وزوجها ، والتركي . النساء يغنّين . آنيسيا تسكب الشراب . يتوقّف الغناء » .

المشهد — ١ —

« آنيسيا ، مارينا ، زوجها ، آكولينا ، وعريسها ، حوذي ، التركي ، الخطّابون ، وصيف العريس ، ماتريونا ، المدعوون » .

الحوذي : لا بدّ من الذهاب ! فالكنيسة بعيدة من هنا .

الوصيف : انتظرْ قليلاً ! سيأتي ربّ الدار لمباركتها . لكنْ أين هو ؟

آنيسيا : سيأتي في الحال ، يا أعزّائي . زيدوا كأساً ... لا ترفضوا طلبي .

الخطّابة : لماذا لا يأتي ؟ طالَ انتظارُنا له .

آنيسيا : سيأتي ، سيأتي بعد قليل . سيكون هنا في وقت أقلّ مما يلزم للمرأة الصلعاء لأن تمتشط . (مقدّم الخمر) . أشربوا ، يا أعزائي . سيأتي في الحال غنّينَ ، يا حسان ، شيئاً ، ريثما يحضر .

الحوذي : غنّينَنا كل ما نعرفُه .

(تغني النساء . يدخل نيكيتا وآكيم) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وآكيم » .

نيكيتا ، يمسك آكيم بيده ويدفعه أمامه : هيّا ، يا أبي ! لا أستطيع أن أستغني عنكَ .

آكيم : لا أحبّ هذا . . . . .

نيكيتا ، للنساء : كفى ، اسكُتْنَ (ينظر إلى الجميع) . مارينا ، أنتِ هنا .

الخطّابة : هيّا ، خذ الأيقونة وباركْ .

نيكيتا : انتظري قليلاً . (ينظر مرةً أخرى) . آكولينا ، أنتِ هنا ؟

الخطّابة : أنتَ تتفقّد الحضور ؟ وأين يمكن أن تكون ؟ هذا مضحك .

آنيسيا : آه ! يا أصدقائي ، لكنه حافي القدمين !

نيكيتا : أنتَ هنا ، يا أبي ، انظرْ إليّ . أيها المسيحيون ، يا إخوتي ! أنتم جميعاً هنا ، وأما أنا فها أنا ذا !

(يجثو على ركبتيه) .

آنيسيا : مالكَ ، يا نيكيتا ؟ يا رأسي !

الخطّابة : ما هذه الحماقات !

ماتريونا : قلتُ لكنّ ذلك . لقد أسرفَ في شرب الخمرة الفرنسية ! اصحُ . ماذا تفعل ؟

(تَنْوي أن تُنْهضه ، لكنه لا يَنْتبهُ إلى أحد ويشخص بنظره أمامه) .

نيكيتا : أيها المسيحيون ، يا إخوتي ، أنا مذْنبٌ ! وأريد أن أعترف !

ماتريونا ، تسحبُه من كتفه : أأنت مجنون ؟ يا أعزائي ، عقلُه مختلٌ ، ويجب اقتيادُه .

نيكيتا ، ينحنّيها بدفعة من كتفه : دعيني ! وأنتَ ، يا أبي ، اصغِ !
وأنتِ أولاً ، يا مارينا ، انظري إلي ! (يسجد أمامها
وينهض) . أنا مذنب بحقك ! وعدتكِ بالزواج وغرّرتُ
بك ! خدعتُكِ وتخلّيتُ عنكِ ! سامحيني ، بجاه المسيح !
(ينحني مرةً أخرى) .

آنيسيا : ما هذه القصص كلها ؟ هذا لا يُناسبك على الإطلاق .
لم يطلبْ أحدٌ منك شيئاً . انهضْ ! وكفاك تهريجاً !

ماتريونا : اوه ! إنه مسحور ! ماذا جرى له ! خرَّبوا له عقله !
انهضْ ! ولا تنطقْ بهذه الحماقات !

(تشدّه)

نيكيتا ، يهز رأسه: لا تَلْمسيني ؛ سامحيني يا مارينا ! لقد أذنبتُ
بحقّك ، سامحيني ، بجاه المسيح !
(تخفي مارينا وجهها بيديها ولا تجيب) .

آنيسيا : قالتْ لكَ : انهضْ ، ولا تختلقْ المشاكل ! ها قد بدأ
يتذكّر الآن . . . أناخجاة ! يا لرأسي ! أهو مجنون ؟

نيكيتا ، منحنّياً زوجته ، وملتفتاً إلى آكولينا : إنما أكلّمكِ أنتِ
الآن ، يا آكولينا ! اصغوا أيها المسيحيون ، يا إخوتي !
أنا هالكٌ ! آكولينا ، أنا مذنبٌ بحقّك ! فأبوك لم يمت
موتاً طبيعياً ، وإنما مات بالسم .

آينسيا ، مطلقة صرخةً : يا لرأسي ! ماذا يفعل !

ماتريونا : فَقَدَ عقله ! خذوه !

(يقترب بعضهم لا قتياده) .

آكيم ، مبعداً الناس عنه : انتظروا ! أنتم ، أيها الطيّبون . . . انتظروا ! . . .

نيكّيتا : آكولينا ، أنا دسستُ السمَّ له ! سامحيني ، بجاه المسيح !

آكولينا ، تتقدّم : أنتَ تكذبُ ، وأنا أعرف المذنبَ .

الخطّابة : مالكِ ! ابقي جالسةً !

آكيم : اوه ! يا إلهي ، أية خطيئة هذه ، أية خطيئة !

الدركي : اقبضوا عليه ! أرسلوا في طلب كبير القرية ! سأحرّر محضراً . انهضْ ، وتعال إلى هنا !

آكيم ، للدركي : ايه ! ياذا الأزرار الفضية . . . انتظر ! سيتكلّم . . .

الدركي : وأنت ، لا تتدخّلْ في شيء . يجب أن أحرّر محضراً .

آكيم : آه ! ما هذا الرجل ! . . . قلتُ لكَ انتظرْ ! ودَعْك من المحضر . . . هذه قضية تخصّ الله هنا ! رجلٌ يعترف ! وأنتَ تأتي لتحدّثنا عن المحضر !

الدركي : كبير القرية !

آكيم : دع قضية الله تَنْتهِ ! . . . وبعد ذلك أفعلْ واجبك !

نيكيتا : وفي ذمتي أيضاً ما أعترفُ به ، يا أكولينا ، ذنبي الأكبر بحقك . لقد غررّتُ بكِ . . . سامحيني بجاه المسيح !

(ينحني)

آكولينا ، ناهضةً: دعوني ! لا أريد أن اتزوّج بعد الآن ! هو أمرني بذلك ! وأنا الآن أرفض الزواج .

الدركي : كرِّرْ ما قلتَ .

نيكيتا : انتظرْ ، يا سيدي الدركي ، دعني أُتمّمْ كلامي !

آكيم ، متحمّساً: قلْ ، يابني . قلْ كل شيء ؟ . . . ستتخفّف . . . اعترف أمام الله ! لا تخف الله ! الله ! الله ! هو ذا !

نيكيتا : سمّمتُ الأب . وغرّرتُ بالبنت . أنا ذلك الشقي . كانت لي سيطرةٌ عليها ، وقد جعلتُ ابنها !

آكولينا : هذه هي الحقيقة !

نيكيتا : في القبو ، سحقتُه تحت لوح خشبي . كان تحتي . . . سحقتُه وكانت عظامُه تُطقطقُ . (يبكي) . ودفنته في الأرض ! أنا فعلت ذلك . . . أنا وحدي !

آكولينا : إنه يكذب ! أنا أمرتُه بذلك !

نيكيتا : لا تدافعي عني ! أنا لا أخشى أحداً الآن ! أيها المسيحيون ، يا إخوتي ، سامحوني !

(يسجد . وقفة قصيرة) .

الدركي : قيّدوه ! انتهى عرسُكم ، أيها الأكارم !

(يدنون من نيكيتا ويربطونه بزنانير) .

نيكيتا : انتظروا ! ففي الوقت متّسعٌ !(يسجد أمام أبيه) . يا أبي الحبيب ، سامحْني ، أنا الهالك ! طالما حذّرتني ، عندما بدأتُ مجوني ، طالما قلتَ لي : « إذا كانت قدم الطائر مدبّقة فسرعان ما يُصاد » . وأنا ، ذلك الشقيّ ،

لم أصغ إلى صوتك ، وما تنبأتَ به قد وقع ! سامحني ،
بجاه المسيح .

آكيم ، منتشياً : سامَحكَ الله ، يا بني الحبيب ! (يقبّله) . لم تُراعِ
نفسك ! الله يُراعيك ! الله ! هو ذا !

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، كبير القرية » .

كبيرُ القرية ، داخلاً : الشهودُ ، كثيرون .

الدركي : سنستَجوبه بعد قليل .

(يُربَطُ نيكيتا) .

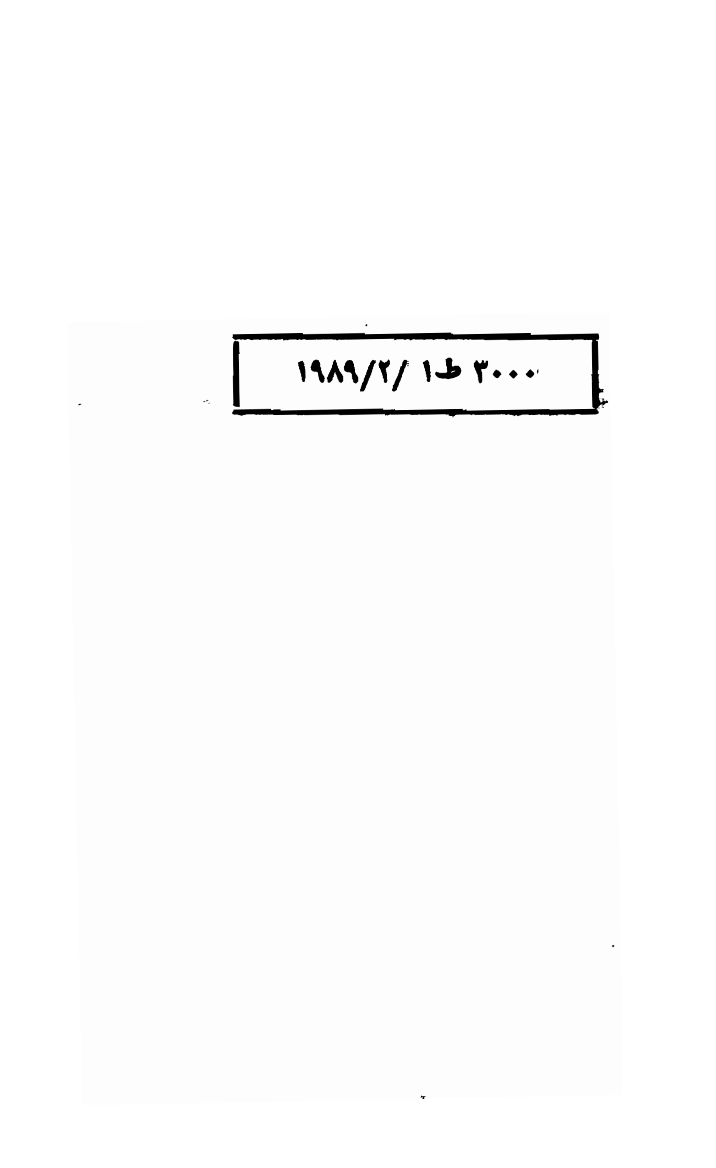
آكولينا ، تتقدّم إلى قرب نيكيتا : وسأقولُ الحقيقة كلها ،
استجوبوني أنا أيضاً .

نيكيتا ، مربوطاً : لا داعي لاستجوابها . أنا الذي فعل كلّ شيء .
كانت الفكرةُ فكرتي ونفذّتُها . خذوني إلى حيث
تشاؤون .

فلن أقول شيئاً بعد الآن .

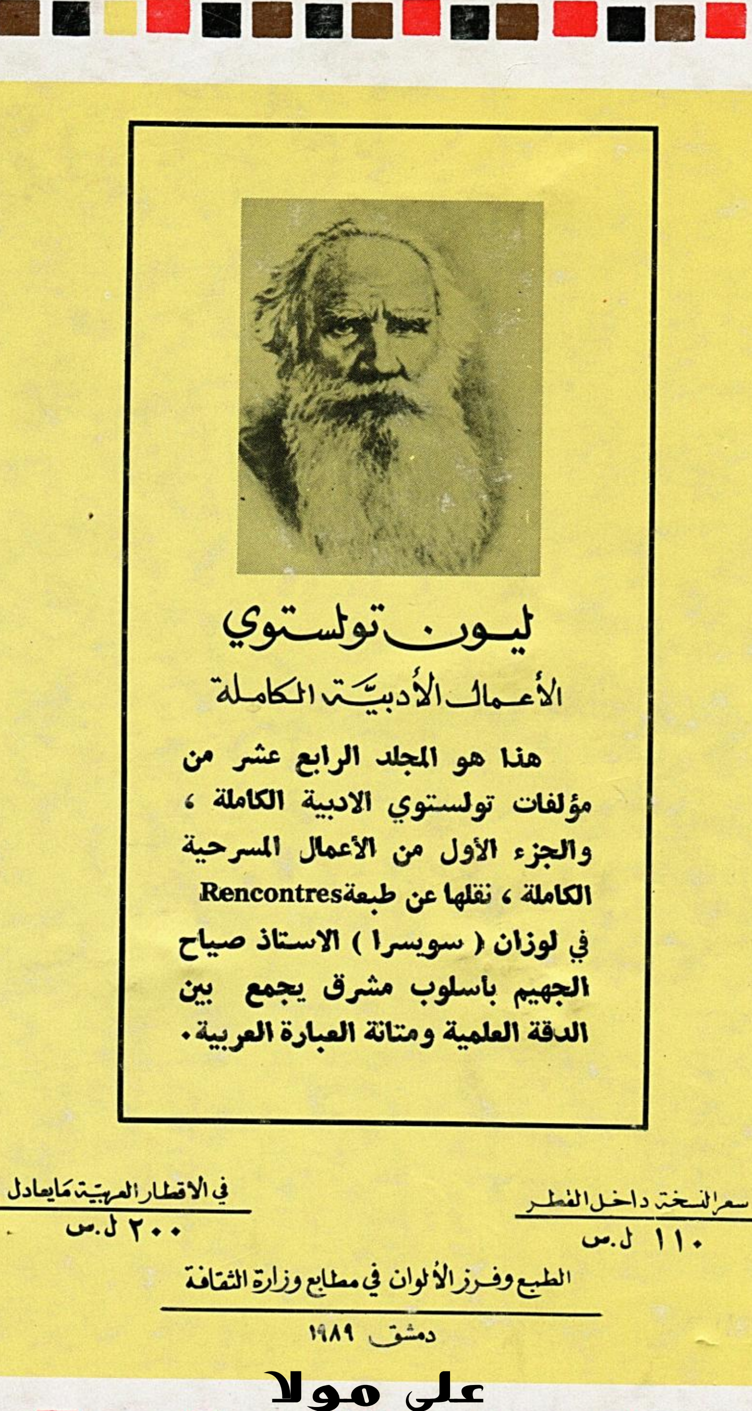
ستار

الفهرس



٣٠٠٠ ط١ /٢/ ١٩٨٩





ليون تولستوي

الأعمال الأدبيّة الكاملة

هذا هو المجلد الرابع عشر من مؤلفات تولستوي الادبية الكاملة ، والجزء الأول من الأعمال المسرحية الكاملة ، نقلها عن طبعة Rencontres في لوزان (سويسرا) الاستاذ صياح الجهيم بأسلوب مشرق يجمع بين الدقة العلمية ومتانة العبارة العربية .

سعر النسخة داخل القطر
١١٠ ل.س

في الاقطار العربية مايعادل
٢٠٠ ل.س

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٨٩